فانتازيـا الغريـزة

دافيد هيربرت لورانس

◆ المؤلف: دافيد هيربرت لورانس ◆ Author: D. H. LAWRENCE

◆ العنوان: فانتازيا الغريزة ◆ Title: FANTASIA OF THE UNCONSCIOUS

◆ ترجمة: عبدالمقصودعبدالكريم ◆ Translated by: Abdel-Maksoud Abdel-Kareem

◆ طبعة آفاق الأولى 2018 ◆ Afaq's first edition: 2018

◆ تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي ◆ Cover Design by: Amr El Kafrawy

◆ مستشار النشر: سوسن بشير ◆ Publishing Consultant: Sawsan Bashier

◆ المدير العام: مصطفى الشيخ ◆ General Manager: Mostafa Alsheikh

آفاق للنشر والتوزيع AFAQ BOOKS

رقم الإيداع:

٢٠١٨ / ٨٠٠٤

الترقيم الدولي: ISBN

978 - 977-765 - 155 - 4

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه. أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form, or by any means without prior permission in writing from the publisher.

Afaq Bookshop & Publishing House

1 Kareem El Dawla st. - From Mahmoud Basiuny st. Talaat Harb
CAIRO – EGYPT - Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-01111602787
E-mail:afaqbooks@yahoo.com – www.afaqbooks.com

١ شارع كريم الدولة- من شارع محمود بسيوني - ميدان طلعت حرب- القاهرة - جمهورية مصر العربية
ت: ٢٥٧٧٨٧٤٣ ٠٠٢٠٢ - ٢٥٧٧٩٨٠٣ ٠٠٢٠٢ - موبايل: ٠١١١١٦٠٢٧٨٧

فانتازيا الغريزة

تأليف

دافيد هيربرت لورانس

ترجمة

عبد المقصود عبد الكريم

آفاق للنشر والتوزيع

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

لورانس، دافيد هيربرت.

فانتازيا الغريزة- دافيد هيربرت لورانس

ترجمة: عبد المقصود عبد الكريم

ط1 القاهرة - دار آفاق للنشر والتوزيع - 2018

240 ص، 21 سم.

رقم الإيداع 8004 / 2018

الترقيم الدولي 4 - 155 - 765 - 977 - 978

1 - فلسفة

2 - لورانس، دافيد هيربرت.

المحتويات

المحتويات	٥
تصدير	٧
مقدمة	١٥
العائلة المقدسة	٢٥
الضفائر والمستويات	٣٧
الأشجار والأطفال والآباء والأمهات	٤٧
الحواس الخمس	٦٥
أولى ومضات العقل	٨١
أولى خطوات التعليم	٩٣
التعليم والجنس	١٠٧
في الرجل والمرأة والطفل	١٠٧
مولد الجنس	١٢٣
الحب الأبوي	١٤١
الدائرة الرديئة	١٥٧

ابتهال النصيحة ١٧٥
كوزمولوجيا ١٧٩
النوم والأحلام ١٩٥
الذات السفلى ٢١٧

تصدير

إن هذا الكتاب تكملة لكتاب «التحليل النفسي واللا وعي». ومن الأفضل لعامة القراء أن يتركوه وحيدًا. وكذا عامة النقّاد. لا أريد، في الواقع، إقناع أي شخص. إن هذا يتعارض تمامًا مع طبيعتي. لا أوجه كتبي لعامة القراء. إن أحد أخطاء ديموقراطيتنا الخاطئة أن كل من يستطيع أن يقرأ مطبوعًا يُسمح له أن يعتقد في قدرته على قراءة كل ما يطبع، ومن سوء الحظ أن الكتب الخطيرة تُعرض في الأسواق الشعبية، كما يُعرض العبيد عرايا للبيع. لكننا نحيا، ولأننا نعيش عصر الديموقراطية الخاطئة، فمن الضرورة أن نسايرها.

أُحذِّر عامة القراء، سيبدو هذا الكتاب لهم إلى حدّ ما مجرد كتلة من الكلام أكثر مما يبدو الكتاب السابق. وعليّ أن أُحذِّر عامة النقاد حتى يرموه دون أي لغط.

وقد أقول مباشرة، كما قد يفعل عدد محدود ممن يجب أن يعثر المرء عندهم بحكم الظروف عن إجابة، إنني أخلص الضفيرة

الشمسية *SOLAR PLEXUS*، آمل أن تُنْقِص هذه العبارة وحدها عدد القراء بصورة ملحوظة.

وفي النهاية، أعتذر للبقية الباقية عن الترنح الفجائي إلى الكوزمولوجيا (الدراسة العلمية لخلق الكون وتطوره)، أو الكوزموجوني (أصل الكون، أو نظرية عنه)، وأود القول، في هذا الكتاب، إن الموضوع كله يتماسك حتمًا، لستُ عالمًا، كما قال أحد نقادي، صدِّق أو لا تصدِّق. لستُ أركيولوجيًّا (عالم حفريات) أو أنثروبولوجيًّا (دارسًا لأصل الإنسان وتطوره وعاداته ومعتقداته) أو أثنولوجيًّا (دارسًا للأجناس البشرية وخواصها) حقيقيًّا. لست مدرسيًّا من أي نوع، لكنني أقر بالجميل للمدرسين لعملهم الصحيح، لقد وجدت تلميحات، وإيحاءات لما أقول هنا في كل الكتب المدرسية، من يوجا وأفلاطون والقديس يوحنا المبشر وفلاسفة الإغريق الأوائل مثل هيراقليطس، إلى فريزو وكتاب «الغصن الذهبي»، حتى فرويد وفروبنيس *Frobenius*، ثم أتذكر مجرد تلميحات –وأتقدم بالحدس، وهذا يجعلك حرًّا تمامًا في رفض كل الكتلة الكلامية من الهراء الدوار، دون وخز الضمير.

دعني أقل فقط، إنه يوجد بالنسبة لعقلي حقل أساسي من العلم مغلق علينا تمامًا حتى الآن. أقصد العلم الذي يتقدم في لغة الحياة، ويرسخ على معطيات الخبرة الحية والحدس المؤكد، سَمِّه علمًا ذاتيًّا، إذا أحببت، إن علمنا الموضوعي عن المعرفة الحديثة يشغل نفسه بالظواهر، والظواهر في علاقتها بالسبب والنتيجة فقط، ليس لديَّ ما

أقوله ضد علمنا، إنه صحيح بقدر تقدمه، لكن يبدو لي أن النظرة إليه وكأنه يعالج كل إمكانية البشر المعرفية مجرد نظرة صبيانية، إن علمنا علم العالم الميت، حتى البيولوجيا لا تهتم أبدًا بالحياة، لكنها تهتم فقط بالوظيفة الآلية وبجهاز الحياة.

أعتقد بصدق أن العالم الوثني الذي كانت مصر والإغريق آخر تجلياته الحية، العالم الوثني الذي سبق عصرنا، كان لهذا العالم علم واسع وربما كامل، علم في لغة الحياة، انهار هذا العلم، في عصرنا، إلى سحر وشعوذة، ولكنها كانت انهيارات حكيمة.

أعتقد أن هذا العلم العظيم السابق على علمنا والمختلف عنه تمامًا في التكوين والطبيعة، قد رسخ على كل الكرة الأرضية المعروفة آنذاك بمجرد شيوعه. أعتقد أنه كان وقفًا على فئة قليلة، وأنه غُرس في كهانة مناسبة، بالضبط، مثلما تُحدد الرياضيات والميكانيكا والفيزياء وتؤيد اليوم بالطريقة نفسها في جامعات الصين أو بوليفيا أو لندن أو موسكو، يبدو لي أن العلم والكوزمولوجيا العظيمة كانا يُعلمان في العالم العظيم السابق علينا لفئة، وكانا وقفًا عليها في كل أقطار الأرض، آسيا، وبولنيزيا، وأمريكا، وأطلنطس وأوروبا. يبدو لي اقتراح بلْت *Belt* ذو الطبيعة الجغرافية للعالم السابق علينا أكثر أهمية. لا بد أن مياه الأرض في العصر الذي يطلق عليه الجيولوجيون العصر الجليدي قد تجمعت في مساحة واسعة في المناطق الأعلى من الكرة الأرضية، وشكَّلت عوالم واسعة من الجليد. وبالمقارنة، لا بد أن قيعان البحار الآن كانت جافة. هكذا ارتفعت أزورز من مستوى الأطلنطي إلى مستوى الجبل، حيث

يغسلها الأطلنطي الآن، وارتفعت الجزر الشرقية والمركوزيس... إلخ، شامخة من الجزء العظيم الهائل من المحيط الهادئ.

عاش الناس في ذلك العالم وتعلموا وعرفوا وانسجموا تمامًا على كل بقاع الأرض. تجول الناس إلى الخلف والأمام من أطلنطس إلى الجزء الأعظم من بولنيزيا حيث يبحر الناس الآن من أوروبا إلى أمريكا كان التبادل والمعرفة كاملين، وكان العلم، على الأرض، عالميًّا، كوزمو بوليتانيًّا كما هو اليوم.

ثم ذابت أنهار الجليد، وغمرت العالم. فرّ اللاجئون من الأجزاء الغريقة إلى الأماكن المرتفعة في أمريكا، وأوروبا وآسيا، وجزر المحيط الهادي. وتحلل البعض بصورة طبيعية في أناس العصر الحجري، وكائنات العصر الحجري الحديث والعصر الحجري القديم، واحتفظ البعض بجمالهم الفطري الهائل وبكمال الحياة مثل سكان بحر الجنوب، وتجول البعض في أفريقيا بصورة بدائية، ورفض البعض كالدروديين *Druids* أو الإتروريين *Etruscans* أو الكلدانيين أو الهنود الحمر أو الصينيين أن ينسوا، لقد تعلموا الحكمة القديمة، ونسوا نصفها فقط، نسوا الأشكال الرمزية. كمعرفة، تم نسيانها تقريبًا: تذكر كطقوس، وإيماءات وقصص أسطورية.

هكذا تمثل القوة الحادة للرموز، على الأقل، جزءًا من الذاكرة. وهكذا تشابهت كل الرموز والأساطير العظيمة التي سادت العالم حين بدأ تاريخنا الأول، تشابهت تمامًا في كل البلاد وبين كل الشعوب، ترتبط كل الأساطير العظيمة إحداها بالأخرى. وهكذا تبدأ

هذه الأساطير تحذيرنا مرة أخرى، انتهى تقريبًا دافعنا باتجاه طريق الفهم العلمي. وهكذا نجد، بالإضافة إلى الأساطير، أن الأشكال الرياضية نفسها والخطوط البيانية الكونية تبقى بين الشعوب البدائية في كل الأماكن الرئيسة، تبقى الأشكال والعلامات السرية التي فقدت أهميتها الكونية أو العلمية الحقيقية، تبقى وما زالت، فوق ذلك، تُستعمل لأغراض السحر والتكهن.

الحق كله مع القارئ إذا وجد هذا الكلام فارغًا وغير مفهوم. فقط، ليس لديَّ تعليق على صيحاته التافهة فوق كومة روثه الضئيلة. شخصيًّا لستُ متأكدًا تمامًا من أنني واحد من أفضل الناس. أحب العالم الفسيح في القرون والعصور المبهمة -لا ندرك اليوم عوالم الماموث، ويندهش البشر تمامًا من أبعاده، وتاريخه الذي ليس له بداية، لكن الأبهة وفخامة السناء البشري تتضحان دائمًا في عصور تغير الأرض. إن الفيضانات والنار والاضطرابات العنيفة تتخلل حضارات الإنسان العظيمة والساحرة، لكن لا شيء إطلاقًا يمكن أن يخمد الإنسان وقدرته على إنشاء شيء عظيم من الهيولى المتجددة.

لا أعتقد في النشوء، لكنني أعتقد في الغرابة وتغير قوس قزح في الحضارات الخلَّاقة دائمة التجدد.

إن هذا كثير جدًّا بالنسبة لادّعائي اكتشافات رائعة. أعتقد أنني، من دون لغة المعرفة الأولى المنسية، أحاول التلعثم فقط. ليست لديّ أي رغبة في إعادة الملوك الموتى أو الحكماء الموتى إلى الحياة. ليس لي أن أرتب البقايا الجيولوجية، وأكتشف معنى اللغة الهيروغليفية.

ولا أستطيع إذا أردْتُ. لكنني مع هذا أستطيع شيئًا آخر. على الروح أن تأخذ الإشارة من الذخائر الهائلة التي جمعها علماؤنا من الماضي المنسيِّ، ويجب أن يتطور كلام حيّ جديد من هذه الإشارة. الشرارة من الحكماء الموتى، والنار هي الحياة.

وكمثال –مثال بسيط جدًّا– للطريقة التي قد يشير بها عالم من النوع الحديث الأكثر براءة إلى الحقيقة التي عليه أن يضحك منها كهُراء فنتازيٍّ حين يتم إعلانها، لنقتبس كلمة من كتاب أصبح نمطًا قديمًا «الغصن الذهبي»: «من الضروري أنه اتضح للآري القديم أن الشمس كان يتم تدعيمها على فترات بالنار التي تكمن في البلّوط المقدس».

تمامًا، إنها النار التي كمنتْ في شجرة الحياة. إنها الحياة ذاتها. علينا أن نقرأ: «من الضروري أنه اتّضح للآري القديم أن الشمس كان يتم تدعيمها على فترات بالحياة» –وهذا ما كان فلاسفة الإغريق الأوائل يقولونه دائمًا. وما زال يبدو لي أنه الحقيقة الواقعية، إنه مفتاح الكون. إن الحياة تنبثق من الحياة ذاتها بدل أن تنبثق من الشمس، أي أنها تنبثق من كل النباتات والكائنات الحية التي تغذي الشمس.

بالطبع، أيها الناقد العزيز، كان الآريون القدماء يرتعشون تمامًا– الأغبياء القدماء أو يهذون كالأطفال. لكني أحترم أسلافي بعض الشيء، وأعتقد أن ما كان في أكمامهم أكثر من مجرد أعجوبة أنهم سيلدونني.

كلمة أخيرة تافهة ومملة. إنني أستمد فلسفتي الزائفة – «تحليلات

مفرطة»، كما قد يقول أحد النقاد المحترمين- من الروايات والقصائد وليس العكس. تخرج الروايات والقصائد مبهمة من قلم المرء. ثم تتولد لدى المرء حاجة ماسة إلى وضع عقلي مُرْضٍ تجاه ذاته والأشياء عمومًا، حاجة تجعل المرء يحاول الخروج ببعض النتائج المحددة من خبرته ككاتب وإنسان. إن هذه «التحليلات المفرطة» تأتي، بعد ذلك، نتيجة للخبرة.

يبدو لي، في النهاية، أنه حتى الفن يعتمد تمامًا على الفلسفة: أو على الميتافيزيقيا إذا حّبذْتَ هذا. قد لا تكون الميتافيزيقا مصوغة بدقة كبيرة في أي مكان، وقد تكون مصوغة تمامًا في لا وعي الفنان، إلا أن الميتافيزيقا هي التي تحكم الإنسان في هذا العصر، ويدركها كل الناس تقريبًا ويعيشونها. يعيش الناس ويرون تبعًا لرؤية تنمو تدريجيًّا وتضمحل تدريجيًّا. توجد هذه الرؤية أيضًا كفكرة ديناميكية أو ميتافيزيقية، في البداية. وتعلن بعد ذلك في الحياة والفن. إن رؤيتنا، واعتقادنا، والميتافيزيقا الخاصة بنا ترتدي الملابس الرقيقة في حزن، ويرتدي الفنّ الملابس الرثة تمامًا. ليس لنا مستقبل، سواء لآمالنا أو أهدافنا أو فنِّنا. تمضي كلها رمادية وقاتمة.

علينا أن نمزِّق حجاب الرؤية القديم، ونعثر بعد ذلك في الواقع على ما يؤمن به القلب: وما يريده القلب في الواقع هو من أجل المستقبل القادم. علينا صياغته في لغة الاعتقاد والمعرفة. علينا أن نمضي ثانيةً إلى الأمام، إلى التحقق في الحياة والفن.

شُقَّ حجاب الرؤية القديمة تمامًا، وامضِ عبر الشق. إن حاولتُ أن

أفعل هذا -حسنًا، لماذا لا أفعل؟ إذا حاولت أن أكتب في الصفحات التالية ما أراه- لماذا لا أكتب؟ إذا أراد ناشر أن يطبع كتابًا -حسن جدًّا. وإذا أراد أي شخص أن يقرأه، دعه يقرأ. لكنني لا أفهم لماذا يكون على أي شخص أن يقرأ كلمة واحدة إذا لم يرغب، إلا إذا كان، بالطبع، ناقدًا يريد أن يخربش كلمات بقيمة دولار، كيفما تكون.

❊ ❊ ❊

مقدمة

نبدأ بتقديم اعتذار بسيط للتحليل النفسي. ليس من العدل أن نسخر من اللا شعور في التحليل النفسي، أو ربما كان من العدل أن نسخر من اللا شعور في التحليل النفسي، إنه، في الحقيقة، كمية سالبة ووحوش كريهة. ما ليس عدلًا، في الواقع، هو السخرية من التحليل النفسي كما لو أن فرويد لم يبتكر ويصف، في نظريته كلها، سوى اللاشعور.

ليس اللا شعور، بالطبع، مفتاح نظرية فرويد. الجنس هو المفتاح الحقيقي. يعود النشاط الإنساني كله للحافز الجنسي.

يمضي بنا هذا الكلام بعيدًا جدًّا. علينا التسليم بوجود عنصر جنسي في كل نشاط إنساني. لكن يوجد أيضًا عنصر من الجشع، وعناصر من أشياء أخرى كثيرة. علينا التسليم بوجود الجنس في كل العلاقات الإنسانية، خاصة علاقات الراشدين. نشكر لفرويد إلحاحه على ذلك.

نشكر لفرويد أنه جذبنا إلى الأرض شيئًا ما، خارج كل غيوم روعتنا. ما يقوله فرويد صحيح دائمًا إلى حدٍّ ما. إن نصف رغيف أفضل من لا شيء.

يوجد، في الواقع، نصف آخر للرغيف. ليس الجنسُ كلَّ شيء. ولا تعود النشاطات الإنسانية كلها للحافز الجنسي. نعرف هذا، دون الحاجة إلى برهان.

من المؤكد أن للجنس معنًى خاصًّا. يعني الجنس أن الكائنات تنقسم إلى ذكر وأنثى، وأن الرغبة أو الدافع المغناطيسي يعزل الذكر عن الأنثى في مغناطيسية سالبة أو فاصلة، لكنه يجذب أيضًا الذكر والأنثى معًا في طريق طويل لا نهائي التنوع إلى الجماع الحرج. إن الجنس في العلاقات الإنسانية ليس جنسًا على الإطلاق من دون الجماع الكامل: بالضبط، كما أن الخصيّ ليس رجلًا. أي أن الجماع هو مفتاح الجنس الأساسي.

والآن، هل تتقدم الحياة كلها إلى الجماع الكامل فقط؟ هل تتقدم في اتجاه واحد، كان من الأفضل للتحليل النفسي أن يقول هذا مباشرة. تتقدم الحياة كلها في اتجاه واحد إلى لحظة جماع واحدة سامية. لنسلم جميعًا بذلك صادقين.

لسنا ملزمين باتجاه واحد فقط، أو بتكامل مقصور على شخص واحد. هل كان بناء الكاتدرائيات تقدمًا نحو الجماع؟ هل كان الدافع الديناميكي جنسيًّا؟ لا. كان العنصر الجنسي موجودًا ومهمًّا، ولم يكن سائدًا. وينطبق الكلام نفسه بالنسبة لحفر قناة بنما. كان الدافع الجنسي، بأوسع أشكاله، عظيمًا جدًّا في حفر قناة بنما. لكن كان

يوجد دافع آخر، ذو أهمية أكبر وقوة ديناميكية أعظم.

ما الدافع الآخر الأعظم؟ إنه رغبة الرجل في بناء العالم: «عزيزي، إن بناء العالم ليس «من أجلك»؛ لكن ليجعل من نفسه ومعتقده ومجهوده شيئًا مدهشًا. ليس مفيدًا فقط، ولكن مدهشًا. حتى قناة بنما لم تُحفر أبدًا لمجرد أن تعبرها السفن. إنها رغبة الرجل الخالصة اللامبالية في عمل شيء مدهش، من رأسه ونفسه وإيمان روحه وبهجتها. الرغبة التي تبدأ كل شيء مستمر. إنها الحافز الأصلي. والحافز الجنسي ثانوي بالنسبة له: ومضاد تقريبًا.

أي أن الحافز الديني أو الإبداعي هو الحافز الأول لكل نشاط الإنسان. ويأتي بعده الحافز الجنسي. ينشأ، في كل العصور، صراع عظيم بين اهتمامات الاثنين.

نود أن نقتفي الحافز الإبداعي أو الديني إلى منبعه في الإنسان، وفي اعتبارنا دائمًا العلاقة الوطيدة بين الحافزين الديني والجنسي. إن الدافعين عظيمان كرجل وزوجه، أو أب وابن. ليس من المفيد أن نضع أحدهما تحت قدمَي الآخر.

إن الرغبة السائدة الآن هي إنكار الدافع الديني تمامًا، أو تأكيد غربته المطلقة عن الدافع الجنسي. يتأفف عالم الدين الأرثوذكسي من الجنس. نشكر لفرويد رده عليه بالمثل. يقول العالم العلمي الأرثوذكسي يا للعار أمام الدافع الديني. يقف فرويد مع العلماء. ينتقل يونج من رداء الجامعة إلى رداء القس ونتوه معه. إننا نفضل جنس فرويد على ليبيدو يونج أو القوة الحيوية *ElanVital* عند برجسون. إن

للجنس على الأقل مرجعية محددة، مع أن فرويد حين يجعل الجنس مسؤولًا عن كل شيء يبدو كما لو أنه يجعله، بالدرجة نفسها، غير مسؤول عن أي شيء.

نرفض أي سبب، سواء كان الجنس أو الليبيدو أو القوة الحيوية أو الأثير أو وحدة القوة أو الحركة الدائمة أو أي شيء آخر. ونشعر أيضًا أننا لا نستطيع، مثل موسى، أن نهلك على قمة نبو[1]، قمتنا المثالية الحالية، ولا نستطيع أن نخطو الخطوة التالية إلى الهواء الرقيق. إننا على قمة مثاليات نبو، نصرخ طلبًا للأعلى ونحاول أن نتسلق إلى الغيوم: هذا إذا كنا مثاليين يحركنا دافع ديني ثائر في نفوسنا. وإذا كنا علماء، فإننا نصنع الطائرة أو محسنات النسل أو ننزع السلاح أو نقوم بأي شيء أبسوردي بالدرجة نفسها.

تقع أرض الميعاد باستمرار، إذا كان لها وجود، تحت أقدامنا. لا مكان لقفزة أخرى إلى أعلى. لا يوجد مصعد آخر. لا مكان لطموحين آخرين بسطاء يصرخون بتآخي العالم والعشق الدولي وعصبة الأمم. تتساوى المادية والمثالية على قمة نبو في الشيء نفسه، ويزدحم الفضاء تمامًا. إننا جميعًا على قمة جبلنا في وضع حرج، يتسلق أحدنا على الآخر، ويقف كل منا على وجوه الآخرين، ونصرخ طلبًا للصعود إلى أعلى.

---

(١) نبو: جبل يقع في المملكة الأردنية الهاشمية، يبعد عن العاصمة ٤١ كم، يطل على البحر الميت، ومن قمته تستطيع رؤية أرض فلسطين، وهذا الجبل له مكانة عند اليهود، فهو مذكور في سفر التثنية، ومنها رأى سيدنا موسى الأرض المقدسة التي وعده الله؛ أرض كنعان. ويعتقد المسلمون أن موسى مات ودُفن في قمة هذا الجبل. ترجع التسمية إلى إله التجارة عند البابليين. «المحرر».

لننزل إلى خيامكم، أبناء إسرائيل! إخواني. سننزل. تقع الطريق إلى كنعاننا الأثيرة واضحة عند المنحدر. نهاية المصعد. الانحدار إلى أرض اللبن والعسل. ستفيض الدماء، عاجلًا، أسرع من أي منهما، لا نستطيع أن نساعد على ذلك. لا نستطيع أن نساعد كنعان إذا كانت الدماء في أوردتها بدلًا من اللبن والعسل النقيين.

إذا تعلق الأمر بالأصول، فإن الأصل هو الأصل دائمًا مهما قلنا عنه. والسبب بالمثل. لنسلم بأن هذا يلائمنا. إذا أردنا الكلام عن إله، فلنتكلم، يمكننا أن نرضي أنفسنا. كَثُرَ الكلام عن إله، لكنه لا يتضح للعقل. لماذا نتعامل مع هذا الأمر وكأنه مشكلة شخصية. وبالمثل إذا تمنينا أن نعمل حفل شاي للذرّة، دعنا: أو لوحدة الطاقة الصغيرة المتسللة، أو الأثير، أو الليبيدو، أو القوة الحيوية، أو أي سبب آخر. فقط لا تدعْنا ندعو الجنس على الشاي. نمارسه جميعًا بكثرة تحت المائدة، وفيما يخصّني أحصل عليه في الواقع. أفضّل البقاء هناك، بصرف النظر عما يقوله عني الفرويديون.

ومن المجهد الذهاب إلى أي حفلات شاي أخرى مع الأصل أو السبب، أو حتى مع الإله. لنلفظْ أُمْ[1] *om* السرية من الأعماق ونتقدم.

لا توجد ظلالٌ من الشك حول العلة الأولى، إنها غير قابلة للمعرفة تمامًا بالنسبة لنا، وعلينا أن نأسف لذلك. سواء كانت الإله أم الذرّة، فكل ما أستطيع قوله هو أُمْ!

(١) أُمْ: كلمة سنسكريتية، وهي تعني الروح أو الوجود الواحد، ويعتقد الكثيرون أنها بوابة العبور إلى عالم الروح والفكر. «المحرر».

إن أول ما تقوم به كل حقيقة هو إعلان جهلها. لا أعرف من أين أتيتُ -أو إلى أين أمضي، لا أعرف مصادر الحياة أو غاية الموت. لا أعرف كيف تصبح الخليتان الأبويتان اللتان هما أصلي البيولوجي أنا الذي هو أنا. لا أعرف، على الأقل، ماذا كانت هاتان الخليتان. إن التحليل الكيميائي مجرد مهزلة، وأبي وأمي كانا مجرد أدوات. ولكن، عليّ أن أقول، منذ عرفت الخليتين: إنني سعيد، إنني أعرف.

أخذ موسى العلم وهارون المثالية عنقودنا كله إلى قمة نبو. إنه مأزق، وسنسقط في خمس دقائق وبحمق شديد جدًّا، سنسقط كل منا فوق الآخر إذا لم ينزل بعضنا إلى أسفل. ولكن علينا أن ننظر حولنا قبل أن نترك الربوة حتى نحدد اتجاهاتنا.

يقال إن ذلك الطريق يمتد إلى قدس العشق العالمي الجديدة: وفوقها الوادي السعيد للبرجماتية المتسامحة: وبالقرب منه تمامًا، تقع أرض الحيويين السعيدة: وفي تلك البساتين المظلمة يوجد منزل التحليل الناجح المدعو نفسيًّا: ويثب الأبطال فوق تلك الهضاب الزرقاء، مع أنك لا تستطيع أن تراهم. وهناك بيزانيم *Besantheim*، وإيديها و *Ebbyhowe*، وعلى السهل البسيط الشاذ توجد ويلزونيا *Wilsonia*، وفي الركن تمامًا توجد رابيندراناثوبوليس *Rabinbdranathopolis*.

ولكن، يا إلهي، لا أستطيع أن أرى أي شيء. ساعديني، أيتها السماء، بتلسكوب لأنني لا أرى شيئًا في الفراغ.

لن أحاول أكثر من ذلك. سأجلس على مؤخرتي، وأتدحرج

أسفل نبو بكل سرعتي، حتى إذا كلفني هذا مقعدة بنطالي. هكذا هُوْ *ho*!- نمضي بعيدًا.

في البداية -لم توجد أي بداية، لكن دعْها تمر. علينا أن نبتكر بداية بشكل ما. في البداية الحقيقية لكل الأشياء، الوقت والفراغ والكون والوجود، في بداية كل هذه الأشياء كان يعيش كائن صغير. لا أعرف حتى أنه كان صغيرًا. في البداية وجد كائن حي، كانت بلازماه ترتعش، ونبض حياته يخفق. مات هذا الكائن الصغير، كما يحدث للكائنات الصغيرة دائمًا. كان له صغار قبل أن يموت. حين مات الكائن الأب، انقسم إلى قطع صغيرة. وكانت بداية الكون. انشطر جسمه الصغير إلى بقعة من رماد تمسكت بها الكائنات الصغيرة؛ لأنه كان عليها أن تتمسك بشيء ما انسابت أنفاسه الضئيلة متقطعة، انساب دفء الحيوان الصغير وبريقه -معذرة، أقصد انسابت الطاقة الإشعاعية من الجسد إلى اليد اليمنى، وبدت مشرقة ودافئة في الهواء، بينما انسابت الطاقة الرطبة من الجسم إلى اليد اليسرى، وبدت معتمة وباردة. هكذا مات السيد الأول الصغير وتفتت، وبدلًا من جسمه الحي الصغير، وجدت في الوسط بقعة من الرماد، صارت الأرض، وعلى اليد اليمنى وجد التألق، صار الشمس التي تموج بكل الطاقة التي اكتسبتها من السيد الصغير الميت، وعلى اليد اليسرى وجد الظلام الذي يبدو كقمر غير يقظ. تلك هي الطريقة التي خلق الرب بها العالم. باستثناء هذا لا أعرف شيئًا عن الإله، ولذا عليّ ألا أذكره.

نسيت روح السيد الصغير. بالمثل، ربما حلّقتْ قليلًا -ثم عادت

إلى الكائنات الصغيرة. ويبدو أن هذه الطريقة هي الأكثر طبيعية.

مهما بدا تعليقي على الخلق، فإنني أعني أن الحياة لم تكن أبدًا سوى كائنات حية. تلك هي الحياة وسوف تبقى مجرد كائنات حية، بصرف النظر عن الحجم الذي تكتب به الحرف الكبير L (الحرف الأول من كلمة *Lord*) خُلق الكون المادي من الكائنات الحية. من موت الكائنات الحية حين تسقط أجسامها الحية الصغيرة ميتة ومتحللة إلى كل أنواع المادة والقوة والطاقة، إلى شمس وأقمار ونجوم وعوالم. هكذا خُلق العالم. لا تسألني أين تعثر على الكائن الحي، ذلك الكائن الأول. كان هناك، تمامًا. كان شخصًا صغيرًا وكانت له روح. لم يعشْ بحرف L الكبير.

إذا كنت لا تصدِّقني، فلا تصدِّقني. وسأقدم لك أغنية بسيطة لتغنيها.

إذا لم تكن حقيقة بالنسبة لي

كيف أجعلها حقيقة...

هذا هو الإنسان الذي أحبه حقًّا، إنسان يسقسق لا مبالاته. وأسقسق إلى الوراء.

مع أنها ليست حقيقة بالنسبة لك.

إلا أنها حقيقة سارة ومؤكدة بالنسبة لي.

يعيش الأحياء ثم يموتون. يتحللون، كما نعرف، إلى رماد وأكسجين ونتروجين... إلخ. لكن ما لا نعرفه، أو قد نعرف عنه القليل،

هو كيف يتحللون إلى الحياة نفسها مباشرة –أي إلى الأحياء مباشرة. أي كيف تحلق أرواحُ كثير من الموتى فوق إهمالنا مثل السنونو وتقيم تحت إفريز الأحياء. كيف تغرد أرواح كثير من الموتى، مثل السنونو، وتفقس أفكارًا وغرائز تحت سقف شَعْري وإفريز جبهتي. لا أعرف. لكني أعتقد في كثير من الأشياء الجيدة، وآمل أن يتاح لها وقت طيب. وآمل ألا تتعرض لكثير من الضربات.

آسف لقولي إنني أعتقد في أرواح الموتى. أكاد أخجل من القول بأنني أعتقد أن أرواح الموتى تدخل ثانية أرواح الأحياء، وتتخللها بطريقة ما، إن الحياة دائمًا هي حياة الكائنات الحية والموت قضيتنا دائمًا. أسلم بأن هذا الكلام تافه، إنه على حافة التصوف، آسف، لا أحب التصوف. ليس له بنطال أو مقعدة بنطال: لا يملك شيئًا. يجب أن أشعر بضيق شديد إذا وضعت يدي خلفي وشعرتُ بفراغ مطلق.

على غصن صغير بالقرب من قدميَّ، تحافظ اليرقة الرقيقة البنية، لوقت طويل، على ادّعائها بأنها غصين زان رقيق ميت. وضعت أقدامها الخلفية وأقدامها الأمامية على الغصين، وتلولب جسمها مثل القوس في الهواء بينها، ويمشي طائر فوق الغصين ويبدأ في اعتلاء القوس المزيف، دون أن يعرف أنه فوق ذيل سترة رجل أنيق. تهزُّ اليرقة مؤخرتها، ويهرب الطائر كأنه رأى روحًا. يتوقف الغصين الميت والغصين الحي عن الحركة بالدرجة نفسها، يتمتع كل غصين على طريقته. وحين أدفع رأس اليرقة بعيدًا عن الغصين، بهذا القلم الرصاص نفسه، تبقى متعلقة من ذيلها ومقوسة للأمام في الهواء، وتتذبذب بلا

سعادة، تتكتك كبندول صغير، تتكتك، تتكتك وسط الهواء، مقوسة من ذيلها المغروس. تظل على هذا الوضع لدقيقة ونصف على الأقل، ثم تلمس الغصين ثانية وتستقر على عدد من الغصينات، لا يستطيع غصين الزان الميت أن يتظاهر بأنه يرقة متحركة. ولكن كيف يتشابه الاثنان! مهما يكن -لنا مخارجنا ومداخلنا ويلعب الرجل الواحد أدوارًا كثيرة في حياته، أكثر من أن يحلم، عزيزي المسكين. وأنا أفتقر داخليًّا إلى الأخلاق.

حسنًا، نولد بعد ذلك. أظن أن هذا تعبير آمن. ونعي فورًا إذا لم نكن واعين من قبل. لا يوجد تناقض. إن لجسم الطفل الصغير وظيفة صغيرة، إنه آلة أو أداة أو عضو صغير نام، ثم يبدأ يموج بكل البدايات النفسية المدهشة، وهكذا يتبرعم.

لن يفعل. يتطلع بدرجة كبيرة إلى منظر نبو. نفرط كثيرًا في التطلع. موسى العزيز، اهبط، إنك ترى بعيدًا جدًّا. عزيزي موسى، فورًا ترى الجميع من بعيد جدًّا. عبر أرض الميعاد، ينظر الطائر بأعين كثيرة إلى الشاطئ. اهبط واعبر، يا رفيقي القديم. ولن ترى كل ذلك اللبن والعسل وحبات العنب في حجم بيضة البطة. يتبرعم الطفل الصغير تمامًا مع عقله الحساس البكر وغيوم سعادة متنوعة بدلًا من الحفاض. يا غلامي العزيز،أبدًا لا، ليس هذا حظك في أرض الميعاد.

اهبط أسفل نبو، واذهب إلى جيريكو، إلى آلونز، ليس ثم من طريق بعد، لكن كلنا هارون، ولكلٍّ منا عصاه الخاصة.

* * *

العائلة المقدسة

ندين جميعًا بالفضل لمستر آينشتين لأنه أعلن أن الكون ليس له محور خارجي. ليس الكون عجلة تدور حول محور مركزي. إنه غيمة من النحل تطير وتنحرف دائريًّا. نشكر الظروف الطيبة على ذلك، كنا سكارى فوق عجلة تدور حول محور مركزي.

هكذا أفلت الكونُ من الخابور الذي وضع فيه، كذبابة مخوزقة تطن عبثًا. يطير الكون المركب، الآن، دورته المعقدة بحرّية، بلا محور، ونأمل أن نفلت أيضًا.

لن يُوضع أي منا فوق خابور. لا يحكمنا قانون واحد. بالنسبة لي يوجد قانون واحد: أنا هو أنا. ليس قانونًا، إنه مجرد ملاحظة. المرء هو المرء، لكنه ليس وحده على الإطلاق. تطنُّ نجوم أخرى في مركز عزلته. نجوم ليس بينها طريق مباشر. عزيزي القارئ، ليس بيني وبينك طريق مباشر، لذا لا تُلمْني إذا طارت كلماتي كالتراب في عينيك وصرّتْ بين أسنانك، بدل أن تكون كالموسيقى في أذنيك. أنا هو أنا،

وأيضًا، أنت هو أنت، ونحتاج بكل أسى إلى نظرية في القرابة الإنسانية نحتاجها أكثر مما يحتاجها الكون. تعرف النجوم كيف يطوف أحدها حول الآخر دون أن يضره. ولكن أنت وأنا، عزيزي القارئ، نقتنع في البداية بأن أنت هو أنا وأنا هو أنت لتفرّد الجنس البشري، لماذا نسقط جميعًا أحدنا على الآخر بصورة قذرة، ويلوك كل منا فراء الآخر.

عزيزي القارئ، أنت لسْت أنا، ولا تحاول اتخاذ ذريعة لهذا. لا تنزعج إذا تكلّمتُ. ليس فمك المقدس هو الذي يُفتح ويُغلق. كذلك الأمر بالنسبة للتجديف في أذنيك المقدستين، ليس عليك إلا أن تستعين قليلًا بالنظرية النسبية لتعرف أن ما أقوله ليس هو ما تسمعه، لكن شيئًا نطقتُه في عزلتي وصل متغيرًا بشكل عجيب في سفر مرهق عبر المنحني الطويل للوسط الهوائي المحيط بك. قد أقول *Boh*، ولكن السماء وحدها تعرف ماذا تسمع الأوزة. وقد تكون متأكدًا أن الخرقة الحمراء للثور أكثر سحرًا وتعقيدًا من ربطة عنق رجل المجتمعات.

عزيزي القارئ، آمل الآن أنني وضعتك في مكانك. ضع نفسك كما في لوحة أمل لواتس على كرتك الزرقاء الصغيرة، وسأضع نفسي على كرتي، ولن نصطدم إذا استطعنا أن نحول دون الصدام. يمكنك أن تعزف على قيثارتك القديمة المفعمة بالأمل، ربما تشجيك، لا ألومك. لكنها هتاف بغيض في أذنيّ. لكن ربما حدث شيء ما في الوسط الهوائي الخاص بي، ربما حدث انحراف عجيب وموسيقاك تعبر الفضاء بيننا. من المؤكد أنني لم أسمع أبدًا الكلام المحدد عن

تجدد العالم وإحياء الأمل ثانية دون أن أصاب بانغلاق الفك وتبتر حافة أسناني الرنين الهارموني. ربما كان مجدِّدو العالم، في الحقيقة، عازفين بارعين على قيثاراتهم اليهودية. لُمْ حافة أسناني.

الآن. سأقذف الكلمات إلى الفضاء، وعليك أن تبصر بعينك الكونية.

قلتُ عن كتابي الصغير الملائم للخلود «التحليل النفسي واللا وعي» إنه يحتوي على أكثر مما تقع عليه العين. وأنت، عزيزي القارئ، تحتوي على أكثر مما تقع عليه العين. ألا تعتقد في هذا؟ هل تعتقد أنك تظهر كبيضة مسلوقة على قطعة من الخبز الجاف، كمعتوه مسكين؟ ولسْت كجزء من البيضة، عزيزي القارئ. لك ضفيرة شمسية وعقدة قطنية ليستا بعيدتين عن كبدك، وسأخبر الجميع. لا شيء يعيد الإنسان إلى نفسه مثل إخبار الجميع. سأقودك إلى نفسك، هل تسمع؟ سُلقْتُ وقتًا كافيًا في وسطي الهوائي وأنا أماثل نفسك مع نفسي ونفسي مع الجميع. يجب أن تزدحم السماء بطابور بديع إذا أمسك الثور بالشعرى اليمانية *Sir-ius* من ذيله وقال: «انظر هنا، إنك لا تبدو أخضر بشكل كافٍ، إنك ملعون أيها الشعرى اليمانية *dog-star*! إنها إهانة لنظام النجوم».

أذكر أن العرب يسمون الشهب حجارة نيزكية، حجارة نجمية توجد حيث يطير الملائكة إلى الشياطين الغازية التي تحاول أن تطوف بالقرب من سياج السماء. عليّ أن أصرِّح بأنني أحب الملائكة العرب. ستتلألأ سمائي مثل عجلة كاترين بنجوم من حجارة بيضاء دافئة. بعيدًا عن ذلك، أنت كلب. أنت كلب خسيس طوّاف. خذ جبريل تحت

ثقب أذنك اليسرى -! انظر إليه، انظر إليه، ميخائيل؟ إنه شيطان أزرق مفعم بالأمل! اطرحه أرضًا.

آملُ، عزيزي القارئ، ألا يغريني العرب أو يغروك، حثَّني على ذلك. أشعر معك، عزيزي القارئ، وكأنني مع رجل أصم يدفع أذنه المطاطية، آلة السمع، إلى فمي. أريد أن أصيح في ثقب الأذن بالتليفون بكل الأشياء المزيفة لأرى التأثير الذي ستحدثه على وجه عزيزي الغبي في نهاية لفة من السلوك. لا بد أن الكلمات اختلفت تمامًا بعد أن سارت ولفّتْ ثم لفّتْ في لفة طويلة من الأسلاك. وبصرف النظر عما آلت إليه الكلمات، أوشكتُ أنا نفسي على الصمم، وقد أحتاج في النهاية إلى سماعة للتدخل في شؤون الأصدقاء، وستكون محنة تجعلني غير عطوف بقدر كبير، ولكن هذا هو الشعور المناسب. إننا هكذا.

عزيزي القارئ، ساعدْني على أن أكون مهمًّا.

حاولتُ في ذلك الكتاب الصغير «التحليل النفسي واللاوعي»، برغبة شديدة إلى حدّ ما إقناعك، عزيزي القارئ، بأن لك ضفيرة شمسية وعقدة قطنية وأشياء أخرى قليلة. لا أدري، لم عانيتُ من الاضطراب. إذا لم يصدّقْك تابعك فإن له أنفًا، وأفضل وسيلة للإيمان، بكل أدب، أن تحك قليلًا من الفلفل في فتحتي أنفه. صبغتُ أنفي بالأرجواني، وأدعوك برغبة شديدة لتنظر وتصدّق. لا أريد أكثر من هذا.

عزيزي القارئ، أولًا وقبل كل شيء، إن لك ضفيرة شمسية، والضفيرة الشمسية مركز عصبي كبير يقع خلف معدتك. لا يمكن

اتهامي بالخطأ والكذب، إن أي كتاب في العلم أو الطب يتناول جهاز الإنسان العصبي يطلعك على هذا بسهولة. لذا لا تتهرب ولا تحاول أن ترى روحيًّا. إن لك، عزيزي القارئ، طوعًا أو كرهًا ضفيرة شمسية وأشياء أخرى. إنني أكتب كتابًا في علم جيد وصحيح ولا مجال للإنكار.

إن ضفيرتك الشمسية، أيها القارئ المهذب، توجد حيث أنت، إنها المركز الأعظم والأعمق لوعيك الأول. إذا أردْتَ أن تعرف كيف تعي وأين تعي، فإن عليّ أن أحيلك إلى ذلك الكتاب الصغير «التحليل النفسي واللاوعي».

يكمن وعيك الأوليّ في ضفيرتك الشمسية: خلف معدتك. هناك تدرك بالوعي البدائي العميق أن أنت هو أنت. لا تقل أنك لا تدري. أعرف أنك تدري. قد يبدو الأمر كما لو كنت تحاول إنكار أن في وجهك أنفًا. هناك مقرّ إدراكك الأول والأعمق. هناك تدرك بنشوة الانتصار وجودك الفرديّ في الكون. من المؤكد، أن هناك القلعة المركزية والخفية التي تعي نشوة الانتصار. هناك توجد وتعرف أنك موجود. لذا تمسّك بفرحك الغامر، عزيزي، مع *a Me voila*. وأنا هنا. مع *an Ecco mi*! مع *Da bin ich* أنت هناك، يا عزيزي.

لكن، لسْتَ مجرد إدراك لنشوة الانتصار بأنك موجود. ثمة إدراك سارّ أيضًا خارج هذه البوابة الهادئة. في السرة حيث يستلقي الكون وتستطيع أن تدفع عنه الجزية. آه، عند الولادة أغلقْتَ البوابة الوسطى إلى الأبد. إن تركها مفتوحة خطير جدًّا. إن جوهرك قريب

جدًّا. وتوجد بوابات أخرى. توجد العيون والأفواه والأذن وفتحات الأنف إضافة إلى بوابتي الجسم الشهواني السفليتين. وبوابات الثديين المغلقة دون قفل. بوابات كثيرة. وبالإضافة إلى البوابات الحقيقية، يوجد التواصل اللاسلكي الرائع بين المركز الكبير والعالم المحيط أو المجاور.

يخبرك العلم الصحيح أن هذه أول ضفيرة كبيرة، وأنها مركز عصبي قوي لوعي الحياة ونشاطها الديناميكي، وأنها مركز سمبتاوي. من ضفيرتك الشمسية تنظر حولك وكأنك تنظر من قلعة حصينة وترى ابتسامة الأرض العادلة، وترى الحنطة والفاكهة والماشية التي تربح منها، وترى الأكواخ التي تسكنها والملاهي التي تعشقها. تعرف من ضفيرتك الشمسية أن العالم كله مِلْك لك، وأن كل شيء جيد.

إنه المركز الرئيس، منذ كنْتَ في الرحم، وأول من عمل ببراعة في حياتك بمفرده. إنه المركز الذي يأتيك بدم من الأم لتنمو أثناء الحمل، في مخبأ الشهور التسعة. إنه المركز الذي يقطع منه حبل السرّة، ويبقى خيط لا مرئي لدينامية الوعي، متصلًا بك طول العمر، مثل تيار كهربائي خفي، لا يُقطع حتى تموت وتغادر شخصيتك المتماسكة.

وبالمناسبة، يقولون إن الأطباء يقومون الآن بعملية صغيرة للطفل المولود بحيث لا تبدو السرة. عزيزي القارئ، لن توجد سرر بعد الآن. أنت محظوظ لأنك جئت في هذا الجيل قبل أن يمسك بك الأطباء. ما زلْتَ حتى الآن، *caro mio*، على اتصال مباشر بدم الأم، سواء بدا ذلك أو لا. ولأن نواة الذكر التي تأتي من الأب ما زالتْ تعمل ببراعة وقوة

في الضفيرة الشمسية، فإن مركزك العصبي الرئيس ما زال على اتصال مباشر بأبيك، إنها رابطة رقيقة ولكنها حيوية. نسميها رابطة الدم. إنها هكذا. إنها رابطة الدم. إنها أكثر تحديدًا مما نتخيل. حقًّا، أتت تلك الجرثومة الذكرية التي جعلتك تولد من دم أبيك. وتستقر، حقًّا، الجرثومة الذكرية نفسها غير مطفأة وغير قابلة للانطفاء في مركزك، في الضفيرة الشمسية المشهورة. وبالإضافة إلى ذلك، ترسل هذه الجوهرة الأبوية غير المطفأة بداخلك طول الوقت ذبذبات صريحة وتيارات خفية للنشاط الحيوي، إنها تتصل بأبيك مباشرة. لن تستطيع أبدًا الفرار منها طالما كنت حيًّا.

قد تكون العلاقة مع الأم أكثر وضوحًا. ألا توجد سرتك الظاهرة، حيث تمّ القطع بينكما. وبما أن علاقة الأم والطفل أكثر قبولًا ووضوحًا، هل يوجد سبب يجعلنا نفترض أنها أكثر عمقًا وحيوية وباطنية؟ لا يوجد أدنى سبب. إذا كانت جرثومة الأم الكبيرة ما زالت حية، وتعمل بقوة وسحر في النواة الكبيرة المندمجة لضفيرتك الشمسية، فهل جوهرة الأب الساطعة والأصغر والمشتقة من أبيك تعمل بقوة أقل؟ لا مبرر لافتراض ذلك. إنها مختلفة –إنها أقل ظهورًا. وقد تكون أصغر حجمًا. لكن، قد تكون أكثر قوة وباطنية. لذا أحذرك من إنكار الجوهر الأبوي في نفسك. عمومًا، ربما كنْتَ تنكر الجوهر الأكثر باطنية.

ونتيجة لذلك وبالطريقة نفسها، ما دام للإخوة والأخوات نفس الأب والأم، فإن هناك تواصلًا مباشرًا بين كل أخ وأخت بصورة لا يمكن أن تحدث بين الأغراب. لا تموت نوى الأبوين في النواة

الجديدة. تبقى مراكز حياة رائعة ومتألقة ديناميًّا وواضحة، تبقى عُقدًا، وهامات جيدة للحياة القوية نفسها. تعيش نوى الأبوين في كل فرد، وتهبنا رابطة مباشرة مع بقية الأسرة، رابطة الدم كما نسميها. إنها رابطة الدم، تمثّل النوى الملقحة روح جوهرة الدم. وتحافظ نوى الأبوين، أثناء الحياة، على مركزيها وتأثيرها الديناميكي في الضفيرة الشمسية للطفل. إن لكل إنسان أبًا وأمًّا يعملان كلاهما ببراعة في نفسه.

إنها حقيقة تمهيدية أكثر منها حقيقة باطنية. وحقيقة الإنسان الباطنية هي الوحدة الجديدة لشخصيته المتميزة التي تنبعث من اندماج نوى الأبوين. إنها الروح المقدسة التي لا تقبل العدّ والإدراك دائمًا –إن لكل إنسان روحه المقدسة. تندمج نواتا الأبوين في عملية الإخصاب لتكونا حياة جديدة، ثم يحدث سر الخلق العظيم. ويظهر إنسان جديد –ليس مجرد نتيجة للاندماج. إنه أكثر من هذا. لا يمكن التنبؤ بخواص الشخصية. وينشأ الإنسان الجديد، بذاته المتميزة، جديدًا تمامًا. إنه ليس تعديلًا واتحادًا لعناصر أبوية قديمة. إنه شيء لا يمكن التنبؤ به، إنه، بكل معنى الكلمة، روح جديدة متميزة وليس لها مثيل.

ومهما تكن هذه الخاصة للشخصية النقية، فإنها خاصة سامية. خاصة تكمل كل الخواص الأخرى ولا تنفيها. تبقى كل الخواص الأخرى طول الوقت. يستطيع المرء في القمة فقط أن يتجاوز العناصر التي انبثق منها، ويصبح ذاتًا نقية. لا يصل معظم الناس إلى القمة. يتجاوز الإنسان في شخصيته النقية أباه وأمه، ويصبح مختلفًا عنهما

تمامًا. يا امرأة، ماذا أفعل لك؟ لكن هذا لا ينفي حقيقة أنه يعيش وبداخله جوهر الأم وجوهر الأب، ورغم كماله وسباحته بعيدًا عن روابط الأم –الأب إلا أنهما لا يزالان بداخله مكملين وخالدين. ولا ينفي هذه الحقيقة تجاوز قلة من الناس في هذه الأيام لآبائهم، ووصولهم إلى شخصية تتجاوزهم. يولد معظم الرجال نصف عبيد: تضمر تمامًا روحهم الصغيرة التي يولدون بها، وينبعث الكائن الحي فقط، النفس الجديدة، الروح الجديدة، انتفاضات البشرية الجديدة، كالبطاطس الكبيرة.

هكذا نُوجد. لكن الإنسان في أحسن أحواله، يواجه من البداية مشكلة عظيمة. عليه، في البداية، أن يحمل على عاتقه كينونته الثلاثية، الأم بداخله، والأب بداخله، والروح المقدسة، النفس التي يفترض أن يكملها، وغالبًا لا يستطيع.

توجد حقيقة فسيولوجية صعبة. تندمج نواة الأب مع نواة الأم، في عملية الإخصاب، وتنبعث الأعجوبة، النفس الجديدة، الروح الجديدة، خلية الفرد الجديدة. ولا تتخلى جرثومة الأب وجرثومة الأم عن هويتهما في خلية الفرد الجديدة. تبقيان خالدتين. وهكذا يكون تيار الدم في الجنس البشري تيارًا واحدًا إلى الأبد. وحين يتباطأ سر تجدد الإنسان النقي في العمل وإتمامه يجفّ تيار الدم وينتهي. هكذا يندثر الجنس البشري.

نعود ثانية إلى الضفيرة الشمسية، إلى الشرارة التي تحتوي على جرثومة الأم وجرثومة الأب والتي تهبنا روابط الدم والأسرة مباشرة

وبسرعة. إنها رابطة مباشرة ورقيقة كمحطتين لاسلكيتين كبيرتين بين محطتي ماركوني. إن الأسرة، إذا شئت، مجموعة من المحطات اللاسلكية، حيث يتكيف الجميع إلى حدّ بعيد مع الذبذبة نفسها. يهتز الجميع بالتبادل طول الوقت، يمتد تيار طويل بلا نهاية، تيار من التواصل الحيوي بين أفراد العائلة، إنها عاطفة ممتدة وغريبة، إنها انسجام الحياة. إنها تموج الحياة في أجسام كثيرة وكأنها في جسم واحد. لكن الاضطراب يوجد طول الوقت، يوجد انفجار التميز وتأكيد الإنسان لنفسه على حساب كل الروابط والحقوق. إن وجود الكائن الفرد النقي هو الهدف الأسمى لكل إنسان. لكنه هدف لا نصل إليه بمجرد تمزيق كل الروابط. لا يولد الطفل بانتزاعه من الرحم. حين يولد بشكل طبيعي، فإنه يعاني بما يكفي. ومع هذا لا تنفصل الروابط. إنها ترقّ فقط.

قبل كل شيء يمرّ من الضفيرة الشمسية التواصلُ الحيوي العظيم بين الطفل والأبوين، التفاعل الأول الأساسي، معرفة ما قبل العقل وتعاطفه. إنه تفاعل رقيق وعظيم، يتكون منه الطفل جسديًّا ونفسيًّا. إن مركز الوعي البدائي في البطن يدفع الطفل ليبحث عن أمه، وعن الثديين، وليفتح فمه الأعمى ويلتمس الطريق إلى الحلمة. إن العقل لا يوجهه، ولكنه موجه بالتأكيد. موجه من مركز ما قبل العقل، المركز الخفي في الضفيرة الشمسية. من هذا المركز يبحث الطفل عن أمه ويتعرف عليها. ومنه تظهر حقيقة النقاء اللا عقلي للأم السليمة. لا تحتاج إلى التفكير. لا تحتاج إلى معرفة العقل. من مركز الحياة البطني

الرئيس تعرف بعمق ونشاط كبير.

إذا كان الطفل يبحث عن الأم، فهل يعرف الأم فقط؟ إن الأم هي الكون كله بالنسبة للطفل الصغير، إلا أنه يحتاج إلى أكثر من الأم. يحتاج أيضًا إلى الرجال، إلى ذبذبة من جسم رجل. قد لا يوجد اتصال حقيقي ملموس. يمرّ من المركز الإرادي الرئيس في الرجل اتصالٌ تستحيل معرفته، وتغذيةٌ لتيار الدم الرجولي لا سبيل للحديث عنها، إنها إشعاعات لا نستطيع رؤيتها، ونرفض معرفتها إلى حدّ بعيد، إنها أقل أهمية، وتمر الإشعاعات الخفية النشيطة من مركز الحياة البطني الخفي في الأب إلى المركز المناظر في الطفل. إن هذه الإشعاعات، هذه الذبذبات، ليست كذبذبات الأم. إنها مختلفة، مختلفة عنها. إنها لا تحتاج إلى اتصال فعلي أو مداعبة أو ملاطفة. إن غريزة الذكر الحقيقة، على العكس تتجنب الاتصال الجسدي بالطفل. قد لا يحتاج إلى وجود فعلي. وسواء كان موجودًا أو غائبًا، يوجد بين الطفل والأب تواصل مدهش وغير مُدْرَكٍ، إنها جاذبية ودائرة مدهشة تشبه تأثير القطب المغناطيسي على إبرة، إنها جاذبية حيوية وتيار يضع كل بلازما حياة الطفل في خط النمو الحيوي والقوة والمعرفة. وأي نقص في هذه الدائرة الحيوية، في هذا التبادل الحيوي بين الأب والطفل، بين الرجل والطفل، هو إفقار حتمي للطفل.

ينشأ الطفل بالتفاعل بين موجتي الحياة العظيمتين، موجتي الأنوثة والذكورة. تبدو الأم وكأنها كل شيء. إن للأب، في الواقع، دورًا نشطًا ونادرًا. إنه لا يبالي كثيرًا إن كان لا يرى طفله إلا لفترات قصيرة. ولكن

عليه أن يراه أحيانًا، ويلمسه أحيانًا، ويجدد الاتصال معه، ولا يسمح له بالانحراف، وهكذا يوثق العلاقة مع طفله بصورة حيوية.

ولكن، عزيزي القارئ، تذكّرْ، من فضلك، أنه ليس ثمة حاجة لتصدقني، أو حتى تقرأني. تذكّرْ، إنها شؤونك الخاصة لا تورِّطْني.

* * *

الضفائر والمستويات

إن الوعي البدائي في الإنسان وعي ما قبل – العقل، وليست له علاقة بالمعرفة. إنه شبيه بوعي الحيوانات. ويبقى وعي ما قبل– العقل، طول الحياة، جذر وعينا وجسده الممتلئين بالقوة. العقل هو الزهرة الأخيرة، إنه الزقاق المسدود.

إن الضفيرة الشمسية، المركز العصبي الرئيس خلف المعدة هي المكان الأول للوعي البدائي. من هذا المركز نعرف الوعي الديناميكي للمرة الأولى. إن الوعي البدائي ديناميكيٌّ دائمًا، وليس استاتيكيًّا، على الإطلاق، كالوعي العقلي. ماذا نريد من قوى التفكير السحرية، هل التفكير ذرائعي فقط، هل هو ذريعة الروح البارعة من أجل الحياة العملية. إن التفكير مجرد وسيلة للعمل والحياة. لكن العمل والحياة ينطلقان، في الواقع، من مراكز الوعي الديناميكي الرئيسة.

إن الضفيرة الشمسية، المركز الأعظم والأهم لوعينا الديناميكي،

مركز سمبتاوي. بهذا المركز الرئيس لعقلنا الأول نعرف حين يستحيل أن نعرف بالعقل. نعرف أولًا، كل إنسان يعرف وكل كائن حي، بعمق تام ودون سؤال، أن أنا هو أنا. إنها جذر المعرفة كلها وهي راسخة في الضفيرة الشمسية، إنها معرفة ما قبل –العقل الديناميكية، ولا يمكن أن تتحول إلى تفكير. لا أستطيع. لا يمكن أن تكون معرفة أن أنا هو أنا تفكيرًا أبدًا: نعرفها فقط.

تمثل هذه العبارة أول معرفة حقيقية في حياتنا، المعرفة التي رسخت جسديًّا ونفسيًّا في لحظة اندماج نواتي الأبوين، لحظة الإخصاب، والتي تبقى بكاملها جزءًا من المعرفة في كل نواة تشتق من النواة الأصلية. لكن النواة الأصلية التي تكوّنت من اندماج نواتي الأبوين لحظة الإخصاب تبقى أولية ومركزية دائمًا، وتبقى دائمًا الينبوع الأصلي وبيت المعرفة الأولى والأسمى: أنا هو أنا. تتجسد هذه النواة الأصلية في الضفيرة الشمسية.

وتنقسم النواة الأصلية. الانقسام الأول هو انقسام الارتداد كما يقول العلم. يحدث في النواة التامة الناتجة عن اندماج نواتي الأبوين ارتداد أو توكيد جديد. تنقسم النواة التامة، في الارتداد، إلى خليتين مرة أخرى.

وهذه النواة الثانية، الناتجة من الارتداد، هي الأصل النووي لكل النوى الرئيسة، نوى التفرد الأكيد، في الجهاز الإرادي. وتحافظ على مركزيتها في جسم الإنسان الراشد كما كانت في خلية البيضة. تقع نواة الاستقلال الأولى الناتجة مباشرة من نواة الحمل الأصلية الكبيرة،

في جسم الإنسان الراشد، راسخة دائمًا في العقدة القطنية. إنها مركز الاستقلال الإيجابي في العالم.

إن المعرفة الديناميكية في الضفيرة الشمسية هي أنا هو أنا. إن الضفيرة الشمسية مركز الجهاز السمبتاوي كله. إن المعرفة الأصلية العظيمة معرفة سمبتاوية في جوهرها. تتمركز أنا هو أنا في مركز حيوي. إن أنا هو أنا هي المركز الحيوي لكل شيء. أنا هو أنا هي مفتاح كل شيء. الكل سواء. إنها هوية الإنسان.

وتختلف المعرفة في العقدة القطنية، مركز الهوية المستقلة. مع أن العبارة واحدة. في العقدة القطنية أعرف أن أنا هو أنا في تميز عن كل الكون الذي لا يشبهني. إنه أول بريق هائل لمعرفة التفرد والهوية المستقلة. أنا هو أنا، ليس لأني منسجم مع الكون كله، إنها تميزني عن بقية الأشياء كلها وتجعلني ذاتي. أنا هو أنا لأني أمكث مستقلًا ومتميزًا تمامًا عن بقية الكون كله. إنها جذر معرفتنا في استقلال يرسخ في العقدة القطنية طول الوقت. إنها عبارة وجودنا النفسي الديناميكي الثانية.

يتمتع الطفل، بواسطة المركز السمبتاوي الرئيس في الضفيرة الشمسية، بأمه وبهجة مركزيته وانسجامه مع الكون الذي لا يعرفه بعد. انظر إلى صور السيدة مريم وطفلها، بل عليك أن تراها. يجتذب هذا المركز كل شيء إليه، بافتتان يجتذب الحب إلى الروح، ويقتصد في اللبن، وينظم المركزُ ذاتهُ العطاء العظيم للحب واللبن، للغذاء النفسي والجسدي.

يؤكد الطفل، بواسطة المركز الإداري الرئيس في العقدة القطنية، تميزه عن الأم، يؤكد هوية الفرد، وجوده، وقدرته على التعامل مع ما يحيط به. ينبثق من هذا المركز الغرور التافه والشهوانية التي تركل المرح أو تجعله ابتهاجًا ضئيلًا جدًّا، أو التي تخدش الثدي بضراوة تافهة وشعور بدائي بالسيادة تدركه كل أم. تنتمي هذه السيادة البدائية، مرح الكائن الصغير الصرف بوجوده الفردي، رغبة اللعب الهائلة في أول الشباب، والسخرية الخبيثة من حب الأم، وانفجارات المزاج، والغضب الشديد، ينتمي هذا كله إلى الطفولة المبكرة. وتبرق هذه الأشياء كلها تلقائيًّا، يجب أن تبرق تلقائيًّا من مركز الاستقلال الأول الرئيس، من العقدة القطنية المفعمة بالقوة، من المركز الديناميكي للجهاز الإرادي كله، تبرق بروح الغرور ومرح الوجود المستقل. وبواسطة هذا المركز يندفع أيضًا اللبن إلى أمعاء الطفل الصغير، ويندفع إلى الإفراز. إن الحركة واحدة، ولكنها تتعلق هنا بالمادة، وليس بالعلاقة الحيوية وتنبعث من العقدة القطنية الذبذبات الديناميكية التي تسري من المعدة والأمعاء وتحفز الوظيفة الإخراجية للجهاز الهضمي، وتنظم الضفيرة الشمسية عملية التمثيل الغذائي.

هكذا، يتم بناء مستوى الحياة النفسية والجسدية الأول في الانقسام الأول لخلية البيضة، ويبقى تمامًا كما هو طوال حياة الإنسان. وتظل نواتا خلية البيضة الأصليتان نواتين أصليتين في جسم الإنسان الراشد. وتبقى لهما في الضفيرة الشمسية والعقدة القطنية ديناميكية نفسية وجسدية كالتي في نواتي خلية البيضة. وبالطريقة نفسها، يبقى

دائمًا الانقسام الأول الرئيس انقسامًا رئيسًا لا يتغير في التركيب النفسي والجسدي، انقسامًا رئيسًا لا يتغير في المعرفة والوظيفة. إنه الانقسام إلى ثنائية قطبية، نفسية وجسدية، في الكائن البشري. إنه انقسام رأسي أساسي في خلية البيضة وجوهر الإنسان.

وبعد هذا الانقسام، يسري تيار اقتران أو تصادم جديد بين النوى المنقسمة، ويحدث الميلاد الثاني فورًا. تنقسم النواتان أفقيًّا. يحدث انقسام أفقي عبر خلية البيضة كلها، وتصبح النواتان أربعًا، اثنتين علويتين واثنتين سفليتين. تحتفظ النواتان السفليتان بالجوهر الأصلي، ويكون للنواتين العلويتين جوهر جديد ومرة أخرى، تناظر العلويتان السفليتين.

ينتج عن الانقسام الأفقي الرئيس في خلية البيضة، في الطفل النامي، أربع نوى تبقى على حالها. يمثل حائط الانقسام الأفقي الحجاب الحاجز. وتمثل النواتان العلويتان مركزين عصبيين رئيسين، الضفيرة القلبية والعقدة الصدرية. وينشأ مرة أخرى مركز سمبتاوي أساسي للنشاط والمعرفة ومركز إرادي مناظر. تعمل الضفيرة القلبية في مركز الثدي كمركز سمبتاوي أساسي لنشاط ديناميكي ووعي ديناميكي جديد. وتعمل العقدة الصدرية، بالقرب من العمود الفقري والكتفين، كمركز إرادي مفعم بقوة الاستقلال. إنها على الخط الرأسي الذي تقع عليه العقدة القطنية، لكنهما يقعان على خطين أفقيين مختلفين.

علينا، الآن، أن نغير شعورنا تمامًا. علينا أن نؤجل طريقة الفهم

العميقة التي تنتمي لجوهرنا السفلي، علينا أن ننتقل إلى المستوى العلوي، حيث تختلف الكينونة والوظيفة.

يوجد في الضفيرة القلبية مركز الثدي، لنا الآن شمس عظيمة وجديدة للمعرفة والكينونة. هنا تنتهي الذات. هنا لم تعد «أنا هو أنا» معرفة خفية مبهجة. هنا تنتفي الأنا. هنا أعرف فقط البوح المليء بالبهجة. أعرف أن أنت هو أنت. لم تعد الأعجوبة داخلي. الأعجوبة خارجي، لم أعد أستطيع أن أبتهج وأن أعرف أنني شمس الكون المركزية الخفية. أنظر الآن بدهشة وحنين واشتياق مرح إلى خارجي، ورائي، إلى ما ليس أنا. لاحظ، أنّ ما كان سلبيًّا حتى الآن أصبح هو الإيجابي الوحيد. إن الآخر هو الآن الحقيقة العظيمة الإيجابية، وصارت نفسي وكأنها لا شيء. بدّلتْ الإيجابية موضعها.

إذا أردْتَ أن تنظر نظرة وصفية، فعلينا بالاتجاه إلى الشمال، وبدقة إلى أطفال السادة الشماليين المدهشين ذوي الأعين الزرقاء. إنهم ضعفاء وأبرياء إلى حدٍّ بعيد، ومستهترون بالطقوس تمامًا. ليسوا كأطفال الجنوب وليسوا عكسهم. تختلف طقوس حياتهم كلها. بدل أن يكملوا كل شيء داخل نفوسهم، كما يفعل أطفال الجنوب البسطاء الداكنون، يبسط أطفال المسيح الشماليون أيديهم الصغيرة الرقيقة بالزهور في سذاجة مدهشة إلى الأمهات الرقيقات الموقرات. تنغمس مادونا بوتيشللي *Botticelli* في الشهوة المنكرة الجريحة مع مادونا هانز مملنك *Hans Memling* ذات الروح النقية الموقرة. تقول الأم الشمالية: لا أفهم الطقوس والعزة، دعني بلا ذات، دعني أبحث

فقط عما هو نقي تمامًا ومدهش تمامًا. وتقول الأم الجنوبية: إنه ملكي، إنه ملكي، إنه طفلي، أعجوبتي، سيدي، مولاي، كارثتي، إنه لي.

يصعد الطفل، بواسطة الضفيرة القلبية، إلى النعيم. يبحث عن إلهام غير معروف. يبحث، في دهشة، عن الأم. يبسط يديه الصغيرتين ويمد أصابعه الصغيرة ليلمسها. والنعيم، النعيم، النعيم، إنه يلاقي الأعجوبة في الهواء ويجد وجه الأم المحبوب في الفضاء. يبسط أصابعه الصغيرة ويغلقها في منتهى السعادة، يضحك في دهشة ضحكة ليست أنانية تعبر عن نعيم طفل نقي في نشوة أولى بالعثور على ثروته كلها، يلتمس طريقه إليها ويعثر عليها في الظلام. يفتح عينيه الواسعتين ليرى، يرى. ولكنه لا يستطيع أن يرى. إنه مضطرب، إنه يقطب وجهه. لكن الأم تقترب بوجهها منه، وتضحك وتتحدث بمودة وحب، ويرتعش الطفل بنشوة الحب. تكمن الثروة وراء الفتنة والدهشة. سمو البهجة العظيمة. يتدفق هذا كله من مركز الثدي الأول، من شمس الثدي، من الضفيرة القلبية.

وبواسطة المركز نفسه يعمل القلب والتنفس بصورة رائعة. آه، التنفس، التنفس، كالأمل، نتنفس في شوق ثابت لا ينضب. يختلف الأمر حين نتنفس أو نبدأ في التنفس عن البدء في الطعام. حين نشهق، نأخذ نفسًا، نحنُّ لسماء من الهواء والنور. وحين ينبسط القلب لاستقبال تيار الدم القاتم، يبسط ذراعيه كعاشق. ينبسط في سعادة موقرة، كمضيف يفتح أبوابه لضيف محترم، يسعد بخدمته: يفتح أبوابه للأعجوبة التي تأتي إليه من بعيد والتي من دونها ينتهي كل شيء.

هكذا ينبسط قلبنا وتتمدد رئتانا. يأمرها دافع عظيم وسري في الضفيرة القلبية، يأمرها بالبحث عن السر وإشباعه. إنها تبحث عن الأبعد، عن هواء السماء، الدم الحار الآتي من العالم السفلي المظلم. هكذا نعيش.

ثم تنبسط وتنقبض، في حركة عكسية بواسطة مركز العقدة الصدرية الإرادي المفعم بالقوة. وتلك الأشياء التي نقتصدها، يتم التخلِّي عنها، يسمح لها بالانطلاق إلى الأمام بصورة سلبية، لا يتمّ رفضها بصورة إيجابية، ولكن يتم التخلِّي عنها.

ثمة ثنائية تكاملية مدهشة بين النشاط الإرادي والسمبتاوي على المستوى نفسه. وتوجد بين المستويين، العلوي والسفلي، ثنائية إضافية، قد تكون أكثر روعة. يوجد عالم من الاختلاف بين عبارة المعرفة الأولى المتوقدة والخفية في الضفيرة الشمسية: أنا هو أنا، الكل فيّ واحد؛ وعبارة المعرفة الإرادية الأولى: أنا ذاتي، والآخرون ليسوا مثلي. وحين يتغير العالم ثانية، نتحقق بواسطة المستوى العلوي من أعجوبة أشياء أخرى، والفرق مرهق غالبًا. العقدة الصدرية هي عقدة القوة. حين يبحث الطفل في نعيمه الرقيق عن الأم ويجدها وينضم إليها، يشبع نفسه بالأداة السمبتاوية العلوية العظيمة. لكنه يتخلى عنها بعد ذلك، يتوقف عن إدراكها. وإذا حاولت أن تدفعه في اتجاه حبها ثانية، يكشفها لنفسها كالضوء، ويتحول عنها الطفل. أو يمكث وينظر إليها نظرة فضولية غريبة غامضة، يتجسس عليها كولد صغير مؤذ. لا تستطيع أمهات كثيرات احتمال هذه النظرة الفضولية. إنها تبعث، لا

إراديًّا، الكراهية بداخلهن –وبالإضافة إلى ذلك تحفظ نظرة الفضول المتفحص إرادتهن. إنها، مع هذا، نظرة تأتي إلى عيني كل طفل. إنها نتاج الضفيرة الإرادية الرئيسة بين الكتفين. فجأة تتم تنحية الأم جانبًا، تُرى كموضوع فضولي، ببرود، أحيانًا على هيئة حلم، وأحيانًا بصورة مشوشة، وينظر إليها أحيانًا في سخرية.

إذا أهملت الأم طفلها، فإنه يصرخ ويبكي؛ من أجل حبها واهتمامها. إن نواحه المثير للشفقة شكل من أشكال القهر، مصدره المركز العلوي، وهذا الإلحاح على الشفقة والحب يختلف تمامًا عن بكاء الغضب، إن بكاء الغضب قهر مصدره المركز السفلي، أسفل الحجاب الحاجز. مرة أخرى، يلقي بعض الأطفال بكل ما يستطيعون الوصول إليه على حافة سريرهم أو طاولتهم. يلقون بكل شيء بعيدًا عن الأنظار، ثم يتطلعون بنظرة فضولية إلى انتصار سلبي. إنه ارتداد مصدره المركز العلوي، ارتداد يطمس ما هو خارجي. وهنا يعمل الطفل بصورة تختلف تمامًا عن الطفل الذي يحطم في سعادة. تأتي الرغبة في التحطيم من المراكز السفلية.

يمكن أن نعرف تمامًا الإرادة المبذولة من المركز السفلي. نطلق عليها المزاج العنيد المفعم بالسيادة. لكن إرادة المركز العلوي تتميز بموضوعية عصبية خلّاقة، بقوة التعاطف المتأنية، باللعب على الشفقة والإحساس، بالتنمر الحزين للحب أو بالتنمر الخيرّ للحب – إنها أشياء لا نهتم بمعرفتها. إنه تطرف الإرادة الروحية. وتمثل العقدة الصدرية في تآلفها الحقيقي مركز النشاط المبهج: الشغف بالفضول

الحقيقي، الرغبة المبهجة في تحليل الأشياء وانتقادها، والرغبة في تجميعها ثانية، الرغبة في «الاكتشاف»، والرغبة في الاختراع: ينبعث كل هذا من المستوى العلوي، من المركز الإرادي في العقدة الصدرية.

* * *

الأشجار والأطفال والآباء والأمهات

أوه، اللعنة على الطفل البائس وعلى لاشعوره الذي يشبه طاولة البنج بونج المعقدة. عزيزي القارئ، من المؤكد أنك ستفضل الاستماع إلى صراخ الطفل المزعج في مهده عن الاستماع إلى شرحي عن ضفائره. عليّ «للاختلاط بأولئك الأطفال» أن أختلط معهم كلغم إذا وجدتُ أي سبيل للاختلاط بهم. إن عينتي التشريحية، لسوء حظي، أرنب تافه، ولا يمكن الاستفادة بالأشياء التافهة.

إنه يزعج أعصابي. أروي وأنا أحمل قلمًا رصاصًا وكتاب تمرينات في وقار، وأجلس بكل رزانة عند قدم شجرة تنّوب ضخمة، أنتظر الأفكار، وأن أحفر كالسنجاب في البندقة. لكنني أحفر في تجويف البندقة.

أعتقد أنه توجد أشجار كثيرة جدًّا. تبدو وكأنها تتزاحم حولي وتحدق في، وأشعر وكأن إحداها تمسّ الأخرى حين لا أتطلع إليها. أستطيع أن أشعر بها وهي واقفة هناك. لن تجعلني، هذا الصباح،

أتحدّث عن الطفل. لعنتها تمامًا. أشعر أنها تحثني كزوجات الأمس الصامتات والمفعمات بالدهشة.

إنها أيضًا نصف ممطرة -الغابة رطبة وهادئة ومبهمة تمامًا في هواء الصباح البعيد. الصباح، المطر في السماء، الغابة ترقد في رقة، أشعر بأنني لسْتُ أكبر من حشرة البازلاء بين جذور التنُّوب. تبدو الأشجار أكبر مني تمامًا وأقوى في الحياة، إنها تجوس حولي صامتة. أشعر بها تتحرك وتفكر وتجوس وتغمرني. آه حسنًا، الاستسلام لها هو الحل الوحيد.

إنها حافة الغابة السوداء -يبتعد الراين أحيانًا، في سهله الخاص، كقطعة ضئيلة من شريط المنجنيز. لكنه ليس موضوع اليوم. اليوم للأشجار وأوراقها وللخضراوات فقط. ترسل أشجار التنوب الضخمة الملساء وأشجار الزان الضخمة أنهارًا من الجذور في الأرض. تصطف الوقاويق كالضوضاء وتسقط أوراق الشجر. وأجلس كالأحمق في دروب الغابة المعشوشبة ومعي قلم رصاص وكتاب، وآمل في كتابة المزيد عن ذلك الطفل.

لا تهتم. أستمع للضوضاء ثانية، وأشمّ الطحلب الرطب. تبدو الأشجار ضخمة وملساء إلى حدّ بعيد، أستمع إلى صمت الأشجار الكبيرة ذات الجذوع الطويلة، وحولها وحشية هائلة أو بربرية -لا أعرف لماذا علي أن أقول وحشية. أجسامها ضخمة، قوية ومستديرة! يبدو أنني أكاد أسمع طبل النُّسغ البطيء القوي في جذوعها. أشجار عظيمة مليئة بالدم، دم الشجر العجيب يطبل دون صوت.

تلك الأشجار ليس لها أيادٍ أو وجوه أو أعين، ومع ذلك يهدر الدم في نسغ الأعمدة العظيمة ويفوح منها. حياة الفرد المبهمة وإرادة تلقي بظلالها؛ ثمة شيء مرعب.

افترض أنك تريد أن تنظر إلى وجه الشجرة. لن تستطيع. ليس لها وجه. تستطيع أن تنظر إلى الجذع القوي، وأن تنظر إلى شعر الغصينات والفروع المتلبدة فوقك؛ وأن ترى القمم الخضراء الناعمة. لن ترى أعينًا. لا تستطيع أن تواجه تحديقها. إنك تزعجها بالنظر إليها جزءًا جزءًا.

ليس عملًا طيبًا أن تنظر إلى شجرة لتعرفها. الحل الوحيد أن تجلس فوق الجذور وتستند إلى جذعها القوي دون قلق. تلك هي الطريقة التي أكتب بها عن المستويات والضفائر -أجلس بين أصابع أقدام الشجر، وأنسى ذاتي على رسخ الجذع العظيم. وعمومًا، كما يصطدم سنجاب في براعة بسحر شجرة بلا وجه، أصطدم عادة بالنسيان، وبالكتابة المتعجلة لهذا الكتاب. كتابي- الشجرة، حقًّا.

أحاول بصورة طيبة أن أفهم مقام الشجرة الرفيع. عرف الآريون القدماء مقام الشجرة الرفيع. أسلافي. شجرة الحياة. شجرة المعرفة. حسنًا، يرتبط المرء لبعض الوقت بقليل من حماقة الآري القديم حتى يتبرعم. هكذا أستطيع أن أفهم مقام الشجرة الرفيع تمامًا، وأخشى الحافز الأعمق.

إنها، بصورة طبيعية، شخص هائل الغموض بلا وجه أو شفتين أو عينين أو قلب. إنها كائن شاهق، لم يكن له وجه أبدًا. إنني، هنا، بين

أصابع قدمه أشبه حشرة بازلاء، ينتشر في بلا ضجة وأشعر بنافورته العظيمة تموج بالدم. إنه بلا عينين. لكنه ينمو بطريقتين: يندفع بصورة هائلة إلى أسفل وسط الأرض، حيث يهبط في الظلام، في الرطوبة، تحت التربة السميكة؛ وينمو عاليًا في الهواء؛ بينما نحن بأعينٍ على ناحية واحدة فقط من رؤوسنا، وتنمو إلى أعلى فقط.

يغمر نفسه إلى أسفل في الدُّبال القاتم، مع سحر تدفق الجذر، حيث يمكن فقط أن ندفن الموتى؛ وقمته في الهواء، حيث يمكن فقط أن نتطلع إلى أعلى. إنه، في اتجاهيه، مبهم ومفعم بالقوة وسارّ. إنه، طوال الوقت، بلا وجه، بلا تفكير: مجرد روح ضخمة، قذرة، بلا تفكير. أين يصون روحه؟ -أين يصونها أي شخص.

روح ضخمة مغمورة وهائلة. أود، للحظة، أن أكون شجرة. إنه شبق الجذور العميق. جذر شبق. بلا عقل تمامًا. أجلس وأشعر بالأمان وهي تسمو. أود أن أشعر بها وهي تسمو حولي. اعتدْتُ الخوف. اعتدْتُ أن أخشى شبقها. لكنني الآن أحبها وأبجلّها. شعرتُ دائمًا وكأن الأشجار أعداء ضخام بدائيون، لكنها الآن ملجئي وقوتي الوحيدة. أفقد نفسي بين الأشجار. أسعدُ تمامًا حين أكون معها في صمتها، وشهوتها، وشبقها العظيم. إنها تغذي روحي. أستطيع أن أفهم أن المسيح صُلب على شجرة.

وهكذا أستطيع أن أفهم الرومان تمامًا، وأن أفهم رعبهم من غابة هيرسن المنتصبة. لكن حين تنظر بازدراء من أعلى إلى تموّج الغابة -هذه الغابة السوداء- تراها لطيفة كبحر زيتي يتموج. إنها تنتصب،

من الداخل فقط، بصورة مروِّعة. روعت الرومان.

الرومان! يبدو أنهم قريبون جدًّا، أقرب من هندنبرج أو فوش أو حتى نابليون. حين أنظر عبر وادي الراين، تلحظ روحي الرومان وأعضاء الراين. من المدهش حقًّا أن آتي من جنوب إيطاليا إلى شواطئ هذه الغابة التي تشبه البحر: هذه الغابة المعتمة الرطبة بأشجارها الكثيفة الهائلة القوية. أعرف، جئتُ من صخرة صقلية الجافة وذاتي منفتحة على النهار.

رأى الرومان واليونانيون كل شيء إنسانيًّا. إن لكل شيء وجهًا وصوتًا إنسانيًّا. تكلم الرجال، واستجابت ينابيعهم.

وحين عبرت الفيالق نهر الراين، وجدت حياة مبهمة صامتة لا يمكن استيعابها. قابلوا في الغابة السوداء صمتًا بلا وجه. حين تحدثوا إلى هذه الغابة الضخمة لم تُجبْ. كان صمتها فجًّا وهائلًا تمامًا. انكمش الجنود أمام أشجار بلا وجه، أشجار لا ترد. إنها جماعة مبهمة تعيش حياة لا إنسانية، إنها مظلمة، تكتفي بذاتها، وتنتصب بطاقة لا تُقهر. لا يمكن للمرء أن يسبر غور غابة هيرسن. إن القوة الهائلة لهذه الأشجار المجتمعة وحياتها القائمة أقوى حتى من الرومان.

إن هلع الجنود لا يثير الدهشة. إن انسيابهم في رعب، حين عثروا في أعماق الغابة على الجماجم والنصب التذكارية لرفاقهم الموتى فوق الأشجار، لا يثير الدهشة. افترستهم الأشجار في صمت وبملء الأفواه، وتركت العظام البيضاء. عظام الرومان اليقظين –والأشجار التي لا تعي، البذيئة، والتي لا تُقهر. في أوردة الألماني الحقيقي بعض

من نسغ الأشجار حتى الآن: نوع من البذاءة الأصيلة، إنه كالأشجار بائس لكنه الأقوى بكل عقلانيته. إن له روح شجرة، وآلهته ليست إنسانية. ما زالت غريزته تسمِّر الجماجم والنصب التذكارية إلى الشجرة المقدسة في أعماق الغابة. شجرة الحياة والموت، شجرة الخير والشر، شجرة التجريد والحياة الضخمة غير العاقلة؛ شجرة لكل شيء إلا الروح، إلا الروحانية.

لكن بعد عظام صقلية الجافة، وبعد ثرثرة عدد ضخم من البشر الذين يقعقون جميعًا بشخصياتهم، أنا سعيد مع أشجار بلا وجه، أشجار عميقة التشابه. لا يمكن أن تدرك ببدائيتها لماذا نهتم بما نهتم به. إنها بلا وجوه، بلا عقول، وبلا أمعاء: لها فقط جذور شبقة ومبهمة تمتد في الأرض، ولها حياة رشيقة في الهواء، وشخصية بدائية حتى الآن يمكن أن تقدس كل روحانيتك على مذبحها. يمكن أن تسمِّر جمجمتك إلى أطرافها. إنها بلا جماجم، بلا عقول أو وجوه، لا يمكن أن تنظر بعين المحبة. حياتها المبهمة تعفي من كل ذلك. لكنها ستواريك.

تمتد الحياة الطبيعية لكل شجرة من هذه الأشجار الكبيرة إلى مائة سنة تقريبًا، هذا ما أخبرني به الهرّ بارون.

هذه الغابة أحد الأماكن القليلة التي ستتردد عليها روحي حين أموت. هنا بين الأشجار بالقرب من ابرشتاينبرج حيث جلستُ وحيدًا أكتب هذا الكتاب. لا أستطيع امتلاك هذه الأشجار. سلبتْني بعض روحي.

أيها القارئ المهذب، معذرة لهذا الاستطراد. في البداية، تركتُ الغابة، معتقدًا أننا قد لا نرى أنها مكان للأشجار. لكنها لا تهتم كثيرًا بما نرى. جميل فقط أن تنظر حولك، إلى أي مكان.

يوجد مستويان للكينونة والوعي، ونموذجان للعلاقة والوظيفة، سندعو المستوى السفلي حسيًّا، والعلوي روحيًّا، قد لا تكون الأسماء ملائمة، لكننا لا نستطيع التفكير في أسماء أخرى.

عزيزي القارئ، اقرأ ذلك ثانية من فضلك؛ ستضطرب قليلًا، وتعترف بالغابة.

من الواضح أن الطفل منذ ولادته أو منذ الحمل، يكون على علاقة دائمة بالعالم الخارجي، علاقة ذات نموذجين، ليست علاقة ذات نموذج واحد. توجد طريقتان للحب، وطريقتان للنشاط المستقل. نحتاج لنوع من التوازن بين النموذجين. وبالطريقة نفسها، يقوم الجسد بوظائف الأكل والشرب والإخراج على المستوى السفلي؛ والتنفس ونبض القلب على المستوى العلوي.

الآن يجب ترسيخ التوازن في شكل رباعي. يجب وجود توازن حقيقي بين ما نأكله وما نلفظه ثانية بالإخراج: وكذلك بين انقباض القلب وانبساطه، بين الشهيق والزفير في عملية التنفس. يكفينا القول بأن التوازن لا يحدث أبدًا بصورة تامة. يفرط معظم الناس في السمنة أو النحافة، في الدفء أو البرودة، في البطء أو السرعة، لا يوجد ما يمكن أن يمثل معيارًا حقيقيًّا، معيارًا للحياة، ليس المعيار إلا تجريدًا، ليس حقيقة.

وكما يحدث على المستوى الجسدي، إما أن نفرط في الحب أو في فرض إرادتنا، إما أن نفرط في الروحانية أو الحسية. لا يوجد ولا يمكن أن يوجد معيار حقيقي للاتصال البشري. إنه يعتمد تمامًا على الاحتياج الداخلي غير المعروف في المراكز النووية الحقيقية للفرد نفسه أولًا، ويعتمد على الظروف ثانيًا. يجب أن يفرط البعض في الروحانية، ويفرط البعض في الحسية. يجب أن يفرط البعض في الود ويفرط البعض في الغرور. ليست بنا رغبة في تحديد أي الرجال يجب أن نكون. نود فقط أن نقول إن كل سبل الوجود موجودة، ولا يوجد ما يمكن أن ندعوه الكمال الإنساني. لا يستطيع الإنسان أن يكون أكثر من نفسه، في علاقة حياة صادقة مع كل ما يحيط به. لكن ما هو أنا، حين أكون «ذاتي» سيلعنها بالتأكيد أولئك الذين يكرهون تكامل الفرد، ويريدون أن يعيشوا في حشود. وما هو أنا في ذاتي، كينونة ذاتي، قد يجعل شَعْر إنسان، هو أيضًا ذاته ويختلف تمامًا عني، ينتصب غضبًا. دعه ينتصب. وإذا انتصب شَعْري للخلف ثانية، دعْنا إن كان من الضروري أن يحلّق أحدنا فوق الآخر كرجلين غاضبين. هذا ما يجب أن تكون عليه. تعلمنا أن نعيش من مركز مسؤوليتنا فقط، دع الآخرين يفعلوا الشيء نفسه.

نعود، مع ذلك، إلى الطفل، وتطوره على محوري الوعي. يوجد، طول الوقت ومنذ البداية، اتصال ديناميكي مباشر بين الطفل والأم وبين الطفل والأب، اتصال على المستويين العلوي والسفلي. المركز السمبتاوي السفلي هو مسرب الحب العميق أو الذبذبة من المناظر الخارجي الحي. والمركز السمبتاوي العلوي مركز الحب

والذبذبة العاطفية في حب محدد وانتباه محدد. يتوازن دائمًا المركزان السمبتاويان أو يجب أن يتوازنا دائمًا، مع المراكز الإرادية المناظرة. يتولد للطفل إرادته واستقلاله وسيادته من العقدة الإرادية الرئيسة في المستوى السفلي.

بواسطة نشاط هذا المركز يرفض الطفل التقبيل، ويضرب بيده ويحافظ على غرور استقلاله كحيوان بري صغير. عليه أن يأمر وأن يُطاع بواسطة هذا المركز. وبواسطة هذا المركز قد يصبح، أيضًا، مخربًا ومنحرفًا وطائشًا، وقد يقرر أن يشق طريقه بأي ثمن.

يتعلم أيضًا بواسطة هذا المركز استخدام قدميه. إن حركة السير مزدوجة كحركة التنفس. يتم في البداية التصاق سمبتاوي للقدم بالأرض: ثم الرفض الإرادي، الرفس، الركل، بهجة القوة والحرية.

بواسطة المركز الإرادي العلوي يرتقب الطفل رعاية الأم بدأب متعَّمد: يرتقب ملاحظتها ومداعبتها، باختصار يتم وجود الطفل من خلال رعاية الأم. ويرفض أيضًا، بواسطة هذا المركز، ببرود أن ترعاه الأم حين تصر على المبالغة في الرعاية. ويختلف هذا الرفض البارد عن الرفض النشط الذي يصدر عن المركز السفلي. إنه انفعالي، لكنه بارد وسلبي، إنه قوة يومنا العظيمة. يتنفس الطفل وينبض قلبه أيضًا بواسطة عقدة الكتفين. يتعلم بواسطة المركز نفسه أول استخدام ليديه. يعانق أمه بيديه في إيماءة التعاطف التي تصدر عن المستوى العلوي. يمدّ أصابعه، يلمس، يشعر ويستكشف في حركة الفضول أو الاهتمام التي تنبثق من العقدة الصدرية. وفي حركة الرفض يسقط غير

المرغوب، بتروٍّ، بعيدًا عن الأنظار.

وحين تكون المراكز الأربعة التي ندعوها حقل الوعي الأول نشطة تمامًا، تبدأ العينان في التقاط ما تشاهدانه، والفم في الكلام، وتدرك الأذنان براعة السمع، وينتج هذا كله عن النشاط الرباعي العظيم لحقل الوعي الديناميكي الأول. ثم يستيقظ العقل، نتيجة لذلك أيضًا، على انطباعاته وانضباطه البدائي. وفي البداية، يكون الانضباط غير عقلي وحتى غير مخيّ. فقط يعمل الدماغ كلوحة المفاتيح.

ودور الأب، أثناء نمو الطفل الأولى، هو الوقوف في الخارج كسلطة نهائية واتخاذ التعديلات اللازمة. حين يوجد تعاطف شديد تضعف المراكز الإرادية الرئيسة في الحبل الشوكي، ويميل الشخص للتهذيب. ومن ثم يدعمه الأب غريزيًّا بالخشونة، بالصرامة التي تقوي مراكز المقاومة والاستقلال في الطفل بشكل صحيح منذ الأيام الأولى. غالبًا، وبالنسبة لمجرد طفل، تبدأ رهبةُ الأب أو صلابته أو ذبذبة صوته نشاط العقدة الإرادية الرئيسة المولَّد بالاحتكاك المستقل، وتمنح دافع الاستقلال الأول الذي يمثل الحياة نفسها فيما بعد.

ومن ناحية أخرى، يدعم الأب طفله وينشطه ويغذيه عن بعد، عن بعد في النهاية، إلا أن الطفل يسكن إلى حب الأب القوي في راحة تفوق حب الأم؛ لأن المراكز السائدة في الذكر هي أساسًا مراكز الإرادة، مراكز المسؤولية والسلطة والرعاية.

يحفظ دور الأب، مرة أخرى، نوعًا من التوازن بين طريقتي الحب في الطفل. قد تأمل الأم في تربية ابنها على المراكز العلوية المحبوبة

فقط، على مراكز الثدي، بالطريقة التي نطلق عليها الحب النقي أو الروحي. ويصبح الطفل مهذبًا تمامًا، حساسًا تمامًا، يشعّ إحساسًا، ويتصرف دائمًا بأدب ورفق، وتبقى دائمًا الفداحة والألم والخشونة. الآن، على غريزة الأب أن تكون خشنة وفجة، وحشية، طيبة بصورة أساسية مع الطفل، وأن تدعو المراكز الأعمق، المراكز الحسية للعمل. «ماذا تريد؟ رقابتي؟ حسنًا، لا تستطيع أن تأخذها، أترى، إنها ملكي» لا يوجد تفسير آخر لما «تراه أيها الحبيب» لا يوجد شيء على هذه الدرجة من التفاهة –أو إذا انتحب الطفل طلبًا لأمه من دون ضرورة، فعلى الأب أن يراجعه. «كُفَّ عن الضجيج أيها الطفل الضئيل المزعج! ما يزعجك أيها المنتحب؟»، ومن ثم لن يحدث للطفل، إذا كان مفرط الحساسية والعطف، أذى إذا طرد الأب القطة من الشباك أحيانًا، أو ركل الكلب أو فجّر عاصفة في البيت. إن وجود العواصف ضروري. وإذا كان الطفل كبيرًا وقويًّا بشكل كافٍ. يمكن أن يستقر أحيانًا في حضيض توبيخ الأب العنيف، إذا رفضت الأم إنجاز الواجبات الأهم. وبالنسبة للحضيض، يخلق الطفل للتوبيخ أحيانًا. تؤثر ذبذبة التوبيخ على الجهاز العصبي الشوكي مباشرة، حيث يوجد تبادل وتفاعل مباشران. ينقل الموبِّخ حنقه إلى مراكز الإرادة الرئيسة في الطفل، تتفاعل مراكز الإرادة بقوة، يتم تنشيطها وتعليمها.

ومن ناحية أخرى، إذا كانت الأم تميل للقسوة أو التبلد الشديد، فإنها تعتمد على الأب ليمنح الطفل التعاطف الرقيق والسلوك المهذب. ويكون على الأب أن يُظهر حساسية النموذج العلوي

الفائقة. ومما يدعو للأسف أن هؤلاء الأمهات النادرات ليست لهم أمعاء حب عميقة -أو حتى ثدي حب. لهن إرادة روحية كريمة، إرادة الذات العليا. لكن الإرادة ليست حبًّا. إن كرم أحد الأبوين عمل خطير. إنه تنمّر. وعلى الأب، في هذه الظروف، أن يهب الانضباط الرقيق، وأن يهب، قبل كل شيء، بعض الدفء والحب الفطري من الذات الحسية الأغنى.

إن السؤال عن العقاب الجسدي سؤال مهم. لا أهمية تقريبًا للطفل الحساس المنكمش. إلا أن الطفل إذا كان منكمشًا جدًّا، وحساسًا جدًّا، فقد يصنع عالمًا من السعادة الخّيرة ليوبخ مؤخرته. ليس بقسوة أو وحشية، ولكن بغضب حقيقي وخيّر بصورة أساسية. ليتحمل الراشد المسؤولية كاملة، بشكل نصف هزلي، دون اعتذار أو تفسير. ولنتجنب الانضباط الذاتي مهما كلف الأمر. ينتسب العقاب البدني الحقيقي إلى المستوى الحسّي. إن العقاب الرقيق بالطريقة الروحية، عادةً، أكثر بذاءة وخطورة من الضرب الخيّر. إن استنكار الأم المؤلم والمستسلم بالغ السوء عادة، إنه أسوأ من صيحات غضب الأب. إن إرسال الطفل إلى السرير وحرمانه من الحلوى لمدة أسبوع... إلخ أكثر وحشية ودلالة من الضرب على الرأس بعنف. ثمة تفاعل عاطفي حي حين يضرب الأب ولده. وفي العقاب الرقيق لا يعاني الأب ويقتل الطفل. إن تنمر الإرادة الروحية الكريمة الرقيقة نقد لاذع للروح ببساطة. إلا أن الأبوين يدبران ذلك بكل فضيلة الاستقامة والشدة الخيرة، مبرِّئين نفسيهما تمامًا.

تكمن، هنا، النقطة الأساسية. إن دفعك الطفل لتوبيخه توبيخًا حقيقيًّا، فعليك توبيخ الطفل المؤذي توبيخًا حقيقيًّا. وعليك أن تدرك طول الوقت ماذا تفعل، وأن تكون مسؤولًا عن غضبك دائمًا. لا تخجل منه أبدًا، ولا تتخلى عنه أبدًا. إن تفاعل الغضب الذي يبرق بين الوالد والطفل جزء من علاقة مسؤولة وضرورية للنمو. مرة أخرى، إذا ضايقك الطفل بعمق، بحيث لا تستطيع أن تتواصل معه أكثر من ذلك، حين تكون الإساءة عميقة، كُفَّ عن ارتباطك بالطفل، اقطع انسجامك معه واقطع تواصلك الحيوي، واجلس وحيدًا. وبعد أن ينتهي غضبك العميق، لا تستمر أبدًا على هذه الحالة. القاعدة الوحيدة: افعل باندفاع ما تأمل أن تفعله حقًّا، بإخلاص دائمًا وعلى مسؤوليتك وتحمل شجاعة عاطفتك القوية. إنها تغني روح الطفل.

يعتمد تعليم الطفل الأولي بصورة تامة تقريبًا على علاقته بأبويه، وإخوته، وأخواته. إن القانون بين الأم والطفل، بين الأب والطفل: أنا الأم ذاتي وحدها: الطفل ذاته وحدها، وبيننا علاقة ديناميكية حيوية، ولأني شخص واعٍ فأنا مسؤول بصورة أساسية. هكذا، وبقدر الإمكان، عليّ ألا أنحرف داخليًّا عن ذاتي حتى لا أجرح العلاقة الديناميكية قبل الواعية. عليّ أن أعمل تمامًا ما تمليه مشاعري الحقيقية التلقائية. وبالإضافة إلى ذلك، عليّ أن أتحلى بالحكمة من أجل ذاتي ومن أجل طفلي. حكمة المسؤولية العميقة دائمًا وأبدًا. ودائمًا المسؤولية الشجاعة من أجل عفوية الروح. الحب –ما الحب. إن الوصول إلى فكرة جديدة أفضل. إن الحب، عمومًا، دافع نبيل حتى لو كان توبيخًا

خيرًا. لكن الحكمة شيء مختلف، هدوء الروح العميق، التزام كينونتي المتكاملة العميق، إنها تجعلني مسؤولًا ليس بالنسبة للطفل، لكن بالنسبة لواجباتي المحددة تجاه الطفل، والحفاظ قدر الإمكان على التدفق الديناميكي بيني وبين الطفل: أي، يجب ألا تفسده المثاليات أو تفسده إرادتي.

إن التسلط في أي شيء أكثر قتلًا وأكثر امتلاء بالكراهية. لكن ما التسلط؟ إنه رغبة في أن أفرض إراداتي على شخص آخر. بالطبع، من السهل تحديد التسلط الحسي بدقة. إن التسلط المثالي هو الأخطر. يرغب الناس، بصورة مثالية، في فرض ما يرونه حسنًا. أعتنق على سبيل المثال مثلًا أعلى وأحاول التأثير به على شخص آخر هذا هو التسلط المثالي. ترى الأم أن الحياة كلها يجب أن تكون حبًّا ورقة وعطفًا ودماثة. وتبدأ في غزل نسيج رهيب من العطف الدائم والدماثة والهدوء حول طفلها المتهور والعاطفي بطبيعته. وهذا يحبط الطفل حتى يصبح نصف أبله أو مجرمًا. قد أعتنق مثلًا عليا إذا أحببت –مثلًا عن الحب والعطف والحلم. إن فرض أي مثل على الطفل في مرحلة النمو يكاد يكون إجرامًا. إنه يؤدي إلى الإفقار والتشويه، والإعاقة بالتالي. إن مثل الحب والخير، في أيامنا، هي الأخطر. إنها تؤدي إلى الوهن العصبي، إلى تشوش المراكز الإرادية الرئيسة أو انهيارها أو تعطيلها. نلح على نموذج حياة واحد فقط، النموذج الروحي. إنه يقمع المراكز السفلية الرئيسة، ويجعل العيش نوعًا من نصف حياة، ويكاد يستنزفنا بواسطة المراكز العلوية. ولأننا نعيش في رهبة وتستنزفنا

المراكز العلوية، فإننا نميل إلى السل ووهن القلب العصبي. يستنزف مركز الثدي السمبتاوي الرئيس، احترقت الرئتان بالإلحاح الزائد على طريقة واحدة للحياة، ومرضتا، ويُشدُّ القلب إلى نموذج واحد، نموذج الانبساط، وينتقم. لم تعد المراكز السفلية القوية تعمل بنشاط تام، خاصة العقدة القطنية الرئيسة، مفتاح غرورنا الحسّي الشهواني ومفتاح استقلالنا، إنها تضمر بالقمع. إنها العقدة التي تحفظ العمود الفقري منتصبًا، ولذا تضعف صدورنا وتستدير أكتافنا، ونقف مقوسين إلى الأمام على أنفسنا. انعدم الآن نشاطها السمبتاوي تمامًا نتيجة لكل هذا الحب ولمثالية المحبة، ولكنها ما زالت راسخة ومحددة في عملها الإرادي.

لنحترس ونحترس ونحترس من تكوين مثالية عليا عن أنفسنا. ولنحترس خاصة من تكوين فكرة مثالية عن أطفالنا. إذا فعلنا أهلكناهم. كل ما يمكن هو أن نتحلى بالحكمة. والحكمة ليست نظرية، إنها حالة الروح. حالة نعرف فيها كل كليتنا وجوهر كينونتنا المعقد والمتشعب. حالة نعرف فيها علاقاتنا العظيمة مع المقربين منا. إنها حالة تقبل المسؤولية كاملة، بالنسبة لأرواحنا أولًا، وبالنسبة لعلاقات الحياة الديناميكية حيث كينونتنا! إن معرفة الإنسان للآخر لا أهمية لها. على كل إنسان أن يعرف ذاته. وفي هذه الأيام يدّعي الرجال بضآلة أن الأطفال والبلهاء فقط يعرفون الأفضل. إنها سفسطة بارعة، وجبن إجرامي، يحاول مراوغة مسؤولية الحياة التي لا يمكن لرجل أو امرأة أن يراوغها من دون كارثة.

الحل الوحيد هو المباشرة. إذا كان على الطفل أن يبتلع زيت الخروع فقل: «عليك أيها الطفل أن تبتلع زيت الخروع. إنه ضروري لأحشائك. ما أقوله حقيقي. افتح فمك». لماذا نحاول مع الأطفال بالتملق والمنطق والحيل؟ إن الأطفال أكثر حصافة منا. إنهم يلاحظون بسرعة كافية أي خطأ في هدفنا وفي العفوية الحقيقية. إنهم يتملقون تفاهة زيفنا ليدفعوا الجحيم حين يوجد.

«عزيزي، تحب الأم أم لا؟» -مجرد جزء من حيلة غير مهذبة للإرادة الروحية. إن العواطف العظيمة كالحب لا تنطق. إن الحديث عنها علامة على الإرادة المتسلطة غير المهذبة.

«أيها المتباهي المسكين! عليك أن تحب متباهيًا مسكينًا!».

ما المرح! ما المرح المقزز! إنه الاحتكام إلى حب يقوم على شفقة زائفة. إنه وسيلة لنطبع في ذهن الطفل الفكرة الفرِّيسية البذيئة -إذا أساء الطفل معاملة القطة فقل له: «توقف عن ضرب القطة. إن لها حياتها، دعها تعيشها». وإذا استمر الولد المؤذي عامله بالمثل: «ماذا، أتدفع ذيل القطة! سأدفع أنفك لتعرف إلى أي حدّ تشبهها». واقرصه من أنفه قرصة حقيقية.

على الأطفال أن يتخلوا بعض الشيء عن دفع ذيل القطة. على الأطفال أحيانًا أن يسرقوا السكر. عليهم أن يفسدوا من وقت لآخر ما يريد المرء ألا يفسدوه. وعليهم أن يحكوا القصص من وقت لآخر -أن يحكوا كذبًا. أحيانًا تكون ظروف الحياة قاسية بدرجة تجعلنا جميعًا نكذب: بالضبط كما نلبس بناطيل حتى لا ينظر الجميع إلى عرينا- إن

درس الأخلاق عمل رقيق لانضباط الجزء الروحي، إنه ليس قاعدة أو تذكرة طبية. بعد نقطة معينة لن يدفع الطفل ذيل القطة، أو يسرق السكر، أو يفسد الأثاث أو يكذب. لكنني لا أستطيع أن أبرهن على هذا المزاج المحدد للروح. عليه أن يكون على هذه الصورة. إذا غضبت فجأة عند نقطة فجائية ودفعت الطفل تمامًا حتى أصبح من المستحيل أن يلمس القطة –حسنًا، إنها حياة. كل ما عليك أن تقوله: «هناك، لن تساعدك لأنك دفعت ذيلها وآذيتها». ستشعر بالإهانة، وستشعر أنت أيضًا. لكن ما الذي يجعل من هذا الأمر قضية؟ إن للأطفال فهمًا لا نهائيًّا لتنوع انفعالات الروح، إنهم يصفحون إلى درجة العدل الحقيقي، إذا كان الأمر تلقائيًّا وليس بالضغط. إنهم يعرفون أننا لسنا كاملين. ما الذي لا يصفحونه لنا إذا تظاهرنا، أو تسلطنا؟!

❊ ❊ ❊

الحواس الخمس

يفرط العلم في تناول جسم الإنسان باعتباره ميكانيزمًا معقدًا يتكون من عدد كبير من الآلات الصغيرة التي تعمل ذاتيًّا وتقيم، إحداها مع الأخرى، علاقة غير مقنعة. إن الجسم آلة كلية، والأعضاء المختلفة آلات ضمنية، وفي لحظة الولادة أو الحمل يبدأ كل شيء حركته الذاتية. يقع الإله الوحيد في الآلة، إرادة الإنسان أو ذكاؤه، تحت رحمة الآلة تمامًا.

إنها رؤية أرثوذكسية. تمكث الروح في الآلة، حين يسمح بوجودها، بصورة غامضة إلى حد ما، صورة لا يتم تحديدها أبدًا. إذا حدث خطأ في الآلة، مهما يكن السبب، ننسى الروح فورًا. نستدعي رجل الطب، الحرفي الرئيس في عصرنا. إنه مخادع مهم وعجيب، يفعل أفضل ما عنده. إنه مدهش حقًّا كحرفي لجهاز الإنسان. إلا أن الحياة تفشل، داخليًّا، أكثر وأكثر، بينما نحاول بصورة عجيبة إصلاح المحرك من دون براعة. لا ألوم الأطباء.

حتى إذا اعتبرنا جسم الإنسان آلة دقيقة جدًّا ومعقدة. فمن الواضح أن هذه الآلة لا يمكن أن تعمل يومًا واحدًا من دون تحكم مركزي دقيق جدًّا. وبالإضافة إلى ذلك، من المستحيل أن نرى التطور الذاتي لمثل هذه الآلة. متى دارت أي آلة، حتى دولاب الغزل المفرد، ذاتيًّا؟ في الآلة إله قبل أن توجد الآلة.

وهذا ما حدث مع جسم الإنسان. كان من الضروري، ومن الضروري دائمًا وجود إله مركزي في آلة كل جسم حيّ. إن الروح البسيطة تمكن الخنفساء من السير. وروح الإنسان الأول البسيطة تمكنه من الوقوف على قدميه. لا تطلب مني تعريف الروح؛ لأنك، بالمثل، قد تطلب من الدرَّاجة تعريف الآنسة الصغيرة التي تركبها في نزوة كإله يشق سبيله في الطريق العام. تنطلق السيدة الصغيرة على دراجتها لتقابل فتاها الصغير –لماذا، ماذا يمكن أن تفعل الدرَّاجة في مثل هذا السر، لا يمكن أن تفسره حتى يوم الحساب؟ ولكن يبقى أن الدرَّاجة لا يمكن أن تسير من ستريتهام إلى كرودون بنفسها.

وبالمثل يمكن العثور على الإله الصغير في الآلة. يمكننا، بالمثل. أن ندعوه روح الإنسان، وأن نتركه هناك. من المستحيل أن نعرفه مثلما يستحيل على الدرَّاجة تعريف الآنسة. لكن الدرَّاجة لا يمكن أن تنكر وجود الآنسة الصغيرة التي تجلس على المقعد. لماذا، حتى الشمس لا يمكن أن تدور أكثر من دواسة الدرَّاجة من دون قائد. وحيث إنه يجب علينا أن نضع في الاعتبار أن عددًا كبيرًا من الكواكب يدور، فمن الضروري ألا نعرف القائد في لغة خاصة بكوكبنا المقصور

علينا. إن القائد موجود بالرغم من هذا: حتى لو كان قائدًا لكون ذي عجلات عديدة.

لنترك الكون وحيدًا. إنه دمية كبيرة جدًّا بالنسبة لي. لنَعُدْ إلى موضوعنا. توجد في البداية أنا. توجد كينونة بسيطة سحرية هي ذات الإنسان، الإله الذي شيد الآلة وخلق داخلها نزهة مرحة تعيش سبعين عامًا. نتحدث، الآن، لحظة عن الآلة. لحظة نكون درَّاجة وليس راكبها المغفل. إن كل ما نستطيع هو تعريف راكب الدرَّاجة بلغتنا. على الدرَّاجة أن تقول: تستريح فوق مقعدي الجلدي قوة حية غريبة، أدعوها قوة الجاذبية، تبدو وكأنها القوة العظيمة التي تنظم عالمي. إلا أنه عليَّ أن أعدّل نفسي في المرة القادمة. إن قوة الجاذبية العظيمة ليست فوق المقعد دائمًا. لا تكون هناك أحيانًا –وأستند على الحائط في وضع غريب. عرفت جيدًا الانحراف من أعلى إلى أسفل، وعجلاتي في الهواء تديرها الآنسة الغامضة نفسها. ولذا عليّ أن أستعين بالنظرية النسبية. حين أستيقظ وأحيا تجلس الآنسة على المقعد، وتوجد بالتالي قوتان فرعيتان تدفعان دواستي وتمسكان بها بقوة لا يمكن تقديرها. وتوجد، في الوقت نفسه، قوة مبهمة وعطوفة تؤرجح مقودي غالبًا بصورة لا يمكن عدها، قوة تسيطر على كل حركتي. ليست قوة القيادة، إنها قوة حاذقة موجهة تسيطر على جسدي الصلب المشرق، والمرن أثناء الانحدار في الطريق العام. لا تدعني أنسى القوة الفجائية التي تمسك عجلاتي المسرعة وتوقفها. أوه، إنها تؤلمني! وأنا أندفع إلى الأمام، متجاوزة ذاتي في اندفاع حيوي، فجأة

يمسك الكبح المرعب بالعجلة الخلفية أو الأمامية أو كلتيهما. فجأة، إنه توقف مخيف. تندفع روحي قبل جسدي، أشعر بالإجهاد والاندفاع إلى الخلف. تئنّ أليافي. بعد ذلك قد يرتخى التوتر.

هكذا تستمر الدرَّاجة في الثرثرة عن ذاتها. وتستعين، حتمًا، بالفلسفة: «أوه، لو تستريح تلك القوة العظيمة الرائعة على مقعدي للأبد، ولو تبقى الإرادة الغامضة التي تؤرجح مقودي في مكانها للأبد: بعد ذلك تدور دواستاي من نفسيهما، ولن يتوقفا، يدوران من دون فرامل بشعة تمزق أبدية سيري. بعد ذلك، أوه بعد ذلك أصبح خالدة. عليّ أن أثب في العالم إلى الأبد، وأدور إلى ما لا نهاية، إلى أن أدخل دورة سباق النجوم والشمس العظيمة الدوارة السرمدية...».

إنها درَّاجة قديمة مسكينة. يكفي التفكير الحقيقي لبدء مجتمع البرّ، ومنع الوحشية التي ترتكب في حق الدرَّاجات.

حسنًا، إن جسم الإنسان هو الدرَّاجة. وذات الإنسان التي لا يمكن فهمها هي القائد بالتالي. إن الكون درَّاجة أخرى تُقاد بسرعة كبيرة، وعلينا أن نفترض أن لها قائدًا أيضًا. لكننا لا نحتاج إلى تحديد نوع القائد. حين أرى صرصورًا يجري على أرض الغرفة ويثني ذيله، أقف في تحد وأتساءل: أي قائد عجيب يقوده. لا عمل لك ليكون لك مثل هذا القائد، أتسمع؟- وحين أسمع الوقوقة الرتيبة والكئيبة في غابات يونيو، أتساءل: أي شيطان خلق هذه الساعة؟- وحين أرى سياسيًّا يتكلم كلامًا ناريًّا على منصة والجماهير تستمتع ببلاهة، أقول: احفظني يا رب، إن لهم جميعًا قوّادًا. لكن يا موسى المقدس! ما كنت

تستطيع التكهن بما أتى- وأنا نفسي من الضروري ألا أود التكهن عن قائد الكون. إن التنكر في المبارزة التي تدور حولي يذهلني تمامًا.

بعد ذلك نكون أنفسنا: في البيت تبدأ الحكمة والمحبة. حصل كل منا على قائد فوق المقعد: روح الفرد. لا تستطيع، غالبًا، أن تركب أو توجه، هكذا يندفع البشر كأساطيل من الدراجات المجنونة. لا بد أن نتساقط جميعًا إذا لم نتلاصق تمامًا بحيث يساند كل منا الآخر. إنه كابوس بشع.

إنني أشمئز من قيادة الحشود. وهكذا أصر على أسناني طول صعود المرتقى، وتنز أمعائي، كما يقال.

حسنًا، حسنًا -جسدي درَّاجة: وسطي كله مقعد يجلس عليه قائد روحي. عجلتي الأمامية هي المستوى القلبي. وعجلتي الخلفية هي الضفيرة الشمسية. والفرامل هي العقد الإرادية. والمقود هو رأسي، والدوّاستان اليمنى واليسرى هما ديناميكيات الجسم اليمنى واليسرى، ويناظر هذا التقسيم إلى حدّ ما التقسيم السمبتاوي والإرادي.

الآن، أكاد أعرف كيف يقودني قائدي، ومن أي المراكز ينظمني. أي أنني أعرف فقط الاتصال الحيوي بين قائدي وآلتي: بين ذاتي اللا مرئية وذاتي المرئية. لا أحاول أن أقول شيئًا عن قائدي. وبالمثل قد تحاول الدرَّاجة تعريف آنستها الصغيرة بتلوي قضبان القيادة ورنين الجرس.

ومع ذلك، لنا تقريبًا أربع حركات أولية محددة، ونستطيع رؤية الظاهر إلى حدّ ما. تستيقظ، في الطفل، وتنشط الضفيرة الشمسية

والضفيرة القلبية، مع العقد الإرادية المناظرة. ومن هذه المراكز تنمو وظائف الجسم الرئيسة.

تنظم الضفيرة الشمسية والعقدة القطنية، كما رأينا، الجهاز الديناميكي الرئيس، تنظمان وظائف الكبد والكليتين. إن أي زيادة في الديناميكية السمبتاوية تميل إلى تنشيط عمل الكبد، وتحدث حمّى وإمساكًا. ويحدث أي فشل في الديناميكية السمبتاوية أنيميا. ويمكن أن يحدث الحثّ الفجائي للمركز الإرادي إسهالًا. إلا أن هذا كله يعتمد تمامًا على التدفق المستقطب بين الإنسان ونظيره، بين الطفل والأم، بين الطفل والأب، بين الطفل والأخوات أو الإخوة أو المدارس، أو العالم المحيط، ومن المستحيل أن نضع القوانين إلا إذا عرضنا التفاصيل الدقيقة. ومع هذا، يتم تنظيم كل أعضاء الجسم السفلي الرئيسة بواسطة المركزين السفليين، وتعمل هذه الأعضاء بصورة طيبة أو تعتل تبعًا للنشاط النفسي الديناميكي الحقيقي في مركزي الوعي الأوليين. ونعني بالنشاط النفسي الديناميكي الحقيقي نشاطًا حقيقيًّا بالنسبة للفرد ذاته وبالنسبة لطبيعة روحه الخاصة. ويعني النشاط النفسي الديناميكي استقطابًا ديناميكيًّا بين الفرد ذاته والآخرين الذين لهم مكان في حياته، أو بينه وبين محيطه المباشر، الإنساني أو الفيزيقي أو الجغرافي.

على المستوى العلوي، يتم تنظيم الرئتين والقلب بواسطة المستوى القلبي والعقدة الصدرية. تميل أي زيادات في النموذج السمبتاوي من المراكز العلوية إلى إتلاف الرئتين بالأكسجين وإضعافهما بالإجهاد،

وتسبب هزالهما. وهكذا، من الجرم تمامًا أن نجعل الطفل يفرط في الحب. لا يجب إغراء الطفل بالإفراط في الحب. إنه يعني التدهور والموت في النهاية.

لكن ما وراء الوظيفة الفسيولوجية الأولية -على الأطباء اكتشاف العلاقة بين وظيفة الأعضاء الأولية والنشاط النفسي الديناميكي في مراكز الوعي الأربعة الأولية- إن وراء الوظائف الجسدية نشاطات نصف نفسية، نصف عضوية، كالحواس الخمس.

تعمل أربع حواس، من الخمس، في الوجه. وتنتشر الحاسة الخامسة، اللمس، في الجسم كله. لها كلها جذور من مراكز الوعي الأربعة الأولية الرئيسة، من كوكبة عقد الأعصاب، من حقل القطبين الرئيس، وتتوزع الأعصاب في كل اتجاه، وتنتهي عند سطح الجسم. إن التشعب والتوصيل، في الداخل، معقدان.

ينقسم الجسم إلى مناطق، يتحكم في كل منطقة محددة مركز من المراكز الأربعة. إن حاسة اللمس على الظهر ليست حادة. وتوجد المراكز الإرادية التي تعمل في مواجهة المقاومة. وفي واجهة الجسم، يوجد الثدي، أحد حقول الحاسة السمبتاوية الرئيسة، ويوجد البطن وهو حقل آخر. إن حث اللمس، في هذين الحقلين، يختلف تمامًا، وله خواص ونتائج نفسية مختلفة تمامًا. في لمس الثدي إيقاظ رقيق لارتعاشة الفضول، وفي لمس البطن سريان عميق للبهجة والشَّرَه. إن اليدين والذراعين في المقابل، آلات الفضول المهذب الرائع والأداء المتأني. يسري في الكوعين والرسغين تيار نفسي ديناميكي، وينتج

عن تشويش التيار بين شخصين شعور بالاضطراب في الرسغين. إن الساقين والقدمين، على المستوى السفلي، آلاتُ إشباعٍ وإنكارٍ لا يُسبر غورهما. يعيش الفخذان والركبتان والقدمان بقوةٍ، برغبة الحب، إنها في اتصال الحب تشرب بتهور وبصورة غامضة ورائعة. إنها تركل مراكز المقاومة الرئيسة وتنكرها. إن التدفق الفجائي للرغبة السمبتاوية العظيمة الشاملة يُشعر المرء بالضعف في الركبتين. تُقسِّي الضغينة توتر الركبتين كالفولاذ وتمسك بالقدمين كالمخالب. إن حقول اللمس أربعة، حقلان سمبتاويان في واجهة الجسم من الصدر حتى القدمين، وحقلان مقاومان في الظهر من العنق حتى الكعبين.

ومع ذلك، يوجد حقلان للمس، التوزيع فيهما ليس بسيطًا تمامًا: الوجه والفخذان. لا توجد طريقة واحدة لحاسة التواصل في الوجه أو الفخذين.

الوجه، بالطبع، هو نافذة الذات العظيمة، فتحة الذات العظيمة على العالم، مدخلها العظيم. إن للجسم السفلي بوابة خاصة بالخروج. لكن معظم تواصلنا مع العالم الخارجي يحدث عن طريق الوجه.

لكل شباك أو باب في الوجه تواصل مباشر مع كل مركز من المراكز الأربعة الرئيسة لحقل الوعي الأول. لنأخذ الفم بحاسة التذوق. إن الفم بوابة مركزين حسّيين رئيسين بصورة أساسية. إنه مدخل البطن والأعضاء التناسلية. من الفم نأكل ونشرب. في الفم حاسة التذوق. بالشفتين نقبّل أيضًا. وقبلة الفم هي أول اتصال حسّي.

توجد الأسنان، أيضًا، في الفم. إن الأسنان آلات إرادتنا الحسية.

يتم تنظيم نمو الأسنان تمامًا بالمركزين الحسّيين الرئيسين أسفل الحجاب الحاجز. ينظمه مركز واحد بصورة تامة تقريبًا، المركز الإرادي. يعتمد نمو الأسنان وحياتها بصورة تامة تقريبًا على العقدة القطنية. يتعطل النموذج السمبتاوي أثناء نمو الأسنان. يحدث نوع من التوقف. يتألم الطفل ويُسْهل ويتعس.

لا نأخذ، في عصرنا، راحة مع أسناننا. أفواهنا صغيرة جدًّا. على مدى عصور طويلة كبحنا الإرادة الحسية الزنجية الحادة. حولنا أنفسنا إلى كائنات مثالية، يعي الجميع روحيًّا وينشطون ديناميكيًّا على مستوى واحد فقط، العلوي، المستوى الروحي. انقبضت أفواهنا، وأصبحت أسناننا هشة وكسولة. أين أسنان الذئب الحادة القوية، المتحمسة للدفاع والافتراس؟ كان لا بد أن نكون أسعد لو كنا امتلكناها مدة أطول. أين الأسنان الزنجية البيضاء؟ أين؟ ليس لها مكان في أفواهنا الصغيرة الضيقة. إننا مرهقون بالتعاطف، مرهقون بالروح، ومرهقون بالفكرة. خسرنا قوتنا الحسية المتوهجة. في أفواهنا أسنان كاذبة. وبالطريقة نفسها، تهزل شفتا رغبتنا الحسية، وتصبح بلا معنى، نتيجة لضغط إرادتنا العلوية ونبض فكرتنا الدافعة. لنحطِّمْ الوعي، وعي الذات، مثالية الحب، وسوف ننمو أقوياء، أسنان تقاوم مرة أخرى، ولن يكون تسنين صغيرنا جحيمًا كالذي نراه.

التسنين بالتحديد هو الفترة التي يعمل فيها المركز الإرادي للمستوى السفلي بنشاط تام للمرة الأولى، ويأخذ الصدارة لمدة من الزمن.

هكذا يكون الفم بوابة الجسم السفلي الحسية الرئيسة. لكن علينا ألا ننسى أنه بوابة للتنفس أيضًا، بوابة نتكلم منها ونشير بسهولة إلى موضوعنا، بوابة نستطيع بواسطتها أن نقبّل القبلة الروحية الضئيلة المهذبة. وهكذا، مع أن الفم بوابة الجسم السفلي الحسية الرئيسة، إلا أن له دورًا مع الجسم العلوي أيضًا.

إن التذوق، حاسة التذوق، سرب من التواصل النقي بيننا وبين مادة من العالم الخارجي. يحتوي التذوق على عنصر اللمس، ومن ثم ينتسب إلى الضفيرة القلبية. لكن، بوصفه تذوقًا، ينتسب تمامًا إلى الضفيرة الشمسية.

ثم يأتي الشم. إن فتحتي الأنف بوابة عظيمة بين مجال السماء الجوي الواسع والرئتين. بواسطة الفم نمسك بأقصى لهفة الحنين. لكن الأنف الرقيق يمتد في الهواء دائمًا. إنه تواصلنا الواضح مع الهواء اللانهائي. وهكذا يوجد جذره الأول الرقيق، جذر الاستنشاق، في الضفيرة الشمسية. ويوجد جذر الزفير الرقيق النشط، جذر الطرد، في العقدة الصدرية. ولفتحتي الأنف وظيفة أخرى هي الشم. هنا تمتد نهايات الأعصاب الرقيقة مباشرة، من الضفيرة الشمسية والعقدة القطنية، وربما أعمق. حين تكون الرائحة طيبة يوجد الاستنشاق الحسّي المهذب. حين تكون الرائحة كريهة يوجد إنكار حسّيّ لها. وبالضبط، كما يعتمد امتلاء الشفتين وشكل الفم في النمو على المراكز السفلية أو العلوية، الحسية أو الروحية، فإن شكل الأنف يعتمد على التنظيم المباشر من مراكز الوعي الأعمق. قد ينمو الأنف

المتكامل بالتوازن بين النماذج الأربعة. لكن، ما الأنف المتكامل؟ -نعرف فقط أن الأنف القصير الأفطس يتواءم مع طبيعة سمبتاوية زائدة، وليست نشطة بصورة كافية؛ بينما يشتق الأنف الطويل من مركز الإرادة العلوي، العقدة الصدرية، مركز الفضول الرئيس، والتنظيم الخيّر أو الموضوعي. إن الأنف السميك القصير أنف سمبتاوي حسي، والأنف المرتفع المقوّس أنف إرادي حسي، له منحنى إنكار كما يحدث حين نقلب أنفنا إلى أعلى لننكر رائحة كريهة، لكنه أيضًا منحنى العجرفة النشط ومنحنى السلطة الذاتية. إن الأنف أحد أعظم محددات سمات الشخصية، أي أنه يحدد نموذج الوعي الديناميكي السائد في الفرد بصورة حتمية تقريبًا، يحدد المركز الأوّلي السائد الذي نعيش بواسطته- حين يحكّ البدائيون أنوفهم بدلًا من التقبيل، فإنهم يتبادلون تحية حسية أكثر حساسية وعمقًا من لمس الشفاه.

العينان بوابة النفس الثالثة العظيمة. هنا تدخل الروح إلى الجسم وتخرج منه، كطائر ينطلق من البيت ويعود إليه. لكن جذر الوعي البصري يُوجد في الثدي بصورة تامة تقريبًا. حين أنطلق بعيني، وأرنو مبتهجًا إلى العالم البعيد، أرنو خارجي، وأنطلق من نافذة واسعة مفتوحة، يبدو خلالها ظلام أعماقي الخافق الحي الكثيف. أنطلق بعيدًا عن الظلام الرحب الحبيب الذي يوحي لذاتي الحساسة، حين أنطلق في رؤية عجيبة لأرنو إلى العالم الحبيب المدهش، أنطلق من مركز الثدي البهيج، أنطلق بالعينين، وقد تنظران إلى ظلامي الهشّ المليء والغني بوجودي غير المكتشف. وإذا غضبتُ تقف ذاتي القاسية

الباردة في عيني وترفض أي تواصل أو تعاطف، تبحلق فقط. إنها حركة موضوعية باردة تصدر عن العقدة الصدرية. أو قد تنظر عيناي الباردتان القويتان بفضول، بواسطة مركز الإرادة نفسه، كما تنظر قطة إلى طائر. وقد يزحف إلى فضولي عنصر السعادة الدافئة في الدهشة التي أراها خارج ذاتي. وقد يكون فضولي فضول الإرادة العلوية الباردة الموجه في نقاء وبساطة بواسطة عقدة الكتفين: كالانتباه المركز لعالم تجريبي.

مع هذا، يوجد للعينين جذر حسي أيضًا. من الصعب الكلام عنه؛ في وقت تكمن فيه كل رؤيتنا، رؤيتنا الشمالية الحديثة، في نموذج الرؤية الحقيقية العلوي.

ثمة طريقة للملاحظة الحسية. توجد نظرة البدائي الغامضة، البدائي الذي يفهم فقط ما له علاقة مباشرة مع ذاته، وما يحرك حنينًا معينًا غامضًا في ذاته السفلى. ولذا تحمل عينه سوادًا لا يسبر غوره. وتوجد العين الغامضة التي تلمح بإلهام معين، عين بلا عمق، وتوجد نظرة الملكة السريعة، نظرة ترى وتلاحظ ولا تتخلى أبدًا عن الهدف الخارجي: كقطة ترصد فريستها. تعرف النظرة الغامضة غرابة الهدف وخطورته والحاجة إلى التغلب عليه. إنها عين ليست واسعة ومفتوحة لتدرس وتتعلم، لكنها تلمح بقوة وغرور أو فضول وتعرف الفزع أو الرغبة النقية في غرابة الموضوع الذي تلاحظه. إن البدائي، في ذاته، هو كل شيء. أي أن ما يراه في الخارج يراه بصعوبة أو يراه غامضًا، أو مرغوبًا لذاته، مرغوبًا بشبق أو خطرًا. ليس لديه ما ندعوه رؤية.

علينا أن نقارن نظرة عين الحصان بنظرة عين البقرة. إن عين البقرة هشة وناعمة ومدركة. تقف وتحدق بأغرب فضول مقصود. تنطلق من ذاتها في دهشة. يوجد جذر رؤيتها في الثدي الحنون. حين تخور نسمع الصوت نفسه. توجد أهمية الانفعال الهائلة نفسها في ثدي الثور؛ ينطلق الانفعال ذاتيًّا. إن قوته في ثديه، وأسلحته في رأسه. الدهشة خارجه دائمًا.

لكن عين الحصان ذكية ولماحة. إن فضوله حذر مليء بالرعب، أو بلغة أخرى عدواني ومقاتل لهدف. إن جذر الرؤية في بطنه، في الضفيرة الشمسية. إنه يحارب بأسنانه وكعوبه، بأسلحة حسية.

ومع هذا، يرسخ هذان الحيوانان كلاهما في النموذج السمبتاوي. إن نموذج الحياة فيهما سمبتاوي في حساسيته، أو سمبتاوي في تفوقه. تعيش حيوانات كالقطط والذئاب والنمور والصقور أساسًا بواسطة المراكز الإرادية العظيمة، إنها، بمفهومنا للكلمة، تكاد لا ترى. البصر فيها حادّ وضيق ولا يرى إلا الفريسة. إنه قاصر. لا يرى أبعد من الفريسة. وهكذا يرى من مسافة لا تُصدَّق وبحدة لا تُصدَّق.

مهما يكن، فإن معظم الحيوانات تشمّ ما تراه: لم تتطور الرؤية تمامًا. إن حاسة الشم، الأكثر وضوحًا، تمكنها من اتصال أفضل بالعالم.

رؤيتنا فاشلة لأننا نتقدم بسرعة في نموذج واحد. نبصر كثيرًا، نلاحظ كثيرًا. لم نعد نعرف لمحة البدائي الغامضة التي لا ترى عن قصد، رؤية القط الضيقة، أو النقطة الوحيدة التي يراها الصقر. نعيش إلى حدّ بعيد جدًّا بواسطة المراكز السمبتاوية، ومن دون توازن مع

النموذج الإرادي. نعيش إلى حدٍّ بعيد، بعيد جدًّا بواسطة المركز السمبتاوي العلوي والمركز الإرادي، في فضول موضوعي لا نهائي. إن البصر أقل حسية من كل الحواس. نجهد أنفسنا لنرى، نرى، نرى –كل شيء، كل شيء بالعين بواسطة نموذج واحد، نموذج الفضول الموضوعي. لا نرنو إلى أعماقنا، نرنو إلى الخارج بلا نهاية. وهكذا تفشل أعيننا وتثأر منا. نصاب بقصر النظر، يكاد يكون وقاية ذاتية.

نأتي أخيرًا إلى السمع، قد يكون أعمق الحواس. لا يوجد اختيار. نستطيع في الوظائف الأخرى أن نرفض. لنا اختيار في الرؤية. نستطيع، إذا اخترنا، أن نرى البعيد المدهش، عالم الضوء الذي ننطلق فيه بسعادة وننسى أنفسنا. ونستطيع أن نرى، كما رأى المصريون، الأرواح الغامضة: رأوا في الخارج غرابة المخلوق، الهاوية بينه وبينهم، لكنهم رأوه في النهاية بواسطة ذواتهم. رأوا طبقًا لفكرتهم الذاتية، لم ينطلقوا بعيدًا عن أنفسهم ليلتمسوا الخارج المدهش.

إنهما طريقتا الرؤية السمبتاوية الرئيستان. ندعو طريقتنا الطريقة الموضوعية، وندعو المصرية الطريقة الذاتية. تعتمد كلمتا الموضوعية والذاتية تمامًا على نقطة البداية. إن كلمتي الروحي والحسي أكثر دقة.

وتوجد، بالطبع، طريقتا الرؤية. يمكن أن ننظر بالنظرة النقدية الحديثة اللامتناهية، التحليلية، وبتروٍّ بشع في النهاية. ويمكن أن نرى كالصقر البقعة المركزة التي يخفق فيها قلب الفريسة.

لنا بعض الاختيار في نماذج البصر الأربعة. لنا بعض الاختيار في رفض التذوق أو الشم أو اللمس. لنا في السمع أقل اختيار. يؤثر

الصوت مباشرة على مراكز الوجدان الرئيسة. قد ننشط سمعنا إراديًّا، أو نجعله متبلدًا. ليس لنا، في الواقع، اختيار فيما نسمع. تُستبعد إرادتنا. يؤثر الصوت على مراكز الوجدان مباشرة، بصورة ذاتية تقريبًا. ليست لنا قدرة على الانطلاق من الأذن. فقط، نتلقى دائمًا.

ومع هذا يؤثر الصوت علينا بطرق مختلفة، تبعًا لأقطاب الوعي الأربعة. يؤثر غناء الطيور بصورة تامة تقريبًا على مراكز الثدي. تسيِّر الطيور، التي تعيش طائرة، وَعْيَ الثَّدْي والكتفين القوي بنشاط، وتصبح بالنسبة لنا رموزًا للروح، نموذجًا للوعي العلوي. تضمر أرجلها، كغصينات عديمة الحس تقريبًا. يتحرك الذيل فقط بسرعة بواسطة مركز الإرادة الحسية.

لكن غناءها يؤثر على مراكزنا العلوية أو الروحية. وكذلك تقريبًا تؤثر موسيقانا ذات الميول المسيحية. لكن الموسيقى الحديثة تحليلية نقدية وقد اكتشفت قوة البشاعة. تنتسب كموسيقانا وأغانينا العسكرية، كناياتنا وفرقنا النحاسية، إلى المستوى العلوي. تؤثر على العقدة الصدرية مباشرة. ومع ذلك، كان هناك وقت تؤثر فيه الموسيقى على المراكز الحسية مباشرة. نستمع إليها الآن في الموسيقى البدائية، في قرع الطبول، في زئير الأسود، وفي مواء القطط. وما زلنا نسمع في بعض الأصوات الصدى الأعمق لنموذج الوعي الحسّيّ، يوجد ميل للتأثير بكل شيء على المستوى العلوي، على أن يعمل المستوى السفلي ذاتيًّا بتأثير العلوي فقط.

* * *

أولى ومضات العقل

نستطيع الآن أن نعرف الهدف الحقيقي من التعليم بالنسبة للطفل. إنه النمو الهارموني الكامل لنماذج الوعي الأربعة الأولية، فيما يتعلق دائمًا بطبيعة الطفل الفردية.

إن الهدف ليس مثاليًّا. إن الهدف ليس الوعي العقلي. نريد كائنات بشرية مؤثرة، لا نريد كائنات واعية. ليس الهدف النهائي أن تعرف، لكن أن تكون. لا يوجد إطلاقًا شعار أخطر من: اعرف نفسك. عليك أن تعرف نفسك قدر الإمكان. ولكن ليس للبحث عن المعرفة. عليك أن تعرف نفسك على الأقل لتستطيع أن تكون نفسك. «كن نفسك» هو الشعار النهائي.

إن حقل الوعي الديناميكي المؤثر كله دائمًا قبل -عقلي، غير- عقلي. حتى أكثر الرجال معرفة لا يستطيع حيثما عاش أن يعرف شعوره في الأسبوع القادم؛ لا يعرف ما إن كان دافع جديد مرهق للأعصاب سيظهر له ويلقي ذاته التقليدي في المهالك. علينا أن

نعيش بالدافع، ليس بالمثاليات أو الأفكار. علينا أن نعرف أنفسنا جيدًا وبصورة تامة قبل أن نتمكن من تحطيم آلية المثاليات والتقاليد. إن البدائي، في جوهره، أكثر المخلوقات تمسكًا بالتقاليد. وكذلك الطفل. نستطيع فقط بمعرفة مهذبة رقيقة أن نتعرف على دوافعنا وأن نطلقها. إن كل ما نسعى إليه الآن هو دفع كل إنسان إلى أقصى درجات التحكم العقلي والوعي العقلي. نضع نباتات أطفالنا الصغيرة المسكينة في أسرة الإرغام المرعبة التي تُدعى مدارس. تنطلق الفكرة التافهة بالإكراه. تنطلق فكرة مسكينة كالبطاطس في قبو دافئ. كتلة واحدة من الأفكار والمثاليات المريضة الشاحبة. بلا جذور، بلا حياة. تنطلق الأفكار بقسوة شديدة إلى أطفالنا المساكين، تنطلق على حساب الحياة نفسها. خطأ لا مثيل له أبدًا. إن الوعي العقلي قضية خاصة تمامًا. يستطيع بعض الرجال أن يعوا بصورة رفيعة ومهذبة. لكن الوعي العقلي مجرد كارثة بالنسبة لمعظم الناس، إنه آفة. يفسد حياتهم تمامًا.

علينا، الآن، أن نمنع بأي ثمن انطلاق الفكرة التافهة. أصبح العقل المثالي، المخ، مصاص دماء الحياة الحديثة، إنه يمتص الدماء والحياة. من الصعب افتراض وجود فكر أصلي وألفاظ أصلية خاصة بنا. نكرر جميعًا بصورة مرضية الأفكار المبتذلة، المبتذلة.

علينا إغلاق كل المدارس فورًا. نحتفظ فقط بقليل من مؤسسات التدريب المهني، لا شيء أكثر. لتسترحْ الإنسانية جيلين على الأقل. لن يتعلم أي طفل القراءة إلا إذا علّم نفسه برغبته الشخصية الدائمة.

قارئي المهذب، إنها نصيحتي الخطيرة. لستُ واهمًا حتى أتخيل أنك ستعطيني أي اهتمام. وإذا اعتقدتُ أنك تنتبه لي، سأشعر بأن أمنيتي تندفع إلى أعلى. وإذا لم تهتم، فإن البلادة ستغلق، بكل ثقة، مدارسك في النهاية.

إن عملية التحول من الوعي الأوّلي إلى الوعي العقلي المعترف به غامضة كأي تحول. إلا أن لها قواعدها الخاصة. هنا نصل إلى تخوم علم النفس الأرثوذكسي، وليست بنا أي رغبة في انتهاك حرمته. لكننا نستطيع القول بأن درجة التحول من الوعي الأولي إلى العقلي تختلف من شخص إلى آخر. وتنخفض في معظم الناس الدرجة الطبيعية إلى حدٍّ كبير.

ندعو عملية التحول من الوعي الأوّلي تساميًا، تسامي المعرفة الضمنية مع حقيقة الفكرة المؤكدة. حددنا التعليم كله بهذه العملية. كما يدلنا الاشتقاق الحقيقي من الكلمة اللاتينية *education*. إنها تعني، بالطبع، توجيه كل طبيعة إلى اكتمالها. لكنها معنا، نحن المجانين، تعني توجيه الوعي الأولي، الوعي الضمني أو الديناميكي، إلى الوعي العقلي الإستاتيكي المحدود. الآن، وقبل أن نعلن في سعادة تامة أننا نخرج أطفالنا جملة من الوعي الديناميكي إلى الإستاتيكي، علينا أن نتأمل لحظة فيما نفعل.

لا يمكن للطفل في الرحم أن يكوّن أي فكرة عن الأم. أعتقد أن علم النفس الأرثوذكسي يتيح لنا الكثير جدًّا، إلا أنه من الضروري أن يعي الطفلُ في الرحم أمَّه ديناميكيًّا. وإلا، كيف يستطيع الحفاظ على

العلاقة المحددة والنامية معها بشكل مطّرد؟

إنه هذا الوعي، مع ذلك، غير مثالي تمامًا، غير عقلي، إنه وعي ديناميكي خالص، اتصال استقطابي ديناميكي للذبذبات الحيوية، كتبادل رسائل لاسلكية لم تترجم أبدًا من إيقاع النبض إلى الكلام لأنها لا تحتاج إلى ذلك. إنه اتصال استقطابي ديناميكي بين النوى الأولية الرئيسة في الجنين والنوى المناظرة في نفس الأم الديناميكية.

يرسخ هذا الشكل من أشكال الوعي أثناء الحمل، ويستمر فترة طويلة بعد الولادة. كلا، إنه يستمر طول الحياة. لكن تبادل الوعي الديناميكي الخاص بين الأم والطفل لا يعاني أي إعاقة أثناء الولادة. يستمر كما كان تقريبًا. لا يكون لدى الطفل أي مفهوم بأي شكل عن الأم. لا يستطيع أن يراها؛ لأن عينه بلا بؤرة. يستطيع أن يسمعها، لأن السمع لا يحتاج إلى مفهوم، يسمعها من دون أن تكون لديه أي فكرة شفهية عن الأصوات. يعرفها. فقط بواسطة التناظر الديناميكي الحيوي. إنه نوع من التبادل المغناطيسي. لا مجال فيه للفكرة إطلاقًا.

مع ذلك، يلوح ظل غامض تدريجيًّا في عقل الطفل الذي لم يتشكل. تبقى فكرة الأم، كما كانت، وتنطبع بالتدريج على بلازما المخ. تبدأ بأبهت الظلال –وتنمو تدريجيًّا خلال سنوات الخبرة. لا تكتمل أبدًا.

كيف تنمو صورة الأم تدريجيًّا إلى تصور في عقل الطفل؟ تنمو بالتفاعل الإيجابي والسلبي في مراكز الوعي الأولية. ينجذب الطفل إلى توحد لطيف مع الأم بواسطة مركز التعاطف الرئيس الأول. ومن

مركز الإرادة الأول الرئيس يأتي تأكيد الذات المستقلة التي تعامل الأم كشيء خارجي، شيء موضوعي. يتضاعف الطفل بهذه الفكرة المزدوجة. يرسخ أولًا الوعي الديناميكي الفردي في الطفل: ثم يتكون الظل الأول للتصور العقلي للأم في عقل الطفل. ينمو العقل الأصلي في كل طفل وكل رجل دائمًا بواسطة الإشباع المزدوج للوعي الديناميكي فقط.

لكن علينا أن نميز أكثر. تنمو الشخصية ويتسامى الوعي في كل لحظة بعد تبادل رباعي بين حياتين مستقطبتين ديناميكيًّا، نموًّا وتساميًا يتزامنان في كل جزء. وينتج فورًا عن هذا النمو المزدوج تناقص في الاستقطاب الديناميكي بين الجزأين. أي أنه حين تنمو شخصية الطفل وتصوره العقلي للأم، يناظره شحوب في العلاقة الديناميكية بين الطفل والأم. إنه تطور طبيعي لكل حب. وكما قلنا من قبل، لا يستنزف نضج الشخصية أبدًا إلى النهاية التيار الديناميكي بين الأبوين والطفل. وبالطريقة نفسها، لا يستطيع الطفل أبدًا أن يكون تصورًا نهائيًّا عن أيٍّ من أبويه. لديه قدرة أكبر على تكوين تصور نهائي أكثر تحديدًا عن عماته أو أصدقائه. لا يمكن أن تكتمل صورة الأب في عقل الابن أو البنت. تبقى ناقصة طالما استمر الزمان.

مع ذلك، تطبع صورةُ الزمن الحتمية على بلازما عقل الطفل في النهاية صورة الوالد الحقيقية وتصورًا جيدًا له. كلما كان التصور أقرب إلى الحسم كانت العلاقة الديناميكية أقرب إلى الانتهاء، ومنها ينبثق التصور. المعرفة تعني الفقد. حين أكوّن تصورًا عقليًّا تامًّا عن

حبيب أو صديق يموت الحب وتموت الصداقة. يتدنى الحب إلى مستوى المعرفة الشخصية. وبمجرد أن أكون تصورًا عقليًّا نهائيًّا، أو فكرة مكتملة حتى عن ذاتي أموت ديناميكيًّا. المعرفة تعني الموت.

إن المعرفة والموت جزء من نمونا الطبيعي. فقط، لا يمكن بالطبع أن نعرف معظم الأشياء أبدًا بصورة تامة. مما يعني أننا لا نموت أبدًا بصورة مطلقة بالنسبة لآبائنا. وهكذا يسأل المسيح أمه: «ما لي ولكِ يا امرأة!» -إنه يعبر عن حقيقة عظيمة، لكنه يبالغ في إنكار الحقيقة البسيطة.

يحدث هذا التطور من العلاقة الديناميكية إلى شخصية كاملة وتصور عقلي تام بواسطة المراكز الأربعة الأولية الرئيسة خلال الوسط المناظر لكل الحواس والأحاسيس. في البداية يعرف الطفل أمه باللمس فقط -اتصال مباشر وتام. إلا أن خلية البيضة تنكر من لحظة الإخصاب الالتصاق الكامل أو التواصل وتؤكد كمال الفرد. يستقطب الطفل في الرحم، مع أنه على اتصال تام بالأم، طول الوقت أيضًا ديناميكيًّا ضد هذا الاتصال. لعلاقة اللمس، منذ اللحظة الأولى، استقطاب مزدوج، ونموذج مزدوج بلا شك. إنه تبادل رباعي للوعي من اللحظة التي يحدث فيها انقسامان تلقائيان لخلية البيضة.

يحدث انفصال حقيقي بمجرد ولادة الطفل. تتم إعاقة اتصال اللمس، يقتصر الآن على بعض اللحظات فقط. حقًّا، لا ينقطع التيار الديناميكي بين الأم والطفل حين ينتهي الاتصال الجسدي البسيط. مع أن الأم والطفل قد لا يتلامسان، إلا أن التدفق الديناميكي يستمر بينهما. تعرف الأم طفلها، تشعر بأمعائه وينجذب ثديها إليه حتى لو كانت

على بعد مائة ميل. لكن لو طال الانفصال، يبدأ التدفق الديناميكي في الموت، في الأم والطفل كليهما. يشحب تمامًا بسرعة – وقد لا يتمكن أبدًا من استعادة حيويته. قد ينحدر التفاعل الديناميكي بين الأب والطفل إلى معرفة شخصية، حالة إستاتيكية.

لقيام علاقة ديناميكية كاملة يجب وجود اتصال حقيقي. تجري الأعصاب من المصادر الأولية الأربعة، وتنتهي بنهايات حية في كل جزء من الجسم. وعلينا أن نجعل النهايات الحية لأعصاب الطفل على اتصال مع النهايات الحية لأعصاب الأم المناظرة، لترسخ دائرة نقية. حيث ترسخ دائرة نقية يحدث نمو في خلق الإنسان، وحتمًا يصاحبه إحساس؛ إن الإحساس هو لغة المعرفة العقلية الأولى.

هكذا، تتكون من حقل الثدي والذراعين الدائرة العليا، ومن حقل الركبتين والقدمين والبطن الدائرة السفلى.

وفي لحظة الميلاد يكون الوجه حيًّا. يتواصل الوجه مباشرة مع مستويي الوعي الأولي كليهما. يتلمس الطفل لحظة الميلاد طريقه إلى الثدي. فجأة وبمجرد أن يرضع الطفل، ترسخ دائرة رئيسة جديدة، وتعمل فورًا الأقطاب الأربعة كلها. توجد رغبة عميقة في مركز التعاطف السفلي، ويوجد شره في مركز الإرادة العلوي، وفي الوقت نفسه يوجد حنين للالتصاق بالثدي، ويوجد فضول الشفتين واللثتين الضئيل. إن حلمة الثدي إحدى بوابات الجسم الرئيسة، ومن ثم النفس الحية. تتفرع في الحلمة أعصاب نشطة تبرق بذبذباتها القوية في فم الطفل، وتبرق للعمق في أقطابه الأربعة الرئيسة، أقطاب الكينونة والمعرفة. وحلمتا

الرجل بوابتان للتدفق الديناميكي الرئيس؛ وتبقيان بوابتين.

الآن ينشط اللمس والتذوق والشم في الطفل. وهذه الحواس من أسمائها، هي أحاسيس بالضرورة. إنها العبارة الأولى في معرفة الطفل العقلية. ويتم تأسيس العقل على هذه التفاعلات المخية الثلاثة.

حين تتكون دائرة استقطاب تامة بين أقطاب الوعي الديناميكي الأربعة الأولى يبرق العقلُ، المحطةُ النهائية، للمعرفة. المعرفة الأولى إحساس تام: الإحساس وتذكر الإحساس هما أول عناصر المعرفة والتصور.

على دائرة اللمس والتذوق والشم أن ترسخ جيدًا قبل أن ترى العينُ رؤية حقيقية. تتكون المعرفة العقلية كلها من إحساس وذاكرة. يؤسس إحساسُ لمس الأم المتكرر دائمًا التصور الأول للأم. ثم ندرك تدريجيًّا مذاق الأم ورائحتها. إلى أن ينمو البصر والسمع ويغتصبان إلى حدٍّ بعيد دور الحواس الثلاث الأولى، كوسيط للتناظر والمعرفة.

وبينما تفرز معرفة الأحاسيس في المخ بالطبع، ينمو بطريقة أكثر غموضًا التفردُ الحي للطفل في النوى الأربعة الأولى، المراكز العصبية الأربعة الرئيسة لحقل الوعي والكينونة الأولى.

يتعلم الطفل، بمرور الوقت، رؤية الأم. يرى وجهها مشوشًا في البداية، لكنه يعرفها، يعرفها بتوهج التواصل المباشر، كما لو أن وجهها مصباح حياة متوهج يشعّ بهجة. لكن حين ترسخ دائرة اللمس والتذوق والشم بقوة، وحين تنمو شخصية الطفل ويجنح للعزلة تدريجيًّا؛ حين يزداد استقلال الطفل عن الأم تدريجيًّا، تمتد دائرة

التناظر وتتواصل العينان عبر الفضاء وتميز الأذنان الأصوات. وفي النهاية يكتمل نمو السمع المميز.

تنتقل الآن بالتدريج صورة الأم إلى عقل الطفل، وينطق الطفل كلماته الأولى. وبينما يتعلم الطفل التمييز بين الأم والمربية بصريًّا وموضوعيًّا، يتعلم الاختيار ويصبح شخصًا آخر. يبقى التناظر الديناميكي، لا ينتهي. يغير دائرته فقط.

حين يسجل المخ الأحاسيس تتكون علاقة تامة بين المراكز الديناميكية الأربعة. وحين نرى يعكس الحال إلى حدٍّ ما. حين تتكون علاقة تامة بين المراكز الديناميكية يسجل العقل الأحاسيس ويتذكرها، ويبدأ المعرفة الواعية. لكن يظل الحقل الديناميكي دائمًا حقل النشاط الرئيس. حين يتعلم الطفل المشي فإنه يتعلمه بصورة تامة تقريبًا بواسطة الضفيرة الشمسية والعقدة القطنية، وتحفظ الضفيرة القلبية والعقدة الصدرية توازن الجسم العلوي.

إنها دائرة استقطاب تامة. المركزان السفليان قطبان موجبان، والمركزان العلويان قطبان سالبان. هكذا يندفع الطفل بقدميه على الأرض، يضغط، ويرفعهما مرة أخرى عن الأرض، وأثناء ذلك يساهم المركزان العلويان ضمنيًّا في توازن الجسم العلوي. إنها سلسلة من النشاط التلقائي في المراكز الأربعة الأولية، ترسخ دائرتها في الجسم كله. لكنّ القطبين الموجين هما المركزان السفليان. قد لا يكون للمخ دور. حتى الرغبة في المشي لا تتولد في المخ، تتولد في النوى الأولية.

كذلك الأمر في استخدام اليدين والذراعين. أي أن دائرة نقية

ترسخ بين المراكز الأربعة، ويصبح القطبان العلويان موجبين، والسفليان سالبين، وتكون اليدان نهاية السلك الحية. مرة أخرى، ليس للمخ دور. ليس للمخ دور حتى في إمساك الشيء بتروٍّ للمرة الأولى. ليس له دور قبل وجود عنصر التعرف وذاكرة الإحساس.

ينبع نشاطنا الأول كله ويدور نقيًّا بواسطة المراكز الرئيسة الأربعة. ينبع كل شيء، رغبة نشاطنا، دوافعنا الأصيلة، حبنا، أملنا وحنيننا، ينبع غامضًا بواسطة هذه المراكز الأربعة الرئيسة، إنها منابع وجودنا، ومنها ينبع كل ما هو حيوي وديناميكي. يستطيع العقل أن ينسق فقط ما ينتج عن انبعاث الدافع الديناميكي وارتباط هذا الدافع أو اشتراكه مع موضوعه.

نرى الآن أننا لا نستطيع أبدًا أن نعرف أنفسنا. إن المعرفة بالنسبة للوعي كعلامات الطريق للمسافر. إنها تحدد الطريق الذي سافر فيه من قبل. ليست المعرفة على تناسب طردي مع الكينونة. قد يعرف رجل، هو بشكل ما كينونة مسكينة، الكيمياء معرفة عظيمة، وأولئك الذي اشتهروا بالحكمة كسليمان، إنهم في نهاية موضوع الحياة تقريبًا وليسوا في بدايته. عاش داود في الواقع الإنجاز الديناميكي. وقد تخلى سليمان عن الاكتمال والانتهاء والموت.

علينا أن نعرف، ولو فقط للتعلم وليس للمعرفة. إن درس تسامي الوعي الإنساني هو أن يتعلم كيف لا يعرف. أي ألا يتدخل. أي كيف يعيش ديناميكيًّا من المصدر الرئيس، وليس استاتيكيًّا كآلة تقودها الأفكار والمبادئ من الرأس، أو من رغبة ذاتية واحدة لا تتغير. في

النهاية، يجب وضع المعرفة في مكانها الحقيقي بالنسبة للنشاط الحي للإنسان. علينا أن نعرف الأعماق ولو لمجرد المعرفة.

هكذا يجب أن يكون التصور الجديد لمعنى التعليم.

يعني التعليم إرشاد طبيعة الفرد في كل رجل وامرأة إلى كمالها الحقيقي. لا تستطيع أن تفعل هذا بحثِّ المخِّ. إن ضخّ التعليم إلى العقل قاتل. للتسامي من الوعي الديناميكي إلى الوعي العقلي وحده، عند معظم الناس، كل الأهمية، إنه قليل الأهمية في الحقيقة. هكذا يجب صيانة معظم الناس، تحت سيطرة حكيمة، وبشكل أكثر حرصًا، صيانتهم في كل المحاولات السيئة لحقن أفكار خارجية فيهم. إن كل فكرة خارجية، ليس لها جذر أصيل في الوعي الديناميكي، خطر كمسمار يدق في شجرة صغيرة. بالنسبة لمجموعة من الناس، يجب أن تكون المعرفة رمزية، أسطورية، ديناميكية. أي يجب أن تكون لك طبقة وعي أعلى مسؤولة: وبعد ذلك وبدرجات مختلفة تأتي الطبقات الأدنى، باختلاف في درجة الوعي. يجب أن تكون الرموز حقيقية من القمة إلى القاع. ويجب أن يبقى تأويل الرموز، بكل درجاته، في طبقات الوعي الأعلى المسؤولة. وبالنسبة للذين لا يستطيعون أن يخلصوا أنفسهم مرة أخرى من الوعي العقلي والفكرة المحددة، تكون العقلانية والأفكار الميتة مسامير في أيديهم وأقدامهم.

* * *

أولى خطوات التعليم

من الواضح أن أولى عمليات التعليم ليست عملية عقلية. إن الأم حين تتحدث إلى الطفل لا تشجع عقله الصغير على التفكير. حين تتملق طفلها ليمشي لا تضع افتراضًا نظريًّا لعلم التوازن. تنحني أمام طفلها، على مسافة منه، وتبسط يديها. «تقدّمْ، طفلي -تقدَّمْ إلى أمك. تقدم! طفلي، سِرْ! نعم،سِرْ! سِرْ إلى أمك! أسرع. خطوة صغيرة إلى الأم. تقدَّمْ! تقدَّمْ! لماذا، نعم، إنه طفل جميل! أوه، يستطيع أن يحبو! نعم -نعم- لا، لا تخف يا عزيزي. لا -تقدَّمْ إلى أمك-» تمسك طرف مئزره الصغير -يترنح الطفل إلى الأمام. «هناك! هناك! سير جميل! سائر جميل. نعم! قطع كل المسافة إلى الأم، قطعها الطفل. نعم، قطعها».

هل لهذا الحديث إيقاع أو سبب؟ لا توجد شرارة سبب. إنه إيقاع حقيقي: أو تناغم، أهم. يؤثر الغناء وإلحاح صوت الأم مباشرة على مراكز الطفل الوجدانية. حث وتعليم مدهشان. تكتسب الكلمات معناها بصعوبة. حقًّا، يشكل هذا التكرار الثابت ترابطًا عقليًّا في

النهاية. إن الكلمات لا تشكل أي معنى عقلي بالنسبة للطفل. ترنّ بموسيقى خافقة في روحه المرفرفة وتدفعه للسير.

إنها طريقة تعليم الأطفال: طريقة الأمهات الفطرية. يجب ألا نبذل أي مجهود لتعليم الأطفال التفكير، أو اكتساب الأفكار. فقط علينا أن نلح عليهم وندفعهم إلى النشاط الديناميكي. إيقاع الصوت الديناميكي، وليس معنى الكلمات. يُلعن المعنى. الإيماءات. واللمس وتعبير الوجه، لا النظرية. لا تكوّنْ أبدًا أفكارًا عن الأطفال –ولا تكون أبدًا أفكارًا لهم.

إذا كنا سنعلم الأطفال، علينا أن نعلمهم الحركة أولًا. ليس بالقواعد أو الإملاء العقلي. يا للفزع! نعلمهم باللعب وإثارة الرغبة والغضب والتسلية. علينا أن نعلم الطفل الحركة في مرح وحرية وإباء. يمكن أن نعلمه هذا فقط بتفاعل مستمر بين كل المراكز، وخلال العواطف كلها. على الطفل أن يتعلم احتواء الذات. على الطفل أن يتعلم الجلوس بهدوء إذا لزم الأمر. أحد أوجه التعليم الأولى تعليم الجلوس بهدوء واحتواء الذات جسديًّا. ثم على الطفل أن يتعلم البقاء وحيدًا والمغامرة وحيدًا واللعب وحيدًا. علينا أن نصد بخشونة تامة أي نكد يتشبث به. نردّ الطفل، من اليوم الأول، إلى أصوله – ولو ببعض الوحشية أحيانًا. لا تهملْه، لا تكن سلبيًّا معه. العبْ معه، أثرْ رغبته ودحرجه ككلبة مع جروها، اهزأْ به حين يكون شديد الجبن، اضحك عليه، وبّخْه حين يزعجك إزعاجًا حقيقيًّا –على الطفل أن يتعلم عدم إزعاج الآخرين– وحين يغضبك غضبًا حقيقيًّا. وبّخْه توبيخًا مناسبًا.

وتذكرْ دائمًا أنه مجرد روح صغيرة وحيدة؛ وأن مسؤولية العلاقة الحكيمة والدافئة مسؤوليتك، مسؤولية الراشد.

وراقبْ سلوكه دائمًا. قبل كل شيء شجعْ استقامة العمود الفقري وغطرسة الكتفين. قبل كل شيء احتقرْ الحركة القذرة، والجلسة البشعة والعادة الكريهة. اهزأ بالطبع الرديء والجبن الشديد.

إننا بلهاء حين نزعج الطفل بالحب والأشياء الشبيهة. انسَ تمامًا التبادل العاطفي. لا تَنْسَ إطلاقًا شرفك كإنسان راشد تجاه طفل. إنها مسألة شرف، وليست مسألة حب.

تنمو الشجرة مستقيمة حين تكون جذورها عميقة ولا يعوقها عائق كبير. الحب تلقائي يصدر عن روح تلقائية مؤثرة. إنه آفة رديئة كقاعدة مدروسة. الأخلاقية القائمة على الأفكار أو المثالية آفة رديئة أيضًا. الطفل المغرور الحر الحركة والسلوك سيكون أخلاقيًّا كما ينبغي تمامًا. إن الشرف فطرة، فطرة رائعة يجب أن تبقى حية تمامًا. اللا أخلاقية، الرذيلة، الجريمة، تصدر عن إخماد أو فشل واحد من المراكز الأولية الرئيسة أو أكثر. إذا فشل أحد المراكز في الحفاظ على قطبيته الحقيقية يحدث تدهور جسدي أو نفسي أو كلاهما. إن الفساد أو الجريمة نتيجة لتدهور الجهاز الأوّلى. إن الأخلاقية الخالصة مجرد توافق فطري تقوم به الروح في كل الظروف، توفق شيئًا مع الآخر بشكل حي ومهذب وحساس. لا يمكن الخضوع لقانون. لذا، مهما كلف الأمر، حافظ على المراكز الأربعة الأولى حية ويقظة ونشطة، وحية في تفاعلها. لا تخف من أي انحراف بعد ذلك. ما فعلناه في عصرنا

أننا حاولنا قدر الإمكان أن نكبح أو نخضع المركزين الحسيين. لذا ألححنا على النموذج الروحي الغَيْريّ -الحياة في شخص آخر ومن خلاله- وضخمناه، ما حدث ترجيح خطر في النفس الطبيعية.

لنصحِّحَ هذا الخطأ نمضي إلى الأسوأ، ونحاول أن نحكم أنفسنا أكثر وأكثر بالأفكار القديمة عن التعاطف والخيرية. نعتقد أن الحب والخيرية هما سمُّنًا، سم للمعطي وسم أشد للآخذ. سمّ لأنه لم يعد هناك عمليًّا حبّ تلقائي في العالم. إنه إرادة فقط، إرادة الحب القاتلة وفضول مَرَضيّ نَهِمٌ. اعتلَّ نموذج الحب السمبتاوي الخالص منذ عهد بعيد. توجد الآن إرادة ضخمة وقاتلة.

لذا يجب كبح التعليم بأقصى سرعة ممكنة. سقطنا في حالة إرادة ثابتة وقاتلة. يميل كل ما نفعله لأطفالنا أو نقوله لهم في المدرسة إلى تثبيت الإرادة القاتلة نفسها فقط فيهم، بحجة الحب النقي. مثاليتنا هي مفتاح إرادتنا الثابتة. الحب، الجمال، الخيرية، التقدم، هذه هي الكلمات التي نستخدمها. لكن القاعدة التي نثيرها هي القهر العاقر والمقدس للحياة كلها. نريد أن نقهر الحياة. مثلًا «كيف نخدع الأعصاب». -حتى ننقذ الأطفال بقدر المستطاع، يجب أن يتوقف التعليم الأساسي فورًا.

علينا ألا نرسل أي طفل إلى أي مؤسسة عامة قبل العاشرة. إذا لم أستطع سوى النصح، فإن علي أن أنصح بنشر هذا البيان بطول الأرض وعرضها:

«أيها الآباء، لا تستطيع الدولة بعد الآن أن تكون مسؤولة عن عقل

أطفالكم وشخصيتهم. ستغلق المدارس كلها لفترة غير محددة منذ اليوم الأول في السنة القادمة. أيها الآباء، وافقوا على تدريب أولادكم ليصبحوا رجالًا. أيتها الأمهات، وافقن على تدريب بناتكن ليصبحن نساء.

«تتحول كل المدارس قريبًا إلى مشاغل شعبية أو مبانٍ للألعاب الرياضية. قبل العاشرة لن يلتحق بالمشاغل أي طفل. سيتم فرض تدريب نشط بالطرق الأصلية، تدريب على القتال والرياضة يفرض إجباريًّا على كل الأولاد بعد العاشرة.

«بعد العاشرة تلتحق كل البنات بالمشاغل المنزلية. يمكن لكل البنات بعد العاشرة أن يلتحقن، بالإضافة إلى المشغل المنزلي، بمشغل يتطلب مهارة أو بمشغل للصناعة التقنية أو الفنية. يلتحقن لثلاثة شهور كفترة اختبار.

«على الأولاد كلهم، بعد العاشرة، أن يلتحقوا بمشغل للحرف المنزلية، وبمشغل يتطلب مهارة أو بمشغل للصناعة التقنية أو الفنية. يمكن للولد أن يختار، بإذن من والديه، مدرسة للعمل أو الصناعة التقنية أو الفنية، على أن يحتفظ الموجهون بحق تحويله إلى قسم أكثر ملاءمة، إذا لزم الأمر، بعد فترة اختبار لثلاثة أشهر.

«تسعى هذه الدولة إلى تشكيل جسد مدنيين نشطين وفعّالين. إن خطر اللاتعاون ووقاحة مجتمع قراء الصحف منتشر على مستوى العالم.

«يترك التعليم الأساسي كله للآباء، يحافظون عليه كضرورة لمختلف فروع الصناعة.

«يسمح لكل الذين تجاوزوا الرابعة عشرة بالالتحاق بمدارس الثقافة العقلية.

«يسمح لكل من يحصل على أول شهادة ثقافية بالالتحاق بالجامعة».

الحقيقة أن عملية التعليم المنتشرة الآن خرقاء جدًّا، بربرية جدًّا سيكولوجيًّا، إنها أفظع خطر يهدد وجود جنسنا. نصادر فهم أطفالنا، ونحشوهم بقهر الببغاء بمجموعة من الحيل والعقلية. بقهر فاسد وغير طبيعي ندفعهم إلى كمية محددة من نشاط الدماغ. وبعد سنوات يدور في رؤوسهم عدد معين من طواحين الهواء ويصبحون هاشين كالعدد الهائل من الدون كيخوتات الوضيعين الذين يفسدون الحياة. كل ما وضعوه في رؤوسهم لا مرجعية له إطلاقًا في أرواحهم الديناميكية. تدور طواحين الهواء، تدور في ريح الكلمات، وتومئ دولسينا دي توبوزو إلى كل ركن. ويقفز مجتمعنا بكيخوتات وضيعين في عربات الترام والقطارات والدراجات والسيارات الآلية والحافلات، يقفز فيها ومنها في مطاردة مجنونة للحبيبة المقدسة التي تلوك شيكولاتة طول الوقت وتشعر بالضجر الشديد. لا نحتاج إلى أمر الشياطين المسكينة بالكف. إنهم يقرؤون في الصحف عن مزيد من المحبوبات، ويقرأن عن مزيد من الفرسان وعن أشخاص أبشع يجرحون السمعة الطيبة لهؤلاء السيدات الضجرات. ينطلقون حولهن، خلف ذيولهن. يحدث هذا حين لا تدفعهن الظروف لطحن حيواتهن مقابل الأجر. مع هذا فالعمل هو الشيء الوحيد الذي يصون حشودنا من الجنون التام.

نقول الحقيقة، إن الأفكار أخطر الجراثيم التي يحقن بها البشر لفترات طويلة. تحقن في المخ، في المدارس وبواسطة الصحف، وتتلفنا.

إحدى الأفكار التي تدخل إلى المخ وتظل تدور فيه كحشرة لا تطاق تقف وراء تعاستنا كلها. نعيش بواسطة الرأس بدل أن نعيش بواسطة المراكز التلقائية. نلوك، نلوك النظريات والأفكار. نطحن، نطحن، نطحن بوعينا العقلي حتى نخرج عن أنفسنا، وعن مراكز الوجدان الأولية، مراكز الكينونة التلقائية، وهكذا طُحِنَّا وأُدِرْنا ذاتيًّا تمامًا، إننا نسيء في كل مراحل عدم الانسجام والفشل الأوّلى. إننا- لسنا وحدنا- متخلفون عقليًّا، بلهاء، مصابون بالصرع، ولا نعرف حتى أن نهذي.

كل هذا نتيجة مباشرة وكلية للجرثومة الكريهة التي نسميها المثالية. المثالية دائمًا رديئة مهما تكن. يجب ألا ترتفع أي فكرة إلى عرش الحكم.

لا يعني هذا أن على الإنسان أن يقطع رأسه فورًا ويحاول تطوير عينين في ثدييه. إنه يعني أن الفكرة مجرد نتيجة نهائية عيانية أو قياسية للتبادل والتفاعلات الديناميكية الحية: أي أنه لا توجد أبدًا فكرة تم التعبير عنها تمامًا قبل اكتمال سببها الديناميكي؛ والاستمرار في وضع فكرة سابقة تامة في التأثير الديناميكي يعني إحباط النشاط الحي كله، بديل الآلية والبشاعة الناتجة عن الملل والنشوة والوهن العصبي والنفس الفاشلة.

إن شجرة فكرتنا عن الحياة والحي ميتة كلها. لنكفَّ إذن عن شنق أنفسنا وأطفالنا في فروعها كالمشملة.

إن الفكرة، فكرة اللمس، يجب أن تصدر طازجة دائمًا ومزاحة دائمًا كأوراق الشجرة، ومن دون تسرع النسغ، ودائمًا طبقًا لدفق لا يُحصى من مراكز الحياة الديناميكية الرئيسة. إن شجرة الحياة نوع زاهٍ من الشجر، تسقط أوراقها باستمرار وتنبت أوراقًا ناضرة ومختلفة تمامًا. إذا كانت المجموعة الأخيرة أوراقًا شوكية فقد تكون المجموعة التالية معترشة. لا نستطيع إطلاقًا التحدث مع شجرة الحياة.

نعود إلى ذلك الطفل الأثير الذي كلفنا كثيرًا من المداد. أسألك، بأي حق نحقن فيه جراثيمنا المرضية عن الأفكار والحوافز المعصومة؟ بحق المريض الذي يريد أن يعدي كل شخص.

قليل من الناس ينمو فيهم ويتسامى دافع وتفاعل حي إلى وعي عقلي. في الغابة كل أنواع الشجر، قليل منها يحمل تفاح المعرفة حقًّا. مع ذلك، يلح العالم الحديث على أن يحمل كل شخص تفاح المعرفة. هكذا نسير في غابة البشر، نقلم كل شجرة ونحاول تطعيمها بشجرة تفاح. نصنع بهذا العمل غابة أنيقة من الهولات.

ليس من طبيعة معظم الرجال الإيغال في المعرفة والفهم والتعليل مع هذا، لماذا عليهم أن يدّعوا ذلك؟ إن التعليل من طبيعة عدد ضئيل من الرجال، دعهم. إن ذوي الطبيعة العقلانية يسألون فطريًّا عن السبب ويكافحون مع أنفسهم للعثور على الإجابة. لماذا يكون على كل توم ودك وهاري أن يعرف سبب العالم الذي يحشر فيه ويتاح له انتزاع المحصلة، إنه شخص مثالي ومسؤول عن العالم، لا أعرف. إنها كذبة، مهما تكن –إن الأسباب ليست ملكه، إنه مجرد ببغاء معه بندقة

تخصه، بندقة عن العالم.

لماذا يجب أن نحشو عقل الطفل بحقائق لا تخدم خبراته وليس لها علاقة بنشاطه الديناميكي؟ علينا أن ندرك بوضوح أن كل فكرة خارجية تدخل عنوة إلى عقل الرجل تمثل إعاقة مباشرة لنشاطه الديناميكي. كل فكرة خارجية تدخل عقل الرجل ولا تماثل طبيعته الديناميكية هي حجر عثرة يقتله، إنها سبب توقف نشاطه الشخصي الحقيقي وتدهور وجوده النفسي.

مثلًا. إذا علّمتَ رجلًا أن كل الرجال متساوون. لم يعد لهذه الفكرة وجود في الخبرة، يتم الاستدلال عليها منطقيًّا من بعض القواعد الأخلاقية أو الفلسفية. ينتشر في العالم مرض المثالية، نولد جميعًا به. يولد به المدرسون خاصة. إنهم يمسكون بفكرة المساواة ويواصلون غرسها. ما النتيجة؟ لم يعد رجلُك رجلًا يعيش حياته من المراكز التلقائية. إنه أبله نظريات يحاول إحباط الحياة كلها وتشويشها.

إن الدفع بفكرة خالصة إلى الممارسة يعني موت الحياة كلها. علينا أن نحيا بواسطة مراكزنا العميقة التلقائية المسؤولة عن ذاتها، نحيا في دائرة حيوية غير مثالية، دائرة العلاقة الديناميكية بين الأفراد. إن الشهوات أو الرغبات التي تولدها الفكرة قاتلة. إن نموذج الشهوة أو الرغبة الخاص يصبح سامًّا على الفور حين يستقبل قرارًا مثاليًّا صارمًا.

إذا كان الأمر حقيقيًّا بالنسبة للرجال، فهو حقيقي أكثر بالنسبة للنساء. علِّمْ امرأة أن تعمل من فكرة، وستحطم طبيعتها النسوية إلى

الأبد. دع المرأة تعي ذاتيًّا، وستعقم روحها ككيس رمل. لماذا طُردنا من الجنة؟ لماذا نسقط في مرض إزعاج الجوع الدائم غير القابل للتهدئة؟ ليس لأننا أعلى. آه، لا. تمتعت الحيوانات كلها في الجنة بشهوة المضاجعة الحسية. ليس لأننا أعلى، لكن لأننا نقلنا الجنس إلى الرأس.

حين تأكل حواء تلك التفاحة الخاصة، تدرك عقليًّا طبيعتها النسوية وتبدأ الخبرة العقلية في حينها. وهكذا الرجل. طبقًا للغيظ والبشاعة في كل منهما.

إن هذه الخبرات الجنسية ملعونة حقًّا. بمجرد أن تعي المرأة ذاتها جنسيًّا، ماذا تفعل؟ تكون هناك، إنها تولد بمرض الوعي الذاتي كما ولدت أمها من قبلها. ترتبط بالخبرة وتسعى وراء فكرة بعد الأخرى، دائمًا إلى تعاستها على المدى البعيد. إنها مرغمة على تكوين فكرة ثابتة، ثم فكرة أخرى عن مثالية ذاتها، ذاتها كامرأة. إنها في البداية الشريك النبيل لذكر ليس على الدرجة نفسها من النبل: كالأم دولوروزا. ثم ملاك العون: ثم عضو اجتماعي منافس، عضو في البرلمان أو دكتورة أو مذيعة وتبقى كمشهد جانبي طول الوقت في أفكارها –إنها ايزولدا لتريستان ما، أو جيونفير للانسيلوت ما، أو فاتا مورجانا لكل الرجال. لا يمكن أن تكف عن تكوين فكرة عن نفسها. لا يمكن أن تنتزع نفسها من رأسها. تكون هناك، تعمل من رأسها ووعيها بذاتها وإرادة ذاتها الذاتية، حتى تصبح مباراة الرجل والمرأة مجرد جحيم، بأي عزيمة يقتل الرجالُ أنفَسهم أكثر مما يجارونها –أو يقتلون شخصًا آخر.

إننا نغرس وعيًا ذاتيًّا أكثر وأكثر، نعلم كل مارى صغيرة أن تكون أكثر وأكثر مارى الصغيرة من رأسها، ونعلم كل جوزيف صغير أن ينظِّر لذاته حتى الخدش.

هنا تكمن الغاية. لا بد من نهاية. هلك. في الماضي، كل جنس وعى ذاته وارتبط بالفكرة. ثم بدأ الأمر مرة أخرى، بطريقة مختلفة، مع جنس آخر. أبدًا لم يتعلم الإنسان طريقة أفضل. إننا حقًّا أكثر بلاهة، في التعامل مع الحياة، من الإغريق المندثرين والأتروريين المفقودين. يومنا قصير بصورة ملائمة ومحدود السرعة. نستطيع أن نمرّ، ويستطيع جنس آخر أن يتبعنا بعد ذلك.

يوجد بديل آخر. ما زالت لدينا القدرة على التمييز بين مثاليتنا، إرادة وعينا، وتلك الحقيقة الأخرى، ذاتنا الحقيقية التلقائية. من المؤكد أننا نفرط كثيرًا في حمل الأفكار، وأننا مرضى بها، ولا نستطيع التغلب عليها جيدًا في دقيقة. يمكن أن نواجه المرض بعناد بمجرد أن نعرفه. مرض الحب، مرض «الروح»، مرض الودّ والخير والإحساس الطيب بمصلحتنا وبمصلحة الآخرين. أوه، إن هذا كله غرغرينة. نستطيع أن نتراجع إلى الغرور وأن نعزل أنفسنا ونبقى وحيدين كالمجذومين، إلى أن نشفى من المرض الشبحي الأبيض، من مثالية الوعي الذاتي.

نستطيع حقًّا الانتقال إلى مصلحة أطفالنا. نستطيع حقًّا الإحجام عن دفع أطفالنا أكثر من ذلك إلى تلك الأسرة الحارة، المدارس، أسرة مرض الوعي الذاتي. نستطيع حقًّا أن نمنعهم عن أكل المزيد من أنسجة الجذام والجرائد والكتب. لفترة، يجب أن يتوقف تمامًا التعليم

الاضطراري للقراءة والكتابة. إن القطاع الأعظم من البشر يجب ألا يتعلم إطلاقًا القراءة والكتابة -إطلاقًا.

علينا استبدال هذا الإزعاج، مرض الوعي العقلي المزعج والمرعب، والتوق غير الصحي للحث والعمل، علينا استبداله بعمل حقيقي. حقًّا، لم تكن الحرب بداية رديئة. لكننا خرجنا تحت شعار المثالية، نلجأ الآن للرجال مرة أخرى، الفيروس أنشط مما كان في إفساد الأرواح الحقيقية.

يوجد قطاع من الناس لن يفهم بالعقل أبدًا. لكنهم سيوافقون بسرعة على ما يفعله الآخرون.

علينا أن نحلّ العمل بكل أنواعه محل النشاط العقلي بالنسبة لقطاع من الناس. حتى العمل لاثنتي عشرة ساعة في اليوم أفضل من قراءة الجريدة في الرابعة ظهرًا والشكوى بقية المساء. لكن علينا أن نوجه عناية خاصة للأطفال. نحاول بأي ثمن أن نمنع عقل البنت من السيطرة على ذاتها. نوفر لها عملًا، شغلًا، لعبًا: نفترض قاعدة عن طبيعتها كبنت: ندعها تتعلم الفنون المنزلية تمامًا. نتركها تصنع وتغزل وتحيك. أي عمل يحافظ على نشاطها، ويمنعها عن القراءة والوعي الذاتي. لننتبه بسرعة قدر الممكن للآلة الكريهة التي تصنع الأشياء. إن لها رائحة الموت. علينا أن نلحَّ على قداسة البيت والموقد وأشياء المنزل الحقيقية. ثم ابعد البنت عن أي ألفة أو «صداقة» مع الأولاد. إن المودة اللطيفة النقية بين الجنسين، والتي نعجب بها، مودة عقيمة. إنها تخلق الحياديين. بعد ذلك، لا يمكن إنشاء حياة جنسية حسية عميقة.

وبالمثل مع الأولاد. نرسخ لهم في البداية بصورة أساسية قاعدة الغرور والخشونة، قاعدة الرجولة. نجعلهم يعرفون في كل لحظة أنهم يعيشون في ظلال غرور الراشد وقوته وسلطته. ليصبحوا جنودًا، ولكن كأفراد وليس كوحدات في آلة. ثمة حروب في المستقبل، حروب عظيمة، لا تحسمها الآلات في النهاية، تحسمها الحرية وروح الحياة التي لا تقهر. لن تشتعل بعد الآن حروب تحت شعارات مثالية، وفي روح القداسة ستشتعل حروب في قوة شخصية الرجال. ثم، تدريب فردي خالص على الحرب، وإعداد لطريقة الحياة الجديدة تمامًا، لمجتمع جديد. ضع كل شيء في مكانه، النقود والعلم والصناعة. على القادة أن يتحملوا الحياة، وعليهم ألا يطلبوا من التابعين البسطاء تحديد الاتجاه. حين يتحمل القادة المسؤولية، فإنهم يخلصون التابعين إلى الأبد من واجب العثور على الطريق. يخلِّصونهم من كابوس الشؤون العامة الكريه، ويمكن أن تصبح الجماهير مرة أخرى حرة وسعيدة وتلقائية، وتترك المشاكل للصفوة. لا جرائد –لن يتعلم معظم الناس القراءة أبدًا. مرة أخرى تنطلق إيماءات الحياة التلقائية العظيمة.

لا يمكن أن نستمر كما نحن– العدم، مخلوقات بالية الأعصاب، حيواتنا تبلى ونكره الموت لأننا لم نعش مطلقًا. السر هو، علينا أن نترك المسؤولية في أيدي القِلَّة المكرسة لها، المسؤولية التي تمثل عذابًا لمعظم الناس. ليكن القادة، القلة، مسؤولين أكثر من أجل الجميع. وليكن الغالبية أحرارًا: أحرارًا، يحافظون على اختيار القادة.

القادة –إنهم ما يتوق إليه البشر.

لكن على الرجال أن يستعدوا للطاعة، جسمًا وروحًا، بمجرد أن يختاروا القائد. عليهم أن يختاروا القائد من أجل الحياة فقط.

ومن ثم نبدأ– توجد بداية.

* * *

التعليم والجنس

في الرجل والمرأة والطفل

بعد ذلك، علينا حتى أثناء أداء العملية التعليمية القديمة، أن نتجنب تطور القوى التي تُدعى التعبير الذاتي في الطفل. علينا أن نحذر الحث الزائف لوعيه الذاتي وما يُدعى خياله. كل ما نفعله هو إفساد الطفل في حالة الوعي الذاتي الشبحية، وجعله يحاول في تكلف أن يبدو كما نأمل. الوداع لكل شيء إلا الزيف حين يدخل أقل أثر للوعي الذاتي إلى الطفل.

الأفضل بكثير مجرد اجتياز الأبجدية ومبادئ الحساب البسيطة... إلخ، إنّ الطرق الحديثة تجعل الأطفال حادّين، وتمنحهم نوعًا من البراعة الملساء، إنها بداية الأذى. تنتهي «باضطراب» البروليتاريا الهستيرية العصبية. نبدأ في الخامسة نعلم الطفل أن «يفهم». أن يفهم الشمس والقمر وزهرة الربيع وأسرار التناسل، تقدستْ روحك. أن يفهم الطريق كلها. وفي العشرين يفهم الطفل شكواه المدّعاة بصورة هستيرية، وتكون نهايته. الفهم هو الشيطان.

لا يجب أن يفهم الطفل الأشياء. عليه أن يمتلكها بطريقته. إن رؤيته ليست رؤيتنا. حين يرى ولد في الثامنة حصانًا، فإنه لا يرى الموضوع البيولوجي الصحيح الذي نهدف إليه. يرى شبحًا حيًّا ضخمًا غير محدد الشكل، بشعر يتدلى من العنق وأربع أرجل. إذا رسم له عينين في صورة جانبية فهو على صواب تام. إنه لا يرى رؤية فوتوجرافية بصرية. إن الصورة على شبكيته ليست صورة وعيه. الصورة على الشبكية لا تتوغل إلى أعماقه ببصيرة قوية غامضة مبهمة، يتزود بشبح قوي، شبح له عينان وأربع أرجل ويبدو ضخمًا وقريبًا.

إن دفع الطفل لرؤية أن المنظر الجانبي الصحيح للحصان بعين واحدة يشبه تمامًا لصق إعلان أمام بصره. إنه يقتل رؤيته الداخلية ببساطة. لا نريد منه أن يرى حصانًا حقيقيًّا. إنه ليس كاميرا صغيرة. إنه كائن حي صغير يتعاطف ديناميكيًّا بصورة مباشرة مع موضوعات العالم الخارجي. يستقبل الجوهر الأصلي للإنسان بواسطة ثديه وبطنه، بواقعية مغمورة. إن شجرة سفينة نوح إلى اليوم أكثر واقعية من شجرة الكورت أو شجرة الكونستابل: وحقيقة بقرة سفينة نوح المفلطحة الحيوية أعمق حتى من بقرة كايب.

إن نموذج الرؤية ليس واحدًا ونهائيًّا. إنه متعدد. إن الصورة البصرية بالنسبة للطفل مجرد لطخة مشوشة –وبالنسبة للراشد المنفعل في الحقيقة. ترى الروح نظيرها الحقيقي في هذه اللطخة المشوشة. ترى في البقرة قرونًا واستقامة وذيلًا طويلًا. ترى في الحصان عرفًا ووجهًا طويلًا وأنفًا مستديرًا وأربع أرجل. وفي كل حالة ترى شبحًا

حيويًّا غامضًا. قرون واستقامة وذيل ثور طويل ورفيع، إنها العناصر المخيفة والمدهشة لشكل البقرة، تمامًا كما تراه الروح الديناميكية. إن الصورة المثالية خارج الطبيعة بالنسبة للطفل -خطأ. يريد الطفل صورة التعرف الأصلي، لا يريد الدقة أو التعبير أو أي شيء ندعوه الفهم. يشوه الطفل الصورة بشكل حتمي وديناميكي. إن التجريد الديناميكي أبعد من الذهني. إذا رُسمت عين ضخمة في وسط الوجنة في رسم الطفل، فإن هذا يوضح وعي العين الديناميكي العميق، إن تضخيمها النسبي حقيقة حياة حتى لو كان خطأ علميًّا.

ومن ناحية أخرى، ماذا يمكن أن نقول للطفل عن الأرض، «العالم كرة مسطحة، كبرتقالة؟» إنه كلام خبيث ببساطة. الأفضل بكثير أن نقول العالم بيضة مسلوقة في مقلاة. قد يكون لهذا معنى ديناميكي. إن الشيء الوحيد بالنسبة للبرتقالة المسطحة أن الطفل يراها فقط تلهو بنفسها في الهواء الأزرق ولا يقلق إطلاقًا ليربطها بالأرض التي يطأ. إلا أنه من الأفضل لمعظم الناس ألا يسمعوا أبدًا بالكرة المسطحة. لا يجب أن نقول إن الأرض دائرية. إنه يجعل كل شيء غير حقيقي بالنسبة لهم. يُحبطون بانطباعهم عن الأرض الجيدة المسطحة، لن يستطيعوا التغلب على هذه الكرة، يعيشون في ضباب التجريد، ينتفي وجود أي شيء بهضاب ووديان. لماذا نندفع للتجريد ونقتل الحقيقة حين لا تكون بنا حاجة لهذا؟

وبالنسبة للأطفال، ألن نتحقق أبدًا من أن تجريداتهم لم تتأسس أبدًا على ملاحظات ولكن على مبالغة ذاتية؟ إذا كان في الوجه عين، فالوجه

كله عين. لا تستطيع روح الطفل التغلب على سر العين. إذا كان في منظر طبيعي شجرة، فالمنظر الطبيعي كله شجرة. إنها البؤرة الجزئية دائمًا. إن محاولة جعل الطفل يركز على المنظر كله –وهو في الواقع تعميم الراشدين وتجريدهم– محاولة كريهة تمامًا. إن أول ما يجب أن نفعله هو أن ندع الطفل يضع خرائط مجسمة من الطين، مثلًا، لمنطقته. بلاهة! ليس لديه أبهت انطباع عن الهضبة التي يقف عليها منزله. الارتفاع إلى الباب –ودرابزين الحديقة الأمامي– وربما النوافذ. هذا كل شيء.

قمة الأمر وقاعه أن تعليم الطفل أي شيء من حكمة المدرسة جريمة. إن تجميع الأطفال معًا وحشو رؤوسهم عمل بشع. يُحْدِثُ مجاعة تامة في المراكز الديناميكية، والبديل معرفة مخية عقيمة، إنها كل الثمن. يتم إفقار أطفال الطبقات الوسطى حيويًّا إلى حدٍّ بعيد، إن استمرارهم في الوجود معجزة. الأفضل ما يفعله أطفال الطبقات الدنيا، إنهم يهربون إلى الشوارع. لكن حتى أطفال البروليتاريا الآن أصابتهم العدوى.

وبالطبع، كما أشار نقّادي، تحت حسرة المدرسة ونفاق الصحافة، الإنسان اليوم همجي كآكل لحوم البشر وأخطر. تفقد الذات الديناميكية الحية طبيعتها بدل أن تتعلم.

نتحدث عن التعليم –ننطلق إلى ذكاء الطفل الطبيعي. إن وضعنا يعارض الانطلاق تمامًا. إنه حشو المخ بالحقائق عبر الرأس، والتشويه التالي والخنق وتجويع مراكز الوعي الأولية. نفسح أمامنا مجالًا ليوم الحساب اللطيف.

لنتطلق بكل الوسائل، على ألا يكون أمامنا معرفة ذهنية كهدف للانطلاق. وأقل من هذا بكثير أن نجعل منه دائرة مؤذية نقود فيها عقل الطفل التعيس كبقرة في حلقة بسوق المزارعين. لا نريد تعليم الأطفال ليستطيعوا الفهم. إن الفهم مغالطة ورذيلة بالنسبة لمعظم الناس. لا أريد من طفلي أن يعرف، ولا أريد منه أن يفهم. لا أريد من طفلي أن يعرف أن خمس خمسات تساوي خمسة وعشرين، أكثر مما أريد منه أن يلبس قبعتي وحذائي. لا أريد من طفلي أن يعرف. إذا أراد أن يعرف خمس خمسات فليعدّها على أصابعه. أرحْ عقله الصغير ودع ذاته الديناميكية يقظة. «لماذا» سيسأل غالبًا بشكل كافٍ. ولكنه غالبًا يسأل أكثر لماذا تشرق الشمس، أو لماذا للرجال شوارب، أو لماذا العشب أخضر، أكثر مما يسأل عن أي شيء له معنى. إن معظم أسئلة الأطفال، ويجب أن تكون، غير قابلة للإجابة. ليست أسئلة إطلاقًا. إنها علامات تعجب عن الدهشة، إنها تعليقات موجهة تحمل شكوكًا. حين يسأل الطفل، «لماذا العشب أخضر؟» فإنه يلمّح نصف تلميح، «هل هو أخضر، أم أنه يخدعني فقط؟» نبدأ برزانة الثرثرة عن الكلوروفيل. أوه، معتوهون، بلهاء، بوم بلا مبرر.

يتطور الطفل بواسطة المراكز الديناميكية الرئيسة وهو تطور غير عقلي أساسًا. إن إدخال النشاط العقلي يعني إيقاف النشاط الديناميكي وإحباط التطور الديناميكي الحقيقي. في الحادية والعشرين يكون أناسنا الصغار كائنات ذهنية متعثرة، عاجزة، فاقدة الذات، لا شيء أمامهم، لأنهم جُوّعوا من الجذور بشكل منظم لواحد وعشرين عامًا،

وتغذوا عن طريق الرأس. عاشوا توتراتهم الذهنية، الجنس وكل شيء، عن طريق الرأس تمامًا، وحين يأتي إلى الشيء الحقيقي لا يكون بداخله شيء. متخم استنزف الرأسُ المراكز الوجدانية.

قبل الرابعة عشرة، على الأطفال أن يتعلموا الحركة فقط، والفعل والعمل. عليهم بأقل قدر. لا يستطيع الراشدون ببساطة أن يعرفوا أي شيء عن نموذج الذكاء الطفولي. يتدخل الراشدون دائمًا. يدفعون دائمًا بالنموذج الذهني للراشد. ومن ثم يجب صيانة الأطفال من تعليمات الراشدين.

دع الطفل يعمل –نعم. دعه ينجز أعمالًا بسيطة. امنع التدريبات الرفيعة والدقيقة والضارة. ليؤدِّ الطفل الأعمال البسيطة بما يتواءم مع طبيعته تمامًا. دع الطفل يقظًا ومغرورًا في حركاته. دعه يعرف بشكل قاطع أن عليه ألا يتعدى على سرية الآخرين أو صبرهم. علمه أن يغني، واحكِ له حكايات. ولا تنصحه أبدًا بحكمة المدرسة. دعه وحده، ابعث به بعيدًا مع الأطفال الآخرين ليعرف الأذى، ويقلع عنه، ويعرف الخطر، ويقلع عنه. انس طفلك تمامًا قدر الممكن.

إنه دور الأبوين النشط والحماسي، ويجب عدم إلقاء تبعته على الغرباء. دور الأبوين أن ينسيا ذهنيًّا، وألا يتخلوا أبدًا عن أطفالهم ديناميكيًّا.

لا أهمية لأن يعرف الآباء لماذا تغلق المدارس، ولماذا عليهم أن يكونوا مسؤولين تمامًا عن أطفالهم في السنين العشر الأولى.

إذا كان من غير المفيد تمامًا أن نتوقع من الآباء فهم نظرية

القرابة، فلا فائدة من توقع أنهم سيفهمون تطور الوعي الديناميكي. لكن لماذا يجب أن يفهموا؟ إن الفهم دور القلة النادرة، ودور الغالبية أن يصدّقوا ولا ينزعجوا، لكن عليهم أن يكونوا مشرفين وإنسانيين ليقوموا بمسؤوليتهم الإنسانية. وأن يطيعوا زعماءهم طاعة نشطة، وأن يحتفظوا بأرواحهم في كبريائهم الطبيعي.

يجب أن يفهم بعض الناس لماذا على الطفل ألا يتعلم ذهنيًّا. ويجب أن يكوّن البعض فكرة غامضة عن عملية الوعي في الأربعة عشر عامًا الأولى. يجب أن يفهم البعض ما يلاحظه الطفل حين ينظر إلى حصان، وما يعنيه حين يسأل «لماذا العشب أخضر؟» إن الإجابة عن هذا السؤال، بالمناسبة، «لأنه كذلك».

لا يخضع التفاعل بين المراكز الديناميكية الأربعة لقانون واحد يمكن تصوره. يخضع النشاط الذهني لقانون الترابط. لا يوجد ترابط منطقي أو عقلاني في الوعي الديناميكي. ينبض بشكل غير مترابط منطقيًّا، ومن المستحيل تحديد أي تتابع. يتطور الشخص ذاته من النقص الحقيقي للتتابع في الوعي الديناميكي. لا يخضع التجريد الذهني الذي يقوم به الطفل لقانون ذهني. وقد لا يوجد أبدًا قانون من الممكن افتراضه. وهذا هو السبب في أن إرغام الطفل على صناعة خريطة طينية مجسمة لمنطقته أو إرغامه على الخروج بخلاصة من ملاحظات محددة عمل خبيث تمامًا. ديناميكيًّا لا ينتزع الطفل أي خلاصة. كل الأشياء محتملة ديناميكيًّا. الخلاصة التي تُنْتَزع مسمار في كينونة الطفل النامية، دع الطفل يصنع من الطين منظرًا طبيعيًّا أحبَّه.

طبقًا لهواه تمامًا ومن دون خلاصات تنتزع. فقط، دعه ينجز المنظر الطبيعي بحيوية –تدريب الروح على الانتباه التام دائمًا. «أو، أين مداخن المصنع؟» –أو أيضًا– «لماذا تجاهلت عمال الغاز؟»، أو «هل تسمى هذا العمل غير المتقن كنيسة؟» يجب أن تكون البؤرة الخاصة حيوية، ويكون التسجيل صحيحًا إلى حدٍّ ما. على الروح أن تنتبه بقوة، إنه كل شيء.

وهكذا يتطور الطفل في العشرة أعوام الأولى بتدريب نشط. لا حاجة بنا للخوف من أن يرى الأطفال رغبات الراشدين وتفاعلات حياتهم. فقط علينا ألا نلحّ على تعاطف الطفل في أي اتجاه، خاصة اتجاه الحب والشفقة. علينا ألا نقحم مغالطة الصواب والخطأ. إن الصراخ أقل الأشياء ضرورة: «ترى، عزيزي، أنت لا تفهم. حين تكون أكبر –» حصافة الطفل، بأي شكل، أفضل من فهم الراشد.

إنها، بالطبع، جريمة مضاعفة عشر مرات أن نحكي للأطفال حقائق عن الجنس أو نورطهم في علاقات الراشدين. للطفل وعي جنسي قوي وسريع الزوال. يكتب الطفل غريزيًّا كلماتٍ مستحيلةً على الحوائط الخلفية. لكنه ليس فعلًا يعيه ذهنيًّا بصورة تامة. إنه نوع من عمل الحلم –طبيعي تمامًا. إن معلومات الطفل الجنسية الفضولية الوهمية والبذيئة طبيعية إلى حدٍّ بعيد، ولا تؤذي أي شخص إطلاقًا. الأفضل تمامًا ألّا يلاحظها الراشدون. لكن إذا شاهد طفل ديكًا يطأ دجاجة. أو كلبين في وضع جنسي فهذا حسن وجيد. يجب أن يرى هذه الأشياء. فقط، دون تعليق. لا توارِ شيئًا بصورة مبالغ فيها. لنصن

بالغريزة أسرارنا المهذبة. ويكون أفضل إذا رأى الطفل أحيانًا أحد أبويه عاريًا، يأخذ حمامًا. السرية المبالغ فيها سيئة. لكن الفضح البذيء سيئٌ جدًّا أيضًا. لكن الأسوأ هو جر هذه الحقائق الديناميكية الوهمية إلى الوعي العقلي.

وبالمثل، إنه عمل رديءٌ أن نحدث طفلًا عن راشد. ليحتفظ الراشدون بمشاعرهم وتواصلاتهم مع أناس في مثل عمرهم. لكن إذا شاهد طفل أبويه في شجار عنيف، هذا أفضل. لا بد من العواصف. إن فهم الطفل الديناميكي أعمق من تبريراتنا المتكلفة وأكثر تأثيرًا منها. لا تشرك الطفل أبدًا في شؤون الراشدين. لا تورِّط الطفل. ارفض تعاطفه في مثل هذه المواقف. عاملْه دائمًا كأنه لا يسمع، حتى إذا كان موجودًا وسيسمع بالضرورة. الروح الديناميكية تقدر الأشياء دائمًا وتضعها في المكان الصحيح، إذا لم يتدخل الراشد بتعليق أو رغبة في التعاطف. من الفساد أن يحاول أحد الأبوين كسب تعاطف الطفل ضد الطرف الآخر. الأب الذي استقبل التعاطف أَنْفهُ دائمًا من الذي استقبل الكراهية.

بالطبع يولد اليوم عدد كبير من الأطفال اليقظين ذهنيًّا بشكل غير طبيعي، إنهم يدركون شؤون الراشدين حتى أنهم لا يتركون شيئًا حتى تقول لهم كل شيء بوضوح؛ والأفضل بكثير أن تقول للطفل بطريقة أخرى: «آه، اخرج، أنت تعرف الكثير جدًّا، تُعلّني».

لنعد إلى التساؤل عن الجنس. يولد الطفل وله جنس. الطفل إما ذكر أو أنثى؛ إما ذكر أو أنثى نفسًا وجسدًا. كل خلية حية إما ذكر أو

أنثى، وتبقى ذكرًا أو أنثى طالما استمرت الحياة. كل خلية في كل طفل ذكر ذكرية، وكل خلية في كل طفلة أنثى أنثوية. إن الحديث عن الجنس الثالث إفساد للقضية فقط.

صحيح بيولوجيًّا أن التكوين الأثري للجنسين يوجد في كل إنسان، إنه لا يعني أن كل إنسان قضمة من النوعين، أو أنه شيء مرتجل. بعد فترة كافية من المثالية وعى الرجال ذاتيًّا بيأس. أي أن مراكز الوجدان الرئيسة لم تعد تعمل تلقائيًّا، تنتظر دائمًا تعليمات الرأس. إن هذا يولد دائمًا ارتباكًا هائلًا في النفس. إن الشخص الواعي ذاتيًّا مسكين لا يستطيع تدعيم وضع أو موقف. علمتنا مثاليتنا أن نكون مهذبين وتواقين: نسويين ومائعين إلى حد ما، ومائعين جدًّا في تعاطفنا. في الحقيقة، يعرف عدد من الرجال أنهم يشعرون بطريقة تشبه ما يتخيلون أنها بالضرورة الطريقة التي تشعر بها الفتاة. ومن ثم يستنتجون أن في أعماقهم بالضرورة مشاركة عظيمة للجنس الأنثوي. استنتاج خاطئ.

لهؤلاء الرجال النسويين اليوم أرهف ذكورة غالبًا بمجرد أن يتم اختبارهم. كيف يأتي شعورهم إذَنْ، وكيف يبدون نسويين إلى هذه الدرجة. إنه إلى حدٍّ بعيد سؤال عن اتجاه تيار الاستقطاب. علمتنا مثاليتنا الإفراط في الحب والخضوع والميوعة في التعاطف، أي أن النموذج أصبح ذاتيًّا في العديد من الرجال. الآن فيما نطلق عليه النموذج «الطبيعي»، إيجابية الرجل في مراكز الإرادة، وإيجابية المرأة في المراكز السمبتاوية. عكس الرجال هذا النموذج وفاءً بمثال

الحب المسيحي. اتّخذ الرجال الدور المهذب والسمبتاوي تمامًا، وأصبحت المرأة الشريك الفعال والسلطة في يديها. الذكر ذو طبيعة حساسة سمبتاوية، والمرأة ذات طبيعة نشطة مؤثرة ومسيطرة. وهكذا، في العلاقات الإنسانية يقوم الذكر بدور قطب الجاذبية السلبي أو المستقبل، وتقوم الأنثى بدور القطب النشط الإيجابي المانح. إنه يمثل عكسًا للتيار القديم. تبادر المرأة الآن ويستجيب الرجل. يبدو أن كلا منهما يؤدي دور الآخر. لكن الرجل ذكر خالص يلعب دور المرأة، والمرأة أنثى نقية مهما تكن رجولتها. إن الهوة بين هليوجابالوس، أو أكثر الرجال نسوية على الأرض وأكثر النساء رجولة تبقى كما كانت للأبد: نفس الهوة القديمة بين الجنسين. الرجل ذكر، المرأة أنثى. فقط، يلعب كل منهما دور الآخر في فترات معينة. دارَ الاستقطابُ الديناميكي.

يمكن أن نعرّف هذا العمل الموجب والسالب بصورة أفضل إذا نظرنا بشكل أكثر إحكامًا. كحقيقة، يتقاطع الإيجابي والسلبي، غير الفعّال والفعال في كلا الطريقين. إذا كان الرجل كمفكر وعامل فعالًا أو إيجابيًّا والمرأة سلبية، فمن ناحية أخرى تكون المرأة إيجابية والرجل سلبيًّا في المبادرة العاطفية والشعور والفهم السمبتاوي. قد يكون الرجل مبادرًا في العمل، لكن المرأة مبادرة في العاطفة. يبادر الرجل طالما استمر النشاط الإرادي، وتبادر المرأة طالما استمر النشاط السمبتاوي. من الطبيعي في الحب أن تُحبَّ المرأة ويُحبُّ الرجل. المرأة إيجابية، في الحب، والرجل سلبي. في الحب تسأل

المرأة ويلبي الرجل. الوضع معكوس في الحياة. في المعرفة والعمل، الرجل إيجابي والمرأة سلبية: يبادر الرجل، وتعيش المرأة وفق ما تريد.

من الطبيعي أن هذه الأشياء المرتبة بصورة لطيفة قد تعكس. يُستقطب العمل والتلفظ، وهما ذكريان، مقابل الشعور والعاطفة، وهما أنثويان. ما الإيجابي، ما السلبي؟ هل ولد الرجل، الزعيم السرمدي من امرأة، من رحمها ذي العاطفة التي لا يسبر غورها؟ أم أن المرأة ولُدتْ برحم عميق العاطفة من ضلع الرجل الفعال، أول الخلق؟ هل الرجل، العامل، العارف، أصل الوجود، هو سيد الحياة؟ هل المرأة، الأم العظيمة التي ولدتنا من رحم الحب من الإلهة السامية؟

إنه سؤال كل الأزمنة. وطالما بقي الرجل والمرأة تبقى الإجابة بالطريقة الأولى، ثم بالطريقة الثانية. يدّعي الرجل عادة، كمتكلم، أن حواء خُلقت من ضلعه الاحتياطي: من حقل الخلق، أي من الوعي الديناميكي العلوي. لكن بمجرد أن تتاح للمرأة فرصة للكلام، تشير إلى حقيقة أن الرجل، الحبيب المسكين، هو حتمًا من نتاج رحم أمه. هكذا تتقد المعركة.

لكن بعض الرجال يتفقون دائمًا مع المرأة. ينسب بعض الرجال دائمًا للمرأة إيجابية الخلق. وفي بعض الفترات، كالفترة الحالية، يتفق معظم الرجال فيما يتعلق باعتبار المرأة أصل الحياة، أول عبارات الخلق: المرأة، الأم، الكائن الأول.

يتحول كل الاستقطاب. يبقى الرجل الفاعل والمفكر. يبقى

فقط في خدمة المرأة المنجبة. أسمى لحظاته الآن اللحظة العاطفية حين يسلم ذاته للمرأة، حين يشكل الإجابة الصحيحة على سؤالها العظيم عاطفيًّا وتناسليًّا. يسهم، بكل تفكيره ونشاطه في العالم، في هذه اللحظة حين يفي بالرغبة العاطفية للمرأة، مولد الانبعاث كما يدعوها ويتمان. ينبعث الرجل في تكامله مع الرغبة العاطفية للمرأة، إنها حقيقة.

ثمة نقطة نتوقف الآن جميعًا عندها. الحياة، التفكير، والنشاط، كلها مكرسة للنهاية العظيمة للمرأة، الزوجة والأم.

دخل الرجل الآن نموذجه السلبي. تكامله الآن في المشاعر وليس في العمل. إن نشاطه كله للمنزل ويذهب كل تفكيره للبرهنة على أن لا شيء له معنى إلا أن يستمر ذلك الميلاد وأن تلوذ المرأة إلى عش هذه الكرة كالطائر الذي يغطي بيضه في بعض الأشجار العالية. انبعث الرجل الساحر، القائد، المقدس، المعذب، من المرأة.

إلى هذه الدرجة تتبدل كل ميول طبيعته. بدل أن يكون صارمًا وعديم الحس إلى حدٍّ ما، أصبح مترددًا وحساسًا. يعيش بمشاعر كثيرة –كلا، مشاعر تفوق مشاعر المرأة. تكمن بطولته تمامًا في الثبات على حب الإيثار. يفضل الشفقة والإحساس والضعف حتى في ذاته. باختصار، يؤدي إلى حد بعيد دور المرأة الأصلي. وأثناء ذلك نزعت المرأة الخوف وصارت قاسية الأعماق، إنها تقوم بالشق الإيجابي. تمسك بالمسؤولية. إن اليد التي تهز المهود تحكم العالم. كلا، إنها تجعل الرجل يكتشف أن المهود يجب ألا تهتز، لكي تبقى

يداها حرتين. إنها الآن ملكة، وطاغية مخيف في أعماقها. تحتفظ بالشفقة والإحساس كزخرف لرايتها. ليكن الله في عون الرجل الذي تشفق عليه. تمزقه في النهاية إلى قطع صغيرة.

ومن ثم ترى عكس الأقطاب القديمة. أصبح الرجلُ الشخص العاطفي والمرأة الإيجابيَّ والفعال. يبدي الرجل علامات قوية لرغبة جنسية سلبية جدًّا ومميزة، لرغبة في الأخذ، لرغبة تميز المرأة. يبدأ الرجل في الشعور على طريقة المرأة –الطريقة التي نسبها للمرأة. صار أنثويًّا أكثر مما كانت المرأة في أي وقت، إنه يفضل أنوثته ويرى أنها الأسمى. باختصار، يبدأ الرجل اكتساب كل علامات التعقد الجنسي. يبدأ تصور أنه حقيقة نصف أنثى. تبدو المرأة، بالتأكيد، ذكرًا حقيقيًّا. هكذا نبعث مغالطة الخنوثة مرة أخرى.

لكن هذا كله مغالطة. لا يزال الرجل، في كل تخنثة، رجلًا، ليس إلا رجلًا. ولا تزال المرأة أنثى تمامًا مع أنها تخطب في البرلمان وتعسّ في الشوارع بخوذة على رأسها. فقط يلعب كل منهما دور الآخر، لأن الأقطاب عكستْ دورانها. انعكست البوصلة. لكن هذا لا يعني أن القطب الشمالي أصبح قطبًا جنوبيًّا، أو أن أيهما هو كلاهما.

بالطبع، على المرأة أن تثابر من أجل إيجابيتها العاطفية الطبيعية. ومن ثم على الرجل أن يثابر من أجل إيجابية كينونته للعمل غير المبالي، غير المنزلي، العمل الذكوري، غير المكرس لتكاثر الأنثى. بمجرد أن يتخلى الرجل عن معسكر إخلاصه، عن شهوة الإيجابية في كائن لا يبالي، عن مسؤوليته السامية لإكمال أعمق دوافعه من دون

مرجعية إلا للرب أو لروحه، عن وضع المرأة في الاعتبار مطلقًا في المسؤولية الأصيلة لروحه الأعمق: بمجرد أن يتخلى الرجل عن هذه القلعة الحصينة لحقيقته بلا ترفّع أو ألوهية، فإنه سيلتقط الصولجان ويبدأ إدارة فرقة الرجيتم في المرأة القادمة.

يبقى الرجل رجلًا، مهما ارتدى التوقَ والإحساس كالتنورات، ورقَّةَ المشاعر كحلية من اللؤلؤ. ولدك الصغير الحساس ذو العين الكبيرة أكثر تهذيبًا وحبًّا بكثير من أخته الأقسى، إنه ذكر لكل هذا، صدِّقْني. قد يوجد ذكر شرير، تعرف الأمهات أعباءهم: وتعرف الزوجات أكثر.

بالطبع يلزم وجود توازن عظيم بين الجنسين. على الرجل أن يتبع، في النهار، أعظم دوافع روحه، وعليه أن يمنح ذاته لعمل الحياة، ويعرض ذاته لخطر الموت. لا تبرهن المرأة على الأسمى في الرجل. إن روح الرجل المتدينة تقوده أبعد من المرأة، إلى نشاطه الأسمى. إن الرجل، لسموه مسؤول أمام الرب فقط. قد لا يتوقف ليتذكر أن له حياة يضيعها، أو زوجة وأطفالًا يتركهم. عليه، برغم هلاك العوالم السبعة، أن يحمل راية الحياة إلى الأمام بكل الزوجات والأمهات والأطفال. ومن ثم يقول المسيح «ما لي ولكِ يا امرأة». على كل رجل أن يقول هذا لزوجته أو أمه حين يكون في يده عمل أو رسالة نابعة من روحه.

ولكن، مرة أخرى، لا يعيش رجل أربعًا وعشرين ساعة في اليوم كأعجوبة مزهرة. المسيح أو نابليون أو أي شخص غيرهما لا يكون رجلًا بشكل كافٍ حتى يستطيع أن يأتي إلى المنزل في وقت الشاي

ويلبس شبشبه ويجلس تحت نفوذ زوجته. لهذا يكون للمرأة عالمها، إيجابيتها: عالم الحب والعاطفة والتعاطف. على كل رجل في ساعة مناسبة أن يخلع حذاءه. ويسترخي، ويسلم ذاته لامرأته، وعالمها. لا يسلم هدفه. لكن يسلم ذاته لمن هي زوجه. هكذا يمقت المرء آلية كانط، ويمقت نابليون البرجوازي الصغير الذي طلق جوزفين من أجل هابسبورجية –أو حتى المسيح حين يقول « ما لي ولكِ يا امرأة»، وربما أضاف «بالضبط الآن» كانوا كلهم فاشلين.

* * *

مولد الجنس

كان الفصل السابق نصف استطرادي. نعود الآن إلى موضوعنا المباشر. هل المباشرة ليست شديدة الوضوح؟ آه حسنًا. إنها مسألة نسبية. يولد الطفل بجنس واحد، ويبقى دائمًا مفردًا في جنسه. لا يوجد تداخل، فقط قد يحدث تغير هائل في الأدوار. لكن الرجل حين يلعب دور الأنثى يبقى ذكرًا.

يوجد الجنس -أي الذكور والأنوثة- من لحظة الميلاد في كل ما يقوم به الطفل. لكن الجنس، بالمعنى الحقيقي للعلاقة الجنسية الديناميكية، لا يوجد في الطفل ولا يمكن أن يوجد إلا مع البلوغ وبعده. حقًّا للأطفال نوع من الوعي الجنسي. حتى إن الأولاد الصغار والبنات الصغيرات قد يقومون معًا بأعمال غير لائقة. إلا أنها ليست أعمالًا حيوية. إنها نوع من النشاط الباهت، نوع من نشاط الحلم. إن تأثيرها ليس عميقًا جدًّا.

لكن، يجب إبعاد الأولاد والبنات عن بعضهم قدر المستطاع؛ لأنهم قد يضعون في الاعتبار الهوة الطبيعية التي تفصل بينهم ويخشونها بسبب الغرابة الهائلة التي يراها كل منهم في الآخر، في

النهاية. نخطئ جميعًا حين نقول إنه لا يوجد فرق حيوي بين الجنسين. توجد الفروق كلها. كل جزء صغير، كل خلية في الولد ذكرية، وكل خلية في المرأة أنثوية، ويجب أن تبقى كذلك. لا يمكن إطلاقًا للمرأة أن تشعر أو تعرف كالرجل. وأيضًا، لا يمكن إطلاقًا أن يشعر الرجال أو يعرفوا ديناميكيًّا كالنساء. إن الرجل الذي يعمل على القطب السلبي أو الأنثوي لا يزال رجلًا، إنه لا يشعر بأي شعور شخصي غير رجولي. إن النساء حين يتكلمن أو يكتبن لا يلفظن أي كلمة لم يعلمهن إياها الرجال. يتعلم الرجال مشاعرهم من النساء. وتتعلم النساء وعيهن الذهني من الرجال. هكذا تبقى الصورة إلى الأبد. أثناء هذا، تعيش النساء بالمشاعر للأبد، ويعيش الرجال بحس الغرض الموروث للأبد. المشاعر غاية في ذاتها. إنها حقيقة لا تقبل النقاش بالنسبة للمرأة، وليست صحيحة إطلاقًا ولو لدقيقة بالنسبة للرجل. حين يتقبل رجل المشاعر بالروح الأبيقورية يجعل من ذاته شهيدًا –مثل موباسان أو أوسكار وايلد. لن تفهم المرأة أبدًا عمق روح الغرض في الرجل، روحه الأعمق. ولن يفهم الرجل أبدًا قداسة المشاعر بالنسبة للمرأة. سينهمك كل منهما في مباراة الآخر، وسيبقيان بعيدين.

يختلف كل النموذج، كل شيء، اختلافًا حقيقيًّا في الرجل والمرأة. من ثم علينا أن نفصل الأولاد والبنات، لأنهم أنقياء وأبكار في أنفسهم. يفقدون تكاملهم الذكوري والأنثوي حين يختلطون وتنشأ بينهم ألفة، ويكونون «أصدقاء». يفقدون كنز المستقبل، الاستقطاب الجنسي الحيوي، سحر الحياة الديناميكي. يرتكز كل من السحر

والديناميكية على الآخر.

للجنس الحقيقي استقطاب حيوي. وفي سن البلوغ، كما نعرف، يثار الاستقطاب للعمل.

كيف؟ كما نعرف، يعيش الطفل بواسطة حقل الوعي الرئيس الديناميكي الراسخ بين الأقطاب الأربعة للنفس الديناميكية، قطبي التعاطف الرئيسَين وقطبي الإرادة الرئيسَين. تعمل الضفيرة الشمسية والعقدة القطنية، المركزان العصبيان الرئيسان أسفل الحجاب الحاجز، كمصدر ديناميكي لوعي الرجل كله، ويستقطبان مباشرة بالمركزين العصبيين الآخرين، الضفيرة القلبية والعقدة الصدرية فوق الحجاب الحاجز. يتركز في هذه الأقطاب الأربعة كل تيار الوعي الديناميكي والعلاقة الديناميكية الخلّاقة، داخل الإنسان وخارجه. تمثل هذه الأقطابُ الأربعة الأولى حقل الوعي الديناميكي الأول لاثنتي عشرة سنة أو أربع عشرة سنة من حياة كل طفل.

ثم يحدث التغير. يحدث ببطء، تدريجيًّا وحتميًّا، أبعد تمامًا من تحوّطنا أو تحكمنا. تعبر الروح الحية عن تميزها في انسلاخ عظيم آخر.

ماذا يحدث في النفس البيولوجية، هل تستيقظ مراكز الوعي والعمل الأعمق، في العمق، أسفل المركز السمبتاوي الرئيس، تعمل الضفيرة الخَثَلية *hypogatric plexus* طول الوقت بنوع من تلقائية الحلم، وتتوازن بالمركز الإرادي المناظر، العقدة العجزية. في الثانية عشرة يبدأ هذان المركزان ببطء يدمدمان ويستيقظان بقوة تردد عميقة

تغير كل تركيب حياة الإنسان.

وبينما يتألق هذان المركزان، المركز السمبتاوي في أعماق البطن والمركز الإرادي في الخاصرة، تدريجيًّا في النشاط الواعي اليقظ، يثار قطباهما المناظران في أعلى الجسم، يساهم في النشاط، في الحلق والعنق، ما يُسمَّى بالضفائر العنقية والعقد العنقية.

بزغ الآن حقل آخر للوعي الديناميكي، يمتد بعيدًا وراء الحقول الأولى. تحدث لنا الآن أشياء مختلفة. أولًا، يرسخ الجنس الحقيقي غرابته ووجوده المضطرب بداخلنا. إنه الاستيقاظ الهائل للجسم السفلي. وبعد ذلك، يبدأ ثديا المرأة، في الجسم العلوي، في النمو ويغير حلقها شكله. وفي الرجل يصبح الصوت أجشّ وتبدأ اللحية في النمو حول الشفتين وفوق الحنجرة. وتحدث تغيرات فسيولوجية واضحة تنتج عن الانفجار التدريجي في النشاط الحر للضفيرة الخثلية والعقدة العجزية، في الجسم السفلي، والضفائر والعقد العنقية في العنق، في الجسم العلوي.

لماذا يبدأ نمو الشعر في المناطق السمبتاوية السفلية والعلوية، لا نستطيع الإجابة. ربما من أجل الوقاية. ربما ليحمي هذه العقد القوية مفرطة الحساسية من تأثير التغير في درجة الحرارة الذي ربما يحدث تدهورًا. ربما للبحث عن تحذير وقائي، لأن الشعر يحذر حين يلمس. ربما وقاية ضد الذبذبات الديناميكية المختلفة، أو مستقبل لذبذبات ديناميكية أخرى ملائمة. ربما يعمل حتى شعر الرأس كوسط حساس للذبذبة لنقل تيارات النشاط الجسدي من المخ وإليه. وربما ينطلق

الشعر من مراكز الشعر الكثيف الحيوي كنوع من البشارة أو الإعلان، كأنه ذروة تأكيد الحياة.

مع الاستيقاظ الانفجاري في الأقطاب الأربعة الجديدة للوعي والكينونة الديناميكية: يحدث التغير في كل شيء: تبدأ الملامح في تحديد شكل الشخص، تنمو الساقان من المنبت الطفولي الهش والمستدير، يتميز الجسم. حدث تغير خَلْقي غريب في الكائن: يختلف الطفل قبل البلوغ تمامًا عن الطفل بعد البلوغ. مدهش حقًّا هذا الميلاد الجديد، هذا الارتفاع من بحر الطفولة إلى كائن جديد. إنه البعث الذي نخشاه.

ينشأ الآن عالم جديد، سماء جديدة وأرض جديدة. تنشأ علاقات جديدة وتتراجع القديمة إلى الوراء. يتراجع الأم والأب حتمًا أمام المعلمين والمعلمات، يخضع الإخوة والأخوات للأصدقاء. إنها فترة *Schwamerei*، فترة هيام الصغار وابتداء الصداقات الحقيقية. قبل البلوغ يكون للطفل زملاء في اللعب. بعد البلوغ يكون له أصدقاء وأعداء.

ينشأ حق جديد تمامًا للعلاقة الانفعالية. تسترخي الروابط القديمة، ويتقهقر الحب القديم. تسترخي روابط الأب والأم، إلا أنها لا تنقطع إطلاقًا. يشحب حب الأسرة، إلا أنه لا يموت أبدًا.

إنها ساعة الغرباء. ليدخل الغرباء الآن الروح.

إنها أولى ساعات التميز الحقيقي، أولى ساعات السمو والتوحد المسؤول. يعرف الطفل هاوية البؤس. لكن المراهق فقط يعرف الألم الغريب لنمو عزلة فرديته.

الآن، يصبح للجنس وجود فعال. حتى البلوغ يكون الجنس مغمورًا، وليدًا وأوّليًّا فقط. بعد البلوغ يكون عاملًا هائلًا.

ما الجنس، حقًّا؟ لا نستطيع الإجابة، بصورة مقنعة. لكننا نعرف كثيرًا جدًّا: نعرف أنه استقطاب ديناميكي بين الكائنات البشرية، ودائرة قوة تسري دائمًا. يتكلم المحلل النفسي كلامًا صحيحًا إلى حدٍّ بعيد. لا يمكن وجود علاقة حية بين راشدَيْنِ لا تتألف من تيار استقطاب ديناميكي للقوة الحيوية أو المغناطيسية أو الكهربية، سمِّها ما تشاء، بين هذين الكائنين. لكن، هل هذا التيار الديناميكي حتمًا جنسي في طبيعته؟

إنها نقطة النقاش في التحليل النفسي. لنتطلع إلى الجنس في سماته الواضحة. تكتمل العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة بالمضاجعة. الآن، ما المضاجعة؟ نعرف هدفها الوظيفي، الإنجاب. لكننا نعرف بعد كل خبراتنا وكل شعرنا ورواياتنا أن الإنجاب كهدف للجنس مجرد مشهد جانبي بالنسبة للمرأة والرجل كفردين. المضاجعة، بالنسبة للفرد، خبرة نفسية عظيمة، خبرة حيوية ذات أهمية هائلة. يعتمد على هذه الخبرة الفردية إلى حدٍّ كبير حياة الشخص ووجوده الحقيقي.

لكن، ما الخبرة؟ لا يمكن التحدث عنها. فقط، نعرف شيئًا. نعرف أن دم الرجل الفرد يتحمل في المضاجعة حقيقة بكهربية كثيفة بصورة إضافية –لا نعرف أي كلمة، لذا نقول «كهربية» بالقياس– يرتفع إلى الذروة، برغبة مغناطيسية هائلة لدم الأنثى. يشكل كل الدم

الحي في الشخصية حقلًا كثيفًا من الجاذبية المغناطيسية المستقطبة. هكذا يجب أن يتلاقى القطبان. في المضاجعة يهتز بحران من دم الشخصين ويموجان باتجاه التلاقي ويصلان إلى الوحدة في أقرب فرصة. يحدث بريق هائل للتبادل، كشرارة كهربية حين يتلاقى تياران، أو كبريق السحب الكثيفة ذات الحمولة الإضافية. ثمة بريق لامع يمر في دماء الشخصين كليهما، ثمة عاصفة من الإحساس تعصف أثناء تناقص الصخب في أعصابهما -ثم يعبر التوتر.

ينفصل الشخصان مرة أخرى. لكن هل بقيا على حالهما؟ هل يبقى الهواء بعد العاصفة الرعدية على حاله؟ لا. يبدو الهواء كما لو كان جديدًا، نقيًّا، يرنّ بالتجدد. هكذا دم الرجل والمرأة بعد مضاجعة ناجحة. بعد مضاجعة خطأ، كما يحدث للبغي، لا يحدث تجدد، يحدث انحلال معين.

بعد المضاجعة، يتغير تركيب الدم الكيميائي بدرجة كبيرة، حتى أن النوم يطرأ عادة ليتيح وقتًا لإعادة التوازن الكيميائي والبيولوجي في الجهاز كله.

هكذا يتغير الدم ويتجدد ويُنقّى، يعاد خلقه تقريبًا كالمحيط الجوي بعد العاصفة، من تجدد الدم الحي تمر موجات غريبة تدق مراكز الأعصاب الديناميكية الرئيسة. الضفيرة الخثلية والعقدة العجزية أساسًا. تنشأ من هذه المراكز دوافع جديدة، رؤية جديدة، وينشأ كائن جديد كأفروديت من رابطة الدم الجديدة. هكذا تستمر حياة الشخص.

قد نسمح لأنفسنا، بعد ذلك، أن نقول ما الذي تعنيه المضاجعة كحقيقة نفسية شخصية. إنها تلاقي دم الذكر الزاخر بالكهرباء ودم الأنثى المستقطب بالكهرباء، مع حدوث تبادل برقيٍّ هائل يبدل تركيب الدم، ونوع الكائن الحقيقي، في كليهما.

إنه الجنس بالتأكيد. لكن هل هو كل الجنس؟ هذا هو السؤال. نقول أن الدم يتجدد بعد المضاجعة. نقول من الدم الجديد تتألق رعشات تسري بروعة إلى المراكز الوجدانية الرئيسة أسفل الجسم، رعشات شعورية جديدة، رعشات نبض وطاقة. ماذا عن هذه الرعشات الجديدة؟.

ننتقل الآن إلى قصة جديدة. تمر الرعشات الجديدة إلى مراكز الجسم الديناميكي العلوية الرئيسة يتغير الآن الاستقطاب الشخصي في جهاز الشخص. تصبح المراكز العلوية، الضفيرة القلبية والضفائر العنقية والعقدة الصدرية والعقد العنقية، إيجابية. تلعب هذه المراكز العلوية المستقطبة دورًا إيجابيًّا، تقوم الضفائر الشمسية والخثلية والعقد القطنية والعجزية بدور خاضع وسلبي في الوقت الحاضر.

ثم ماذا؟ ما الذي ينشط المراكز العلوية بروعة إيجابيًّا؟ إنها قصة مختلفة. توجد الآن رؤية جديدة في العيون وسمع جديد في الأذن، صوت جديد في الحنجرة وكلام جديد في الشفتين. تعلو الآن أغنية جديدة، يفكر المخ تفكيرًا جديدًا، ويتوق القلب إلى نشاط جديد.

يتوق القلب إلى نشاط جديد، نشاط جماعي جديد. أي إلى اتصال استقطابي جديد من ناس آخرين، رجال آخرين.

هذا التوق الجديد لمشاركة استقطابية مع الآخرين ولانسجام جديد معهم، هل هو جنسي كالتوق الأصلي للمرأة؟ لا إطلاقًا. تختلف القطبية كلها. تكون الآن الأقطاب الموجبة أقطاب الثدي والكتفين والحلق، أقطاب النشاط والوعي الكامل. يتجدد الرجال أنفسهم بعد المضاجعة، يأملون في تجديد العالم. تنمو بين الرجال رغبة قطبية جديدة، يصمم الرجال على النشاط نفسه، تغوص القطبية بين الرجل والمرأة في السلبية. إنه النهار، وقت نسيان الجنس، وقت العمل وخلق عالم جديد.

هل العمل في هذه القطبية الجديدة، دائرة الرغبة الجديدة بين الرفاق والزملاء في العمل، جنس أيضًا؟ إنها دائرة حيوية لرغبة استقطابية. هل هذا جنس إذَنْ؟

لا، ما أقطاب الاتصال الإيجابي؟ -العلوية، الأقطاب المشغولة، ما الاتصال الديناميكي؟- انسجام الروح؟ إنه الفهم والامتزاج الخالص في عمل واحد عظيم. إنه امتزاج الرغبة الشخصية في هدف واحد عظيم. إنه أيضًا تكامل الرجال الكبير، امتزاج عدد كبير في هدف واحد عظيم وغير انفعالي. لكن هل هذا جنس؟ بمعرفة الجنس، هل يمكن أن نسمي الأخير جنسًا أيضًا؟ لا نستطيع.

إن لقاء الكثيرين في هدف واحد عظيم يرغبون فيه ليس جنسًا، ويجب ألا يختلط بالجنس. إنها حركة عظيمة في الاتجاه المضاد. أثق في أن الرغبة النهائية العظمى في الرجال هي الرغبة في نشاط ذي هدف عظيم. حين يفقد الرجل إحساسه العميق بالهدف، بالنشاط الخلاق،

يشعر بالخسارة، والفقدان. يسقط في بداية اليأس حين يجعل التكامل الجنسي تكامله الأسمى، حتى في روحه الخفية. يسقط في بداية اليأس حين يجعل المرأة، أو المرأة والطفل مركز الحياة العظيم ومركز معنى الحياة.

على الرجل أن يناصر روحه بشجاعة ومسؤولية لطليعة الحياة الخلاقة. وعليه أن يكون لديه الشجاعة للذهاب إلى بيت امرأته والاستجابة الكاملة لندائها الجنسي العميق. وعليه ألا يخلط بين المسألتين. إن الرجل، أساسًا وبصورة سامية، رائد الحياة دائمًا، مغامر إلى الأمام في المجهول، وحيد بروح متهورة لا تهاب. المرأة له فقط في الشفق، على نار المعسكر حين ينتهي النهار. المساء والليل ملك لها.

يردنا المحللون النفسيون دائمًا إلى الاكتمال الجنسي، يحطموننا إلى ما لا نهاية. علينا أن نعود للخلف إلى وحدة البشر العظيمة في بعض الأهداف المرغوبة. إن هذا لا يشبه الجنس. الجنس شخصي دائمًا. للإنسان جنسه: ليس لأحد غيره. يمضي جنسيًّا كشخص مفرد؛ يستطيع الاختلاط بمفرده فقط. إن تحويل الجنس إلى شأن عام مَحْضُ انحراف وكذب. لا تستطيع أن تأخذ الناس وتحدثهم عن جنسهم، كما لو كان اهتمامًا عامًّا.

علينا العودة إلى هدف الرجال العظيم، إنه توحد عميق لتطور العالم بنشاط. إنه مشترك حقيقي بين الكثيرين. نفتقد الفرد في هذا الامتزاج. في امتزاج الجنس نكون وحدنا مع شريك واحد. إنه شأن شخصي. لا يوجد سام أو منحط. لكن في امتزاج الهدف العميق

يتخلى كل شخص عن شخصيته بقداسة. يسلم شخصيته، في إيمان روحه الحي، إلى رغبته العظيمة التي تسيطر عليه. قد يتنازل عن اسمه، شهرته، ثروته، حياته، وكل شيء. بمجرد أن يؤمن إنسان، في تكامل روحه الشخصية، يتنازل عن شخصيته في سبيل ما يؤمن به ويصبح واحدًا في جسم متوحد. إنه يعرف ماذا يفعل. يتنازل بشرف وفي توافق مع رغبة روحه الأعمق. يتنازل ويبقى مسؤولًا عن نقاء تنازله.

لكنه إذا آمن بأن تكامله الجنسي هو تكامله الأسمى؟ فإنه يخدم الهدف العظيم ويضحي بذاته فقط طالما أمتعه. ثم ينقلب عليه ويعود إلى الجنس. حين يقبل الإنسان حافزًا أساسيًّا مع الجنس، يندفع العالم إلى البؤس والفوضى.

تجمع رغبة الاعتقاد الجماعية العظيمة الرجال معًا، الرفاق وزملاء العمل، برغبة يطيعون القائد أو القادة الذين اختارتهم روحهم، إنها ليست رغبة جنسية. ليست جنسية بأي معنى. الجنس يجمع شخصين اثنين ويميل إلى تفسيخ المجتمع، إلا إذا خضع لرغبة الذكر في الهدف الجماعي، رغبةٍ عظيمة وسائدة.

حين يستسلم الجنس للرغبة في الهدف العظيم يتحقق الكمال. ولا يمكن للرغبة في هدف عظيم أن تبقى طويلًا دون أن تُرسَّخ عن طريق إشباع الغالبية العظمى من الأشخاص ذوي الرغبة الجنسية الحقيقية. لا يمكن لحافز عظيم أو قاعدة مثالية أو اجتماعية أن يبقى لأي وقت دون أن يتأسس على الإشباع الجنسي للغالبية العظمى من الأشخاص المعنيين.

إنه يقطع الطريقين كليهما. أكّد الجنس كإشباع سائد، تحصل على فشل الهدف الحي في الإنسان. تحصل على الفوضى. أكّد الهدف كسمو وحيد ونشاط خالص للحياة، تنحدر إلى عقم شديد، كما يحدث الآن في حياتنا العملية وحياتنا السياسية. تصبح عقيمًا وتكون الفوضى حتمية. هكذا تكون. عليك تأسيس نشاط هدفك العظيم عن الإشباع الجنسي القوي لكل أشخاصك. هكذا أثبتت مصر. لكن أن تصون إشباعك الجنسي خاضعًا، خاضعًا فقط لرغبة الهدف العظيمة: يخضع باتّساع الشَّعْر فقط. ويبقى خاضعًا باتساع الشعر.

قد نستطيع الآن أن نرى بصورة أفضل قليلًا –بالعودة إلى الطفل– خطأ فرويد حين ينسب الحافز الجنسي لكل النشاط الإنساني. من الواضح مثلًا أنه لا يوجد حافز جنسي حقيقي. لا تكون المراكز الجنسية الرئيسة قد استيقظت. حقًّا، حتى في طفل في الثالثة، يلقي الجنس البدائي ظلالًا غريبة على الحائط حين يقترب من مسافة. لكن هذه الظلال مجرد تطفل قلق من المراكز البيولوجية الجاهزة. تستعد المراكز الجنسية الرئيسة ببطء في الضفيرة الخثلية، والعقدة العجزية بقوة هائلة، وتتطور أثناء الطفولة عن نوع من الحمل الذي يسبق الولادة، قبل البلوغ. لكن حتى الطفل الذي لم يولد يركل في الرحم. هذا ما تفعله مراكز الجنس الرئيسة أحيانًا بغموض في الطفل. إنه جزء من ظاهرة الطفولة. لكن علينا أن نكون أكثر احتراسًا حتى لا نشحن هذه الأشباح أو الظواهر غير المناسبة بشكل ما ضد شخصية الولد أو البنت. علينا أن نحترس تمامًا من حشو الموضوع في الوعي الذهني. اطردْه بعيدًا. أنِّبْه بـ *Pah* و *Faugh*

وقليل من المفاهيم. لكن لا تظهر أي إثارة أو أي خوف. لا تروِّع انتباهًا شهوانيًّا. أبعد الموضوع كله كالظلال، واحترس تمامًا من دقّة في الوعي. احترس تمامًا من زرع أي بذور للعار المشتعل أو الاشمئزاز. ألقِ عليه ماء باردًا وتبلدًا فرديًّا. انبذْه.

يمكن، بعد البلوغ، أن تقال أيضًا للطفل الحقائق البسيطة والضرورية عن الجنس. يمكن لأحد الأبوين أن يقولها بينما تستمر الأشياء. لكن باختصار وبرود ونبذ قدر الممكن. – «انظر، لم تعد طفلًا، تعرف هذا، أليس كذلك؟ ستصبح رجلًا. تعرف ماذا يعني هذا. يعني أنك بعد ذلك ستتزوج امرأة وتنجب أطفالًا. تعرف هذا. وأعرفه. لكن أثناء ذلك، دعْ ذاتك وحدها. أعرف أنك ستضطرب كثيرًا مع نفسك وفي مشاعرك. أعرف ما يحدث لك. أعرف أنك مستثار بشأنه. لكنك لا تحتاج إلى شيء. مَرَّ كل الرجال الآخرين بهذا. وهكذا فأنت لا تتقدم زاحفًا بذاتك ولا تنجز شيئًا ببراعة. لن يسبب لك هذا أي شيء طيب. –أعرف ما ستفعله لأننا مررنا به جميعًا. أعرف ما سوف يدأب على زيارتك في الليل. لكن تذكر أنني أعرف. تذكرْ. وتذكر أنني أريد منك أن تدع ذاتك وحدها. أعرفه، أقول لك. مررْتُ به بذاتي كلها. عليك أن تمر بهذه السنوات قبل أن تجد امرأة تريد أن تتزوجها وتستطيع أن تتزوجها. مررْتُ بها بذاتي، وأسست ذاتي تعاملًا طيبًا معها أكثر مما كانت طيبة معي. حاول أن تحتوي ذاتك. حاول دائمًا أن تحتوي ذاتك وكن رجلًا هادئًا مع ذاتك. تذكرْ أنني أعرف. كنتُ مثلك، في حالتك نفسها. وربما تصرفتُ بحمق وخبث أكثر مما

ستفعل بصورة مطلقة. لذا ارجع إليّ في كل ما يسبب لك اضطرابًا حقيقيًّا. دعْك من الكتمان والسرية. أعرف بالضبط ما عليك أن تفعل وما عليك ألا تفعل، كنت سيئًا وربما أسوأ منك، أريد منك فقط أن تكون رجلًا. حاولْ وكن رجلًا، هادئًا مع ذاتك».

هذا عما يمكن للأب أن يقوله للولد عند البلوغ. عليك بالاحتراس التام فيما تفعل: خاصة إذا كنت أبًا. إن تحويل الجنس إلى أفكار ذهنية عمل تافه، إن صياغة حقائق علمية عن الجنس تعني الموت.

كحقيقة، يجب وجود نوع من المبادرة لوعي راشد حقيقي. على الأولاد أن يبعدوا عن أمهاتهم وأخواتهم قدر المستطاع عند البلوغ. يجب منحهم بعض طاقة الرجولة. يجب وجود مبادرة حقيقية لحياة الجنس. ربما كالبدائيين الذين يجعلون الولد يموت رمزيًا مرة أخرى، يدفعونه في فتحة ضيقة ليولد مرة أخرى، يجعلونه يعاني ويتحمل مشقة الحب، ليؤثروا تأثيرًا عظيمًا على الوعي، على حاسة التحول الديناميكية المرعبة في كائن حقيقي. باختصار، إنها مبادرة طويلة وعنيفة، ينفذ منها الصبي مستنزفًا، لكنها تفصله للأبد عن الطفولة، وتدخله نطاق الرجولة الخطيرة المسؤولة. اهتز بكل وعيه بتغير عظيم، تهتز نفسه الديناميكية اهتزازًا حقيقيًّا. بالطريقة نفسها، تبادر البنات بالتحول إلى النسوية.

يجب وجود تفاعل ديناميكي قوي: إن المعاناة الجسدية والتحقق الجسدي يغوصان إلى أعماق الروح ويغيرانها للأبد. يجب أن يسيطر الجنس علينا سيطرة رهيبة من المعاناة والامتياز والغموض: إنه تحول

غامض يسيطر علينا ويمنحنا قوة جديدة رهيبة، ومسؤولية جديدة. التحدّث؟ ما التحدث الطيب؟ إطلاقًا لا يمكن تفسير غموض الجنس ورعبه وقوته الهائلة. لا يجب إطلاقًا أن يلم معظم الناس بحقائق الجنس البيولوجية: إطلاقًا. على السر أن يبقى في سرّيته الغامضة وفي ديناميكيته القوية المبهمة. تكمن حقيقة الجنس في هزات الروح الديناميكية العظيمة. وهكذا يجب أن يتحقق، إنه نوبة اهتزاز عظيمة خلّاقة في الروح. إن تحويله إلى موضوع أخلاط في أنبوبة اختبار والتوضيحات الكيميائية ورموز القفل والمفتاح التافهة مجرد نسف للجنس بمتفجرات. ما يقزز النفس أكثر هو ما يلي: «ترين عزيزتي، ذات يوم تحبين رجلًا، كما أحببتُ أباك، أكثر من أي شيء آخر في كل العالم. وبعد ذلك، عزيزتي، آمل أن تتزوجيه. لو تزوجته ستسعدين وأنا أريدك سعيدة يا حبي. هكذا آمل أن تتزوجي الرجل الذي تحبينه حبًّا حقيقيًّا (تقبِّل الطفلة). وبعد ذلك، محبوبتي، تحدث أشياء كثيرة لا تعلمين الآن عنها أي شيء. سترغبين في أن يكون لك طفل صغير عزيز، أليس كذلك، محبوبتي؟ طفلك الصغير العزيز. وكذلك زوجك. سيكون طفله أيضًا. أتعرفين؟ ألا تعرفين، عزيزتي؟ سيولد من كليكما. لا تعرفين كيف، أتعرفين؟ حسنًا، سيأتي مباشرة من داخلك، عزيزتي، يخرج من داخلك. أتيْتِ من داخل أمك». إلخ، إلخ.

لكنني أفترض أنه لا يوجد شيء آخر حقيقي يمكن أن نفعله، ليكون العالم والمجتمع كما هو الآن. تعمل الأم أفضل ما لديها.

لكنه خطأ تمامًا. خطأ أن نجعل الجنس يبدو كما لو كان جزءًا من ريالة حب العزيز المدلل: الحب الروحي. والأسوأ أن نسير في خط أنبوبة الاختبار العلمي. هذا كله يقتل الديناميكية العظيمة المؤثرة في الحياة، ويستبدلها بمجرد رماد أفكار وحيل ذهنية.

إن حقيقة الجنس العلمية ليست جنسًا إلا إذا كان الهيكل العظمي رجلًا. ويبقى أنه يجب أن تفكر مرتين قبل أن تضع هيكلًا عظيمًا أمام الصبي وتقول: «ترى، ولدي، هذا ما تكون عليه حين تعرف ذاتك». و «تفسير» الجنس المثالي ببراءة محبوبة ومزيد من براءة الحب شيء مدهش، عملية المنقار والهديل للحصول على طفل صغير حلو –أو بلغة أخرى «يخلقنا الرب لنفعل ذلك، لنأتي بآخر طفل صغير عزيز إلى الحياة»– حسنًا، إنه تفسير يُمْرض الإنسان فقط. إنه عملية مشؤومة بالنسبة للحياة العميقة. لكن ربما هذا ما نريد.

حين تعرف الإنسانية حواسها تجعل تفاحة سدوم المرعبة حقيقة لفهمنا. أي أفواه ومعد رهيبة تمتلئ برماد المرارة التي حصدناها جميعًا. ومن ثم نقصي «المعرفة» و«الفهم» ونعلق عليهما مع بقية السموم، حتى نعطيهما بجرعات صغيرة فقط للمؤهلين لهما.

سمَّمنا تقريبًا معظم الناس بالفهم حتى الموت. إن وقت الموت الحقيقي وإبادة الجنس ليس بعيدًا. استطعنا أن ننتج نفس عقم العدم وخبله في الناس، ربما بالإلحاح على أن كل رجل مجرد مقبرة لهيكل الحصان ذي العظام القذرة. أنتج «فهمنا» وعلمنا ومثاليتنا في الناس الخبل الغريب، خبل الاشمئزاز الذاتي كما لو كانوا يرون جماجمهم

كلما نظروا إلى المرآة. إن الإنسان جزء من السبب والتأثير العلميين، إنه عملية بيولوجية، يجرنا إلى مثال، أليس كذلك؟ إنه لا يندهش حين يرى الهيكل العظمي يُصرّ خلال اللحم.

لم يحب قادتُنا الرجال: أحبوا الأفكار، ولهم من الإرادة ما يجعلهم يقدمون الرجال المتحمسين على مذابح امتصاص الدماء والرماد المثالي الظمآن أبدًا. هل شعر الرئيس ويلسون أو كارل ماركس أو برنارد شو بنبض دم الحب الدافئ لرجل يعمل، رجل يعمل مضللًا بنصف وعي؟ إطلاقًا. أراد كل واحد من هؤلاء القادة أن يجرد ذاته إلى حدٍّ بعيد من دمه ويتحول إلى ميتو شالح الأحمق[1] أو إلى رجل مجرد.

وأنا؟ لا خطر أبدًا في أن يقرأ رجل يعمل كتبي، لن أضره بهذه الطريقة. لكن أوه، أحب أن أبقيه حيًّا في وجوده الأصلي الحي التلقائي. لا أستطيع أن أساعده. إنها فطرتي الانفعالية.

أحب أن يعفيني من الشؤون العامة، إنها مسؤولية لا يستطيع تحملها وتستنزف حياته. أحب أن يعفيني من مسؤولية المستقبل. أحب أن يعفيني من التفكير وتحديد الاتجاه. آمل أن نستطيع التحلي بالأمل والصدق. أود أن أباشر نصيبي من المسؤولية، إذا صدق معي.

أود أن يتراجع عن الكتب والصحف والنظريات. وأود أن يتراجع، في المقابل، إلى لا مبالاته القديمة، إلى حياته التلقائية الغنية المليئة بالحياة.

---

(١) مسرحية لبرنارد شو (١٨٥٦ - ١٩٥٠). «المحرر».

الحب الأبوي

في ساعة البلوغ الخطرة يعبر الإنسان لإنجاز المرحلة الثانية. ولا يمكن أن يتم التحول إلَّا إذا لعب كل النشاط دورًا كاملًا في كل أقطاب النفس الأربعة الأولى. إن الطفولة شرنقة، وعلى كل إنسان أن يحرر ذاته منها. ولا يستطيع الشاب المكافح أو العذراء أن يبزغ إلا بطاقة القوى كلها، لا يستطيع أبدًا أن يبزغ إذا كان العالم كله يكبحه، وتكبحه تقاليد الحب.

نقترب الآن من الخطر الأعظم لمثاليتنا الخاصة، مثالية الحب والروح: مثالية الحنين والحب المتدفق، مثالية المشاركة السمبتاوية النقية و«الفهم». وتعرف هذه المثالية كأسمى درجات الحب الأرضي، حب الأم والطفل.

ماذا يعني هذا؟ يعني بالنسبة لكل طفل تربى برقة، وفي الواقع لكل الأطفال المعنيين، ضغطًا ثابتًا ودائمًا للمراكز السمبتاوية العلوية، وقتلًا ثابتًا ودائمًا للمراكز السفلية خاصة المركز الإرادي الرئيس في الجسم السفلي. يُكبح مركز الاستقلال الرجولي الحسي، مركز الابتهاج والقوة والنفس الجريئة والامتلاء بالإرادة والغرور، يكبح

بشكل ثابت. تنكر الذات الحسية الرشيقة الدافئة بشكل ثابت ودائم وتخمد وتوهن خلال مرحلة الطفولة كلها. لا نعني بالحسية الشراهة أو الترويع، نعني الطبيعة الأعمق، الأكثر نبضًا وتهورًا. يجب أن تهذب الحياة وتسمو دائمًا. يجب أن يكون الحب والسعادة شعارًا. لا يغيب إطلاقًا جوهر النموذج الروحي النقدي الممتلئ بالإرادة، النموذج الكامن إذا كان الاستنكار والنفور الصبوران جاهزين دائمًا. تتسلط التفاهة على الصبر.

ما النتيجة؟ يشذ مركز التعاطف العلوي ويستثار بشدة، وتتدهور مراكز الإرادة إلى حدٍّ بعيد حتى ترتعش وتنقبض. يضطرب الاستقطاب الحقيقي للجهاز السمبتاوي الإرادي في الطفل إلى حدٍّ بعيد وينهار تقريبًا. من ثم ينتابنا إحساس مبالغ فيه يتناوب مع نوع من العنف العاجز: ويصبح أطفالنا ضعفاء بأعصاب رقيقة ونزوات غريبة. ويكون عناد الإرادة الروحية البارد الغريب، البارد كالعذاب، ثابتًا في الطفل.

ثم يكون أحد الأبوين، الأم عادة، موضوعًا لحب أعمى، بينما الآخر، الأب عادة، موضوعًا للمقاومة. مهما يكن، يتم تعليم الطفل أن عليه أن يحبّ الأبوين، يحبهما فقط: وأن الحب والتهذيب والشفقة والمحبة وكل العواطف الأسمى هي المشاعر الحقيقية فقط؛ وكل ما تبقى زائف ومرفوض.

ما النتيجة؟ تتطور المراكز بدرجة غير طبيعية من الحدة والتفاعل -أو تسقط ثانيةً فاقدة الحسِّ وعقيمًا. تنمو علاقة زائفة ومؤلمة بين

الأبوين والأطفال: علاقة كأنها بين راشدين، أو بين عاشقين خالصين، أو بين شخصين يبديان الحب ويحاولان في الحقيقة افتراس أحدهما الآخر. بدل أن نترك الطفل لمشاعره المحدودة والعميقة وغير القابلة للفهم، يتورط الأب بيأس في النموذج السمبتاوي لحب لا يعرف الأنانية، نموذج إرادة الحب الروحي، ويحث الطفل لوعي لا ينتمي إليه، على مستوى واحد، ويسرقه من وعيه التلقائي وحريته على المستوى الآخر.

إنه المقتل. لفترة طويلة قبل البلوغ، بالمبالغة وكثافة الحب الروحي من الأبوين، تستيقظ مراكز التعاطف الثانية وتستجيب بتكلف. تحدث كارثة يتعذر إصلاحها. بدل أن نرى أن على الطفل أن يرى بعدسة وغموض، يفتح الآن عينيه للمعرفة السمبتاوية. بدل أن يعرف جزئيًّا، يبدأ في سن صغيرة مرعبة المعرفة الشاملة. تحثّ الضفائر العنقية والعقد العنقية، التي يجب أن تستيقظ بعد البلوغ، وتحث مراكز التعاطف والمعرفة الديناميكية السامية بتكلف، تحث بعاطفة الحب وإرادة الحب من شخص راشد، تحث للاستجابة في طفل صغير تمامًا، في طفل صغير جدًّا أحيانًا. إنه بغاء مقدس.

يجعلنا نموذج مثاليتنا الخاص نكبح المراكز الحسية قدر المستطاع، لنجعلها سالبة. يتركز كل النشاط، قدر المستطاع، في المراكز العلوية أو الروحية، مراكز الثدي والحلق، ندعوها مراكز المعرفة الديناميكية، مقابل مراكز الفهم الحسي أسفل الحجاب الحاجز.

ثم يصل الطفل إلى البلوغ، بطبيعة علوية استيقظت للعمل مبكرًا. إن الطفل الآن مبكر النشوء غالبًا بشكل ثابت، وحين يصل إلى المراهقة يكون اكتسب خبرة التفاعلات السمبتاوية الممتدة التي يجب أن تحجب في الظلام تمامًا. مع من يكتسب خبرة هذه التفاعلات الممتدة؟ مع أحد الأبوين أو كليهما.

من يكون الإنسان الذي يفترس نسله. ينتمي للأبوين فقط، مرة وإلى الأبد، التفاعل الديناميكي على مستوى الوعي الأول، وتفاعل الأقطاب الأربعة الأولى للوعي الديناميكي، والعلاقة بينها. حين يعمل المستوى الثاني، الإضافي، تنشأ العلاقة مع الغرباء. إن الغريزة البشرية كلها والأثنولوجيا كلها ستحقق لنا ذلك. بقدر وجود الغريزة الجنسية في الطفل بقدر ما تكون معادية للأبوين.

لكن الأبوين كليهما سريع جدًّا، أيضًا. يواصلان ابتلاع أطفالهما قبل أن يفر الأطفال من قبضاتهما. وحتى إذا أبعد الأبوان أطفالهما في سن البلوغ -إلى المدرسة أو مكان آخر- لا يكون هذا طيبًا جدًّا. يكون الأذى قد وقع من قبل. لاثنتي عشرة سنة يلحّ الأبوان والجمهور بقوة على أن يعيش الطفل بواسطة المراكز العلوية فقط، المراكز السمبتاوية العلوية خاصة، بلا توازن مع الذات الحسية العميقة الدافئة. يلح الأبوان والجمهور بالطريقة نفسها على إيقاظ استجابة سمبتاوية راشدة وإجابة ذهنية في مدارس الأطفال ومدارس الأحد والكتب وتأثير البيت -يعمل الكل بهذه الطريقة الخبيثة. لكن البيت، الأبوين، يعمل بطريقة أكثر تأثيرًا وكثافة. توجد شبكة الحب

الأكثر حميمية، وتسلط الحب، و«الفهم»، يقع الطفل فيها.

هكذا يصل الطفل إلى سن البلوغ وقد سُلب غموض طفولته، رُبط ووزّع خلالها. يجد ذاته مرتبكًا بصورة مميتة بدل الاستيقاظ في حقل وعي جديد تمامًا، ودافع ديناميكي جديد واسع ومدهش يقوده إلى ارتباطات جديدة. يحقق البلوغ ذاته. تنطلق ساعة الجنس. لكن طفلك مقيد وعاجز. أيقظت فيه استجابة ديناميكية لإرادة حبك النهمة. رسخت بين طفلك وذاتك علاقة ديناميكية على مستوى الوعي الإضافي. أعطيتَ طفلك توكيدًا كما لو أنك نسجتَ لحمة ثانية بنفسك. أتيت فعلًا رديئًا لا يليق بأي أب: رسخت بينك وبين طفلك رابطة حب الراشدين حب الرجل للرجل، المرأة للمرأة، أو الرجل للمرأة. إن كل حساسيتك وتعلقك به ليسا عذرًا مقبولًا. يعمقان فقط إحساسك بالذنب. رسخت بين طفلك وذاتك رابطة التعاطف الإضافي. لا أتحدث عن الجنس. أتحدث عن التعاطف النقي، عن الحب المقدس. يرسخ الأبوان بينهما وبين أطفالهما رابطة الحب الأسمى، الحب الروحي الإضافي، تعاطف الروح الراشدة.

إنه مميت. إنه نوع من زنا المحارم. إنه زنا محارم روحي ديناميكي، إنه أقل وضوحًا، وأقل كراهية غريزيًّا. لكن، على التحليل النفسي أن يوافق على ما قد يسبب له خزيًا، قدم لنا هذه الخدمة العظيمة لنبرهن لأنفسنا أن التعاطف العلوي الكثيف، العلاقة الديناميكية في الواقع سواء علاقة إرادة الحب أو تعاطف الحب بين أحد الأبوين والطفل، على المستوى العلوي، يورطنا حتمًا في استنتاج زنا المحارم.

ومع أن هدفنا ترسيخ علاقة ديناميكية روحية خالصة على المستوى العلوي فقط، إلا أننا نوقظ في الوقت نفسه، بسبب الاستقطاب الحتمي لنظام النفس البشرية، النشاط الحسي الديناميكي على المستوى السفلي، المستوي الحسي الأعمق. قد نكون أنقياء كالملائكة، إلا أننا بشر، يحدث هذا حتمًا، ويجب أن يحدث. قالت السيدة راسكين الحقيقة حين قالت إن على جون راسكين أن يتزوج أمه. كان تزوج أمه. مع كل تصميمنا وعقيدتنا ونقائنا ورغبتنا وإرادتنا، فإننا نثير حتمًا الوعي الديناميكي للحب الحسي على المستوى السفلي الأعمق بمجرد أن نوقظ العلاقة الديناميكية على المستوى العلوي الأسمى للحب. ماذا بعد ذلك؟

بالطبع، يستطيع الآباء الرد بأن حبهم نقي مهما يكن شديدًا، ولا يحتوي إطلاقًا على أي عنصر حسي. ربما –وربما لا. لكن سلِّمْ أنه كذلك. لا يهم. توقظ الاستثارة الشديدة في مراكز التعاطف العلوية، طوعًا أو كرهًا، المراكز السفلية. توقظها للنشاط، حتى لو أنكرت قدرتها على التعبير أو الاتصال الاستقطابي. تؤطر نفسنا إلى حدٍّ بعيد، ويستثير النشاط المستيقظ على أحد المستويات، ذاتيًّا، نشاطًا على المستوى المناظر. هكذا توقظ حتمًا علاقة الحب القوي النقي بين أحد الأبوين والطفل المراكز السفلية، مراكز الجنس في الطفل. الآن، بمجرد أن توقظ المراكز الحسية الأعمق، عليك أن تعثر على استجابة حسية من جسم شخص آخر، صديق أو عشيق. الاستجابة مستحيلة بين أحد الأبوين والطفل. أعتقد، عن نفسي، أنه يوجد بيولوجيا بغض

جنسي جذري في المراكز الحسية الأعمق بين أحد الأبوين والطفل. لا تستطيع الدائرة الحسية أن تضبط ذاتها تلقائيًّا بين الاثنين.

ماذا تملك؟ يرتبط الطفل وأحد الأبوين بقوة في تعاطف الحب الراشد وإرادة الحب على المستوى العلوي، وتستيقظ المراكز الحسية الأعمق في الطفل ولا تجد نظيرًا، لا تجد اتصالًا أو استقطابًا موضوعيًّا مع شخص آخر. تنقبض مراكزه الجنسية القوية دون توازن. يجب أن تستقطب بشكل ما. هكذا تستقطب المراكز العلوية الفعالة في الطفل، وتحصل على إنسان منطوٍ.

هكذا يبدأ الانطواء. توقظ المراكز الجنسية السفلية. لا تجد من الخارج أي تعاطف أو اتصال أو استجابة أو تعبير. تستقطب ديناميكيًّا بواسطة المراكز العلوية في الفرد. أي، يستمر في الشخص ارتفاع التيار الجنسي أو الحسي من مراكزه السفلية إلى المراكز العلوية. تحفظ المراكز العلوية المراكزَ السفلية في قطبية موجبة. يستمر التيار في الارتفاع. يجب وجود تفاعل ما. وتحصل في البداية وبصورة أساسية، على وعي بالذات. يستغل الجسمُ العلويُّ الجسمَ السفلي. تستغل الأيدي الجسمَ الحسيَّ في المشاعر واللمس بالأصابع والاستمناء باليد. تنتج رغبة إباحية مع الذات. وتكون النتيجة بطاقات بريدية فاحشة لدى كثير من الرجال. وتنتج انحرافات جنسية بسيطة ومتنوعة كالاستمناء، إلخ.

ماذا يعني هذا كله؟ يعني أن الجسم العلوي يستقطب نشاط النفس السفلية والجسم السفلي. تريد الأعين والأذن تجميع النشاط الجنسي

والمعرفة الجنسية. ويمتلئ العقل بالجنس: ودائمًا ينطوي الشخص على جنسه الخاص. إذا فحصنا من يبدون انبساطيين، كالإيطالي المزهو، سنرى الشيء نفسه. إن الجنس الخاص به يستبد به.

واليوم، ماذا نملك غير هذا؟ حتمًا، نكاد نجد الآن في الطفل انهماكًا جنسيًّا سريًّا وقويًّا ومبكرًا. تسرف الذات العلوية في استغلال الذات السفلية. إن الطفل وجنسه المستيقظ والمؤجج، عاره والاستمناء، وحشيته، الاستثارة الجنسية السرية، وفضول الجنس. إنها تراجيديا أيامنا العظمى. لا يريد الطفل أن يعمل كثيرًا حتى يعرف. عادةً تكون فكرة الاتصال الجنسي الحقيقي بغيضة. ثمة انحراف عن المضاجعة الطبيعية. لكن الرغبة الشديدة في أن يشعر الطفل ويرى ويتذوق ويعرف معرفة ذهنية بواسطة الرأس رغبة نهمة. أي شيء بحيث يأتي الإحساس والخبرة عبر القنوات العلوية. إنه سر انطوائنا وانحرافنا اليوم. أي شيء إلا الفعل التلقائي المباشر من الذات الحسية، أي شيء إلا الرغبة الطبيعية. تستطيع في الجنس أن تدخل أي حيلة أو فكرة أو عنصر ذهني، على أن تجعله من شؤون الوعي العلوي، من شؤون الذهن والعيون والفم والأصابع. إنها رذيلتنا، قذارتنا، مرضنا.

يجب لوم الراشد والمثالي. لكن تراجيديا أطفالنا في استثارتهم الجنسية الوحيدة المؤججة تزعجنا أكثر من أي لوم.

حان وقت إسقاط كلمة الحب، فات وقت إسقاط مثالية الحب. ينصح كل مجنون بإيجاد الإشباع في الحب. هكذا يحاول. بينما لا إشباع في الحب. يأتي نصف إشباعنا عبر الحب، عبر الحب الحسي

القوي. لكن إشباع الرجل المركزي في امتلاك روح عميقة ووحيدة، في امتلاكها بقوة في أعماقه. نصل إلى الوحدة العميقة الغنية وتكتمل عبر الحب. ونتجاوزها أبعد من أي مطلب إضافي من الحب.

هدفنا، إذا كان لنا هدف، هو الامتلاء المركزي بامتلاك الذات. ويوجد طريقان رئيسان للإشباع. الأول: الإشباع عبر الحب الكامل، الحب العميق الشهواني الكامل. والثاني، والأعظم، إشباع عبر تحقيق الهدف الديني، علامة هدف الروح. نصنع طريق الحب زائفًا من الذات العلوية ونشغله حتى الموت. طريق النشاط الثاني الموحد في هدف قوي وفي إيمان، نسخر منه فقط.

نعود للطفل والأب. يستحيل بالنسبة لنا بمثالية هوس الحب المعنوي الأحادي أن نصل إلى إشباع التوحد الفردي خلال الحب. في سنِّ الخطر الحقيقي، حين يكون على المرأة أن تنجز إشباع نضجها وهدوئها الغني تتحول بعنف للبحث عن عشيق جديد. في وقت عصيب جدًّا حين يكون عليها أن تصل إلى حالة من التوازن الخالص والراحة مع زوجها، تتحول بعنف ضد الراحة أو السلام أو التوازن أو الزوج، تتحول في أي صورة وتطلب مزيدًا من الحب، مزيدًا من الحب، نوعًا جديدًا من العشاق، عاشقًا «يفهمها»، طالما لا تعود إلى ابنها.

إنها حقيقة، تشبع المرأة هدفها عبر المشاعر. على أن تكون «مفهومة»، لا تصل إلى أي مكان إلا إذا فهم العشيق رذيلة حصول المرأة على ذاتها وجنسها عن طريق الرأس. تصل المرأة إلى الإشباع

خلال الحب، الحب الحسي العميق، والمشاركة الحساسة البارعة. لكن عليها بمجرد الوصول إلى نقطة الإشباع ألا تتوقف لطلب مزيد من الإثارة. عليها أن تأخذ على عاتقها جمال النضج والسلام والإيمان الهادئ.

مع ذلك، لن تفعل هذا إلا إذا ثابر وراءها الرجل، زوجها. حين يصل الرجل إلى بداية النضج وإشباع ذاته الشخصية، في حوالي الخامسة والثلاثين من العمر، لا يكون في وقت يناسب الراحة. على العكس. يشبع بعمق خلال الزواج، ينسجم مع روحه، عليه الآن تحمل المسؤولية من أجل الخطوة التالية في المستقبل. عليه الآن أن يمنح ذاته تمامًا إلى هدف آخر، نشاط هادف مشتهى. ليضع الرجل الحل الرئيس للوحدة والتفرد في الوجود، ليأخذ على عاتقه صمت النضج وهدوءه الرئيس: ومن ثم، يتحمل بعد ذلك مسؤولية مقدسة من أجل الخطوة الهادفة التالية في المستقبل، لا مجال للراحة. الحل الرئيس للوحدة والهدوء التحمل الإضافي العميق لمسؤولية الهدف -إنه ضروري لكل أب، كل أب، كل زوج، في نقطة معينة. إذا لم يضع الحل أبدًا، لا يمكن تقبل المسؤولية إطلاقًا، من ثم يجري حنين الحب إلى الجنون، ويخرب الأسرة. يجري حنين الحب في المرأة خاصة إلى الجنون والكارثة.

البحث، البحث عن الإشباع في عمق الذات العاطفية؛ المريضة بوعي الذات والجنس في الرأس، المزخرفة بالضعف الشديد في حب الزوج الذي لا يملك شجاعة الانسحاب إلى الهدوء والتفرد،

ووضع المرأة تحت سحر قرارة القوى؛ تحوم المرأة التعيسة لتحقق رضاها النهم، تبحث عن من قد تفترس. تنقلب، عادة، إلى طفلها. تستثير فيه ما تريد. في طفلها الذي ينتسب إليها، وتبدو كأنها تجد الاستجابة الأخيرة الصحيحة عما تتوق إليه. إنه وسيلتها، تستثير فيه إجابتها. هكذا تلقي بذاتها إلى حب عظيم، حب أخير من أجل ابنها، إنه إخلاص نهائي وقاتل يجب أن يوجه بثرائه وقوته لزوجها، إنه سام بالنسبة للولد. لا يتقبل الزوج مسؤوليته الأسمى إطلاقًا، يذعن ويتقبل في تردد. تبدأ دورة الانطواء و «العقدة» مرة أخرى. إذا لم يتقبل الرجل وجوده الأساسي، وحدته النهائية ومسؤوليته الأخيرة عن الحياة إطلاقًا، فإننا نتوقع بصورة أكبر أن تحطمنا كارثة وراء كارثة، من دون جذر ومن دون انضباط.

«*On revient toujours à son Premier amour*».

(يعود المرء دائمًا إلى حبه الأول).

يرن اليوم كتعبير ساخر. كما لو أننا نعني حقًّا:

«*On me revient jamais: à son Premier amour*».

(لا يعود المرء أبدًا إلى حبه الأول).

لكن الرجل، كحقيقة، لا يترك حبه الأول أبدًا بمجرد رسوخ الحب. قد يترك محاولات الحب الأولى. بمجرد أن يرسخ الرجل تواصلًا ديناميكيًّا كاملًا في المراكز الأعمق والأعلى، مع امرأة، لا يمكن أبدًا كسر هذا التواصل. لكن الجنس في الرأس يتلاشى،

وتتلاشى أنصاف الدوائر. مهما يكن، بمجرد أن ترسخ الدائرة الكاملة، لا يمكن كسرها إطلاقًا.

واحسرتاه، نبدأ هذه الأيام بالوعي الذاتي، بجنس في الرأس. نجد امرأة على الشاكلة نفسها. نتزوج لأننا «أصدقاء». ليس الجنس إلا إخفاقًا مقرفًا. نحافظ على ادّعاء «الصداقة». –والحب اللطيف. يدور الجنس مربكًا في الرأس أكثر من أي وقت مضى. إما أن توجد أسرة الأطفال الذين يستطيع الآباء المستاؤون تكريس أنفسهم لهم، وبذلك يعوقون الكائنات الصغيرة البائسة: أو يوجد الطلاق بصورة أخرى. إطلاقًا، لا يحدث شيء في المراكز الديناميكية الرئيسة. لا شيء إطلاقًا. لا يوجد إطلاقًا تبادل حيوي في كل هذه الشؤون الزوجية الجميلة.

رسخْ بين ذاتك وشخص آخر اتصالًا ديناميكيًّا على قطبين فقط من الأقطاب الأربعة، وسوف ترى وحشية أن تكسر الاتصال. خاصة إذا كان هذا اتصالك الأول. خاصة إذا كان الاتصال الأول للشخص الآخر.

إنها حالة الآباء. إنهم، أولًا، في حقل وعي الطفل، في الحقل الإضافي. يتجاوزون الحقل بصورة إجرامية. لكن هذا لا يشكل قضية. إنهم، أولًا، في الحقل. رسخوا اتصالًا ديناميكيًّا بين المركزين العلوين، مراكز الحلق ومراكز التعاطف والمعرفة الديناميكية العلوية، رسخوا هذه الدائرة. اكسرها إن استطعت حتى الموت، تقريبًا، لا تستطيع أن تكسرها.

وكما نرى، فإن ترسيخ دائرة الحب –و– المعرفة العلوية يستحث حتمًا مراكز الجنس الحسية على العمل، حتى مع عدم وجود تناظر على المستوى الحسي بين الشخصين المعنيين. انظر ما يحدث. إذا أردت رؤية روح الزوج المرغوبة حقًّا، انظر إلى أم مع ولدها الذي يبلغ الثامنة عشرة. كيف تخدمه، كيف تحثه، كيف تكون ذاتها الأنثوية الحقيقية ذاته، تخضع له كما لم تخضع إطلاقًا، إطلاقًا لا تستطيع أن تخضع لزوجها بهذه الصورة. إنه الهدوء، حب المرأة الناضجة المزدهر. الازدهار القوي لحب المرأة: جنسيًّا لا تسأل عن شيء، لا تسأل المحبوب شيئًا، تصون ما سيكون ذاته، يتقبل غش حبها من أجل حياته. إنه الزهرة الكاملة لحب الزواج، وعلى الزوج أن يضعها في قبعته كلما سار إلى الأمام في طريق المستقبل والنشاط السامي. إنه، بالنسبة للزوج، الضمان العظيم والزهرة المثمرة. يبدو أيضًا مدهشًا بالنسبة للابن. تشعر الزوج الآن للمرة الأولى كما يمكن أن تشعر زوج حقيقية. توجه مشاعرها لابنها. أو بدل الأم والابن، اقرأ الأب والبنت.

ماذا بعد؟ يتقدم الولد بنجاح حتى تواجهه حقيقة احتياجه الجنسي الصادق. إنه يرث العالم في مرح المراهقة من دون عائق في طريقه، تدعمه الأم وتحبه. يأتيه كل شيء فاتنا. يشعر أنه يرى أروع، يفهم السماء تمامًا، تحثه الأم. فكر في القوة التي تصبها المرأة الناضجة في ولدها. تنفجر كلهب في أكسجين. لا عجب أن يقولوا أن العباقرة غالبًا كانت لهم أمهات عظيمات. إن مصيرهم محزن غالبًا.

ثم ماذا؟ –ثم ماذا، مع هذا الشاب الفاتن؟ ماذا يفعل حقًّا مع ذاته

الجنسية الحسية؟ يدفنها؟ يجتهد مع غريب؟ إنه تعلم، حتى بواسطة أمه، أن رجولته لا تمتنع عن الجنس. لكنه ارتبط سلفًا بالحب المثالي، سيعرف الأفضل في أي وقت.

لا توجد امرأة تعطي غريبًا ما تعطيه لابنها أو لأبيها أو لأخيها: الإذعان الجميل الفاتن، إذعان -الزوجة حقًّا. تلح المرأة مع الغريب، الزوج، على أنها ملكة، إلهة، سيدة، إيجابية، معبودة، إنها الأولى والأهم والوحيدة فقط. لن تطلب هذا من أقاربها في الدم، دائمًا تحب شخصًا بإخلاص.

هكذا، تهيم البنت الصغيرة الساحرة بأبيها، أو أخيها، تبحث عن الزواج من شاب جذاب يحب أمه بإخلاص. أي عمل بارع هو الزواج. لا يمكن التفكير فيه. بالطبع قد يكونان صديقين طيبين. إنه الشيء الوحيد الذي يبقى.

نكون هناك. تفسد المباراة قبل أن تبدأ. تستثار تمامًا داخل دائرة الأسرة، بسبب عقيدة الحب النهم، عواطف الراشدين القوية في الأطفال الصغار. في إيطاليا، يستحث الإيطالي وعي الراشد الجنسي وتعاطفه الجنسي في طفله، عَمْدًا تقريبًا. عادة يستحث بالنسبة لنا التعاطف الروحي والنقد الروحي. تستثار خبرات الراشد ويترابط تعاطفه المكرس، قبل النضج، طالما وضع الطفل في اعتباره. إنه مشهد اغتصاب القلب بالحب الشديد بين الطفل والأب، حب شديد كحب الرجل والمرأة، لكنه ليس جنسيًّا؛ أو بشكل آخر، الحب العظيم بين الأخت والأخ. هكذا يتم إحباط خبرة الحب الرئيسة التي يجب أن

تبقى للمستقبل. في الأسرة تتكون رابطة الحب سريعًا دون الصدمات والقطع الحتميين في العلاقة مع الغرباء. هكذا تكون الأسهل والأقوى –ويبدو أنها الأفضل. يبدو أنها الأسمى. لا يمكن أن تجعل رجلًا يصدق أن الحب الجسدي لامرأة اتخذها زوجًا ساميًا كالحب الذي شعر به تجاه أمه أو أخته.

تلعق زبدة الحياة قبل أن يبلغ الولد أو البنت سنَّ العشرين. ثم يكون التكرار وخيبة الأمل والعقم.

والسبب؟ –نفس السبب دائمًا. لن يضع الآباء الحل الرئيس لراحتهم مع أنفسهم، لهدوء أرواحهم وكمالها. لا يمتلك الرجل شجاعة الانسحاب نهائيًّا إلى هدوء روحه ووحدته، ثم للكفاح من أجل المستقبل الحي بانفعال وإيمان. لا تملك المرأة شجاعة التخلي عن إلحاحها اليائس على الحب وحاجتها اللا نهائية للحب، حاجتها لتكون محبوبة. لا تملك عظمة الروح للتخلي عن توكيد ذاتها والإيمان بالرجل الذي يؤمن بذاته ومجهودات روحه: إن وُجد رجل من هؤلاء، إنه أمر مشكوك فيه تمامًا.

واحسرتاه، واحسرتاه، المستقبل! ابنك الذي ذاق جمال استجابة الزوجة الحقيقي في أمه أو أخته. أختك، تعبد أخاها، تتزوج ابن امرأة أخرى. ساحران إلى حدٍّ بعيد، لا تجعلهما يتمعنان في الأمر، كهذا الثنائي المحبوب. إنها في البداية مباراة طيبة تمامًا، رياضة طيبة تمامًا. ثم يبدأ كل إنسان القلق من أجل الجمال المفقود، غير الجنسي، من أجل علاقة جزئية. إن الجزء الجنسي من الزواج بهذه الصورة تم

البرهان على خوائه. بينما هذا الشيء الآخر الأكثر فتنة –لمس الحب المؤثر الذي نشعر به تجاه الأم أو الأب أو الأخ– نتجنبه تمامًا، لماذا؟ التجنب أفضل. البقية ليست أسوأ بكثير. آه، حسنًا، إنها الحياة. استقر فيها وربِّ الأطفال تقريبًا بالطريقة نفسها. المستقبل! حين تبلغ العشرين تكون عشت كل أيامك الطيبة.

وأسألك، ما الدور الطيب الذي يقوم به التحليل النفسي في هذه العلاقات؟ يدخل حافز جنسي إضافي ليثيرك وقتًا قصيرًا ويجعلك تشعر حقًّا بسريان الأشياء اللاأخلاقية. ثم يفتر كل شيء مرة أخرى. عقدة الأب، عقدة الأم، أحلام زنا المحارم: باه، حين يكون لدينا، من دونهم، قليل من الإثارة ننساهم كما ننسى كثيرًا من الشعارات الأخرى. ونعود تمامًا كما كنا من قبل: إن لم نكن أسوأ. فقط، بمزيد من الجنس في الرأس ومزيد من الانطواء ومزيد من الوقاحة.

* * *

الدائرة الرديئة

ثمة دائرة مفرغة تمامًا. كيف نخرج منها؟ في المقام الأول، يجب تحطيم مثال الحب مرة واحدة وإلى الأبد. الحب، كما نراه، ليس الديناميكي فقط. حين نأخذ الحب بأعظم معانيه ونجعله يعانق كل أشكال التعاطف وكل تيار المراكز السمبتاوية الرئيسة في جسم الإنسان، فإننا لا نأخذ كل التيار الديناميكي، إنه النصف فقط. يوجد دائمًا التيار الإرادي الآخر وعلينا أن نضعه في الاعتبار، إنه حركة الاستقلال القوية وتفرد الذات، إنه كبرياء العزلة والإشباع العميق عن طريق القوة.

أولى الحقائق التي يجب معرفتها هي خطورة المثالية. إنها الإثم المغري للبشر. إنها تعني الوقوع في الآلية والميكانيكية والبطلان.

نعرف أن الحياة تنبثق تلقائيًّا في عقد النفس الرئيسة، مراكز الأعصاب الرئيسة. تكون في البداية أربعة فقط؛ تصبح ثمانية بعد البلوغ: ثم، قد يبقى امتداد للوعي الديناميكي، يبقى استقطاب إضافي. لكن ثمانية تكفي الآن.

تبدأ الحياة وجودها تلقائيًّا في أربعة مراكز أولًا، ثم في ثمانية مراكز ديناميكية في جسم الإنسان، في جهازه العصبي. تنفجر الروح، في هذه المراكز القطبية، يومًا بعد يوم بدوافع ناضرة، هدف ناضر، ورغبة ناضرة. من هذه المراكز التوليدية الديناميكية تنبثق التيارات الحيوية التي تضعنا في اتصال مع موضوعنا. لا نملك حقًّا، في الوضع الأول، أي إرادة أو أي اختيار. إنها روحنا التي تعمل بداخلنا، تكشفنا يومًا بعد يوم طبقًا لجوهرنا.

من الدوائر الموضوعية ومن الدوائر الذاتية التي ترسخ نفسها وتشبعها في مراكز الوعي الأربعة الأولى نقود وجودنا الأول، وجود طفولتنا، وعقلنا الأول أيضًا، عقل طفولتنا. نعني بالدوائر الموضوعية الدوائر التي ترسخ بين الذات وموضوع خارجي: أم، أب، أخت، قطة، كلب، طائر، أو حتى شجرة أو نبات، أو بالإضافة إلى ذلك، مكان خاص، شيء معين غير حي، سكين أو كرسي أو قبعة أو دمية أو حصان خشبي. لذا علينا أن نلح على أن كل ما يدخل حيواتنا بصورة مؤثرة حقًّا يدخل بالاتصال المباشر. إذا أحببتُ أمي، فإن هذا يرجع إلى رسوخ دائرة قوية مباشرة من المغناطيسية الحيوية، سمِّها ما تشاء، بيني وبينها، إنها تيار مباشر من التبادل والاتصال الحيوي الديناميكي. لن أسمي هذا التيار الحيوي قوة؛ لأنه يعتمد على مبادرة لا تفهم وتحكمها روح الفرد أو ذاته. القوة هي ما يوجهه فقط إرادة أو قانون عالمي. الحياة فردية دائمًا، ومن ثم لا يمكن التحكم فيها بقانون واحد، إله واحد، إطلاقًا. لأن الحياة تسيطر حقًّا على العلم ولو

بجهل –ومن ثم لا يوجد قانون عالمي واحد، حتى للقوى الجسدية. نلح حتى على أن الشمس تعتمد في ضربات قلبها وتنفسها وحركتها المحورية على ضربات قلوب الرجال والحيوان، على ديناميكية نبض الروح في المخلوقات الفردية. لا نعرف كم من العوالم أو أي نوع تشع عليه الشمس من احتشاد ضربات قلوب الأحياء.

ما الذي يمكن أن ننبذه باعتباره ميتافيزيقيا، مع أنه كامل وصحيح ويبرهن عليه قانون الجاذبية لنيوتن، ما القانون الذي يبقى قانونًا حتى إذا لم يكن كاملًا أو مطلقًا كمقدمة غير متجانسة.

لكن هذا استطراد. إن البرهان على وجود تيار حيوي مؤكد بين شخص وموضوع خارجي يرتبط به باتصال وجداني، مؤكد وعياني كالتيار الكهربائي الذي تسيّر دائرته المستقطبة عربات الترام وتنير مصابيحنا، أو كذبذبات أسلاك ماركوني. تبقى الدائرة سواء كان الموضوع بشرًا، أو حيوانًا، أو نباتًا، أو غير حي تمامًا. لكلبي وكناري اتصال مستقطب معي، للخلايا الحقيقية في شجرة الدردار التي أحببتُها وأنا طفل اتصال ديناميكي يتذبذب مع نوى مراكز وعيي الأوّليّ. بالإضافة إلى هذا، فإن الحذاء الذي مزقته مشبع تمامًا بمغناطيسي ونشاطي الحيوي، إذا انتعله شخص آخر أشعر أنه تجاوز، تقريبًا كما لو أن شخصًا آخر استخدم يدي ليطرد ذبابة. أشك تمامًا فيما إذا كانت رابطة الدم تشمُّ بالمعنى الذي نعنيه حين تتنفس. يدرك الكلب بواسطة المركز التيلجرافي الحساس بصورة لانهائية في فتحتي أنفه، يدرك الذبذبة الحيوية الباقية في الموضوع غير الحي كأثر للشخص الذي ارتبط به الموضوع. أودّ أن أعرف ما إذا كان على الكلب اقتفاء أثر

زوج جديد تمامًا من الأحذية من دون أن نجره في حبل. أي، هل يتبع رائحة الجلد نفسه، أم أثر ذبذبة الشخص الذي اتصل حيويًّا بالجلد؟

هكذا توجد علاقة ذبذبة أكيدة بين الإنسان وبيئته، بمجرد أن يلتحم في اتصال مع هذه البيئة بصورة مؤكدة. لأي موضوع خاص، لأي منزل عاش فيه ذبذبة وله حيويته المتحولة. إما أن تتعاطف مع الشخص التالي أو تعاديه بدرجة مختلفة. لكن من المؤكد أن السكان الذين يعيشون تحت أقدام *Etna* لديهم دائمًا درجة معينة من ذبذبة مضادة لدرجة ذبذبة *Palermitan* في بعض النواحي. والمنازل القديمة مشبعة بالوجود البشري بصورة لا تطاق في النهاية. إن التقليد في جوهره يعني استمرار نفس الدرجة الخاصة للذبذبة الحيوية.

إنه التيار الديناميكي الموضوعي بين الأقطاب النفسية للشخص ومادة الموضوع الخارجي، سواء كان حيًّا أو غير حي. يتم ترسيخ التيار الديناميكي الذاتي بين أقطاب الشخص الأربعة الأولية. يبدأ كل ارتباط ديناميكي من مركز أو آخر من المراكز السمبتاوية: يستقطب غالبًا، أو يجب أن يستقطب مباشرة من المركز الإرادي المناظر. ثم يتأسس التيار الكامل في مستوى واحد. لكنه يوقظ دائمًا نشاطًا قويًّا في المستوى الآخر، المستوى المناظر. رسخ حقلُ وعي كامل، بقطبية إيجابية في المستوى الأول، وقطبية سالبة في المستوى الثاني. هكذا يوجد حقل رباعي كامل للوعي الديناميكي، يعمل الآن في الفرد، وتحدث معرفة مباشرة. يعرف العقل، ويكافح ليعرف.

إن دور العقل، أولًا وقبل كل شيء، هو متعة المعرفة والفهم

الخالصة، متعة الوعي الخالصة. الدور الثاني هو العمل كوسيط ومفسرٍّ ووسيلة بين الشخص وموضوعه. على العقل ألا يعمل كموجِّهٍ أو ضابط للمراكز التلقائية. على الروح وحدها أن تضبطها: الروح حقيقة أبدية يستحيل معرفتها تبعثنا في الوجود. ثمة صراع مستمر بين الروح التي تطلق للأبد دوافع لا تحصى، والنفس المحافظة التي تأمل في دوام حركاتها القديمة، والعقل الذي يأمل في أن تكون له «الحرية»، أي التحكم السريع الذي تقوده الفكرة. إن العقل والنفس المحافظة والروح التي لا تحصى، إنها ثلاثتها ثالوث القوى في كل وجود بشري. لكن ثمة شيئًا وراءها. إنه الشخص في فرديته الخالصة، في كلية وعيه، وفي وحدة وجوده: الروح المقدسة التي تكون معنا بعد عيد حصادنا الخاص، ولا يمكن إنكارها. حين أقول لنفسي «أنا مخطئ»، أعرف ببصيرة نافذة أني مخطئ، إنه حديث ذاتي تمامًا، إنه الروح المقدسة. لا يوجد أي تدخل للعقل. ليس مجرد أن تطلق الروح بريقًا. إنها حديثي كله في صوت واحد، يتحول العقل والروح والنفس إلى وحدة. إنه صوت كينوني، لا يمكن أن أنكره أبدًا. ثمة وقفة حين تتحدث، في النهاية، ذاتي كلها بكل عواصفي. تجمع الروح نفسها في هدوء وعزلة خالصين –ربما بعد كثير من الألم. يعلِّق العقل معرفته وينتظر. وتسكن الروح بشكل غريب. من ثم، توجد بعد الوقفة بداية ناضرة وتوافق حياة جديدة. إن الضمير هو وجود الوعي، حين يعي الشخص كليةً، حين يعرف بصورة كاملة. إنه يحتوي الوعي والعقل ويتجاوزه بمسافة. على كل رجل أن يعيش قدر المستطاع بضمير

روحه. لكن ليس تبعًا لأي مثال. إذا أخضعنا الضمير لعقيدة، أو فكرة، أو تقليد، أو حتى دافع، يكون انهيارنا.

إنه عمل طيب أن تجعل من العقل حاكمًا مطلقًا، كما تجعل مرشد الطهو السياحي ملكًا أو إلهًا لأنه يتكلم عددًا من اللغات ويستطيع أن يفهم عربيًّا أن إنجليزيًّا يريد سمكًا للعشاء. إنه عمل غبي أن تجعل مثالًا قاعدة حاكمة، تقريبًا كمجموعة من المسافرين عليهم ألا يتوقفوا إطلاقًا عن إعطاء بعضهم بعضًا وإعطاء ترجمانهم ستة بنسات، لأن فكرة الترجمان الرئيسة عن الفضيلة هي فضيلة أن يأخذ ستة بنسات. نعرف، بالطريقة نفسها، أننا لا نستطيع أن نعيش بالدافع فقط. أو نستطيع أن نعيش بالتقاليد تمامًا. علينا أن نعيش بالثلاثة كلها، المثال والدافع والتقاليد. كلًّا في وقته. على أن يكون الدليل الحقيقي هو الضمير، صوت الذات في كليتها، الروح المقدسة.

وقعنا الآن في خطأ المثالية. يقع الإنسان دائمًا في أحد الأخطاء الثلاثة. التقاليد في الصين. يبدو أنه الدافع في البحار الجنوبية. نقع نحن في المثالية. إن كل نموذج من الثلاثة نموذج حياة حقيقي. لكن أي نموذج، سواء كان وحده أو سائدًا، يعرضنا للدمار. علينا أن نعتمد على كلية وجودنا، عليها فقط نهائيًّا، إنها روحنا المقدسة في أعماقنا. بينما حاولنا، في مثال الحب والنزوع إلى الخير، أن نحول أنفسنا آليًّا إلى محركات حب صغيرة توقد دائمًا بالمحن أو بجمال الآخرين، نكتسب المحبة أو عقابًا إلهيًّا صحيحًا. الحيلة العظيمة أن نصب في النار زيت نقمتنا على شر شخص آخر، ومن ثم يعدو! يحطم! ضد

بطن المذنب حين نبتكر بخارًا يشبه الجحيم خلف المحرك والبيدق. لأنه قال إنه لا يريد أن يحب أكثر من هذا، نكرهه إلى الأبد، ونحاول أن ندهسه، قطعة قطعة، بشاحنات حبنا. ونصرخ فيه طول الوقت: «أتنكر الحب، أنت جلف؟ أتنكر؟» وبمرور الوقت يضيء في شحوب: «أودّ أن أكون محبوبًا! أريد أن أكون محبوبًا!» واعتدنا أن ندهسه بشاحنات حبنا التي لن نشعر أننا سنبرحها بسرعة.

«*Sois mon frére, ou Je te Tue*».

«*Sois mon frére, ou Je te Tue*».

(كن أخًا لي وإلا قتلتك

كن أخًا لي وإلا قتلتك)

ثمة تهديدان للحب، تجري عليهما قرون محبتنا، وكأنها تجري على خطين من خطوط السكة الحديد. اعذرني إذا كنتُ أريد أن أبرح القطار، اعذرني إذا لم أستطع كسب أي بخار حب بعد الآن. غلاياتي انفجرت.

وقعنا في الخطأ بتوكيد أن الحب يشبه طريقًا دائمًا لنظام النقل العاطفي الرئيس. وبالطبع لدينا اتجاهان فقط، الأمام والخلف. «إلى الأمام، أيها الجنود المسيحيون. إلى النهاية العظيمة حيث زجاجات لبن الأطفال المعقم تأتي كل صباح بطائرات صامتة، وتدخل من نوافذ حجرة النوم، حيث يكون طب الأسنان كاملًا بحيث تزرع الأسنان في فم الرجل دون أن يعرف، حيث يكون نوم الشفق رائعًا

بحيث تتوق كل امرأة إلى ولادتها القادمة، وحيث لا أحد إطلاقًا عليه أن يفعل أي شيء إلا أن يدير المقبض من وقت لآخر في روح الحب العالمي- إنه الاتجاه للأمام الذي يسير فيه الجنس الناطق بالإنجليزية. يسيّر الألمان محركهم بحمق إلى الخلف. «لدينا مدينة النور. تتمدد خلفنا مباشرة بدل أن تكون في المقدمة. اعكس المحركات. اعكس المحركات واتجه إلى مدينتنا بعيدًا، بعيدًا، حيث يأتي اللبن المعقم بطائرات صامتة، في لحظة دقيقة جدًّا حين يكون أطباؤنا العظماء في أرض الأسلاف شخصوا أنه طيب بالنسبة لك: حيث لا تزرع الأسنان من دون ألم فقط وتنمو كالصخر الحي، لكن يكون تركيبها بحيث يحث احتكاك الطعام خلايا عظام الفك، وتتطور قوة السوبرمان بإرادة تجعلنا آلهة: حيث لا يجود صفاء نوم الشفق فقط، ولكن تطبع في ذهن النائم أحلام أكثر فائدة وتنويرًا، تصلح المدينة الناشئة في هذه الفترة الحاسمة، وتنير عقل الأم السعيدة دائمًا فيما يتعلق بواجباتها الجديدة تجاه طفلها وتجاه أرض أسلافنا العظيمة».

إننا على خطوط السكة الحديد، أمامنا قدس جديدة، وراءنا قدس جديدة بعيدة. بالطبع، كان خطأً حقيقيًّا أن يعكس الألمان محركاتهم ويحدثوا تصادمًا على طول الخط. لماذا يكون علينا أن نسير في طريقهم إلى القدس الجديدة، حين يمكنهم بالطبع أن يواظبوا بسهولة شديدة على السير في طريقنا؟ يوجد الآن منبوذون على طول الطريق! لكن تنظيف الطريق شعارنا- أن نجعل الألمان ينظفونه. لأننا سنتقدم.

بينما نجلس في البرد ننتظر القطار لنبدأ، يواظب الناس على

الإشارة بالأضواء الخضر والأضواء الحمر. إن هذا كله مربك جدًّا.

بالنسبة لي أنا مستبعد. أنا ملعون إن ابتعدت عن الطريق أكثر وأنا ملعون ثلاثًا إذا ذهبت خطوة أخرى باتجاه القدس المعتمة، سواء إلى الأمام أو إلى الخلف. قد تفسد القدس الجديدة إذا انتظرتني، لن أذهب.

إلى اللقاء! نترك البشرية تعسكر في مأزق مرعب بجوار سكة حديد الحب المنهار، مع هذا تجلس من دون وقت رديء، يطعم البعض أنفسهم دهونًا من السلب: يجلس آخرون تحت الخط وأفواههم خضر من أكل العشب. يثرثر الجميع بغباء في حشد حول تسيير خدمة الحب مرة أخرى، سبق حجز القطارات جيدًا إلى القدس الجديدة على الطريق مرة أخرى. وأحيانًا يصرخ محرك صرخة الحب، ويبدو أن شيئًا على وشك الحدوث. ويوجد أحيانًا بخار يكفي لتصرخ صفارات الإنذار. لكن لم يبق شيء ليكون بخار حب يكفي للحصول على نظام يعدو بحق. تمَّ.

إلى اللقاء! ربما وضعْتَ خطك من طرف إلى طرف آخر في اللانهاية. لكن يبقى جزء كبير من المنطقة الخلفية. سأذهب. إلى اللقاء. صديقي المخلص، لطيف جدًّا أن تكون وحيدًا: ليس لتسمع نفسك، ليس لترى لنفسك، ليس لتشم نفسك، إنسانيًّا. آمل ألا تكون مريضًا، لكنها الحكمة. إلى اللقاء!

على المرء أن يكون وحيدًا مع روحه. ليس وحيدًا من دون روحه، أتعي. على المرء أن يكون وحيدًا مع روحه! وتكون متعته الحب

الحقيقي. روحي وذاتي. ليست أناي *my ego*، تصوري لنفسي. لكن روحي الحقيقية. أن أنسجم مع ذاتي. لا أبحث أبعد من هذا. لا أسعى إلى الاشتياق والبحث والأمل والرغبة والطموح. أسعى لأن تتوقف، وتكون وحيدًا.

على المرء أن يكون له «قرين مهذب» بجواره، بالطبع، ليدفعه في الضلوع أحيانًا. لأن معنى الوحدة في سلام هو أن يوجد شخصان معًا. شخصان يستطيعان أن يصمتا معًا، ولا يعي أحدهما الآخر ظاهريًّا. أنا في صمتي وهي في صمتها، بيننا الانسجام والتوازن والدائرة النقية. بالطبع، مع بعض التوقف: يدفع أحدهما الآخر في الضلوع إن كان مبهمًا جدًّا أو مكتفيًا بذاته.

يقولون السفر أفضل من الوصول. ليست هذه خبرتي على الأقل. رحلة الحب كانت إلى حدٍّ ما رحلة ممزقة، إذا كانت جديرة حقًّا. لكن عليك أن تأتي في النهاية إلى مكان لطيف تحت الأشجار مع «قرينك الودود»، التي تعلمت في النهاية أن تحفظ لسانها ولا تثير مشاكل حول الصحيح والخطأ: خاصتها. ثم تنصب معسكرًا وتطهو أرنبك وتأكله: وتكون روحك ساكنة وتشعر بفترة الصخب كلها. هذا هو الأفضل الذي أعرفه.

أعتقد أن من الفظاعة أن تكون صغيرًا. تعرف بهجة الحب وآلامه، آلام الخوف وبهجته والإشباع قطرة قطرة، والإدراك. تعرف علاقات البشر المروِّعة، خاصة الحب وعلاقات الزواج. نبدأ اليوم، جميعًا، بداية سيئة جدًّا، جدًّا، بفكرة عن الحب في الرأس وجنس في الرأس

بالمثل. يصارع الكل لينزف المرء من وعي ذاته ومن الجنس في الرأس. حققت كلُّ مرارة الصراع مع شيطان قرين ودود ذاتها ولازمت رأسها. فظيع أن تكون صغيرًا. -لكن المرء يصارع الطريق التي يمضي خلالها حتى يهذب نفسه: يتم حرق وعي الذات وفكرة الجنس خارج المرء، يتم كويهما في الخارج جزءًا جزءًا، وتكون الذات حرة في النهاية مرة أخرى.

أفضل ما عرفت هو إنجاز سكون الزواج، حين تصمت روح المرء بجوار القرين الودود ويتخلى عن الاشتياق والهذيان ويبقى نصف ذات المرء فقط. لكن عليّ أن أقول أنني أعرف عن الاشتياق والهذيان وبلاء الضلوع أكثر مما أعرف عن الإنجاز. وعلي أن أعترف بأنني أشعر بأن هذا «الإنجاز» نفسه للوجود المشبع هو مجرد إعداد لمسؤوليات جديدة في المقدمة، مع رجال آخرين، طريق جديد ممهد إلى المستقبل، نحطم خلاله سياج الكثيرين.

لكن- إلى خيامكم، بني إسرائيل. إلى ذلك الطفل المبكر النضوج الذي تركته غافيًا هناك. قصدت أن أقول أنك في كل مرحلة من الحياة عليك ترسيخ وإشباع الدائرة الرئيسة لعلاقاتك البشرية. في الطفولة ترسخ دائرة حب الأسرة في مراكز الوعي الأربعة الأولى، تشبع نفسها تدريجيًّا، تنافس نفسها. يجب أن تكتمل في المراهقة دائرة حب الأسرة الأولى، وتنتهى ديناميكيًّا. ثم تهمد. بعد البلوغ، يجب أن يسقط الحب ويهمد الطفل. لا ينكسر الحب إطلاقًا. يستمر استاتيكيًّا وأساسيًّا، إنه أساس النفس العاطفية، قاعدة الذات. كالقمر حين يستقر في النهاية

في مداره السرمدي حول الأرض. يسافر في مداره وينسى حتمًا ولا يدرك. فقط يقطب حاجبيه فوق انحرافات الأرض العظمى في الفضاء.

لا تُلغي دائرة الحب الأبوي بمجرد اكتمالها، ترسخ فقط في سكون. من ثم، يصبح الطفل حرًّا في ترسيخ ارتباطات جديدة، تتجاوز والديه. نكرر، لا يجب إطلاقًا أن يرسخ الآباء علاقات تعاطف أو اهتمام أو أي شيء آخر. علاقات ناضجة بينهم وبين أطفالهم. فقط، تفسد هذه المحاولة الدائرة الأولية العميقة، الأساس الديناميكي لحياتنا. إنها تسلق لأعلى على أساس محطم. يجب أن يبقى الآباء آباء والأطفال أطفالًا للأبد، وأن نحافظ على الهوة الهائلة بين الاثنين. إن احترام الأب والأم يجب أن يكون وصية أساسية. يمكن لهذا أن يحدث فقط حين يحافظ الأب والأم على بعدهما الأبوي الحقيقي، على الوقار والتكتم والتحديد. إن مجرد محاولة الأب والأم لأن يصبحا أصدقاء ورفاقًا لأطفالهما، تفسد كل تيار الحياة في نفسيهما وفي أطفالهما.

نكرر ونكرر: لا نستطيع خلط وتشويش نماذج الحب الديناميكي المختلفة. إذا حاوْلتَ، فأنت تحاول أشياء مرعبة. لا تستطيع زرع القلب أسفل الحجاب الحاجز، أو وضع العين المبصرة في السرة. بالإضافة إلى ذلك، لن تستطيع تحويل الحب الأبوي إلى حب أصدقاء أو حب راشد. يرسخ الحب الأبوي في المراكز الأولية الرئيسة، حين يكون الرجل أبًا وطفلًا، زميلًا في اللعب وأخًا، لا يستطيع أن يرسخ حين يكون رفيقًا أو عشيقًا. رفيقًا أو عشيقًا، إنه نشاط المراكز الإضافية

الديناميكية، المراكز الأربعة الثانية. يجب أن تنشط هذه المراكز الأربعة التالية في أحد الأبوين وترسخ دائرتها القوية، حتى لو لم تكتمل، قبل أن يولد الطفل بوقت طويل. تحتاج بالضرورة دائرة الصداقة والرفقة الشخصية والحب الجنسي للرسوخ قبل إنجاب الطفل، أو على الأقل قبل وصوله إلى المراهقة. ترسخ هذه الدوائر، دوائر الحقل الممتد في الوالد حتى قبل أن تتشكل المراكز المناظرة في الطفل.

مع هذا، حين تستيقظ المراكز الأربعة الرئيسة للوعي الممتد في الطفل، في المراهقة، يحتاج للبحث عن متمم غريب، اقتران الغرباء.

ليست الحالة هذه فقط، لكن الدافع الديناميكي الحقيقي للحياة الجديدة التي تستيقظ في البلوغ يختلف عن التيار الديناميكي الأصلي. إن طول الموجة الجديدة لا يناظره بحال من الأحوال. لا تنسجم الذبذبة الجديدة معه بحال من الأحوال. ادفع الاثنين معًا تنتج إثارة مروعة عن الاحتكاك وتنافر. إنه التعرف الغريزي للذبذبات الديناميكية المختلفة من المراكز المختلفة، في نماذج مختلفة، وفي اتجاهات مختلفة إيجابية وسلبية، إنه يؤسس التابو البدائي. بعد البلوغ، يكون أفراد العائلة الواحدة تابو بالنسبة لبعضهم. يجب وجود أكثر الحدود تحديدًا حتى التماس. وتكون الأمهات -في- القانون تابو بالنسبة لأزواج بناتهن، ويكون الآباء -في- القانون تابو بالنسبة لزوجات أبنائهن. علينا أن نبدأ مرة أخرى في تعلّم القوانين الرئيسة لدوائر الحياة الديناميكية الأولى. نجعل الآن هذه القوانين دمارًا، وبالتالي ندمر روحنا ونفسنا وعقلنا وصحتنا.

يتعلق هذا الكتاب، أساسًا، بوعي الطفل. لا يهدف لدخول حقل وعي ما بعد البلوغ. لكن روح الأب الجسدية والنفسية ترسخ العلاقة الديناميكية للطفل بصورة مباشرة جدًّا، حتى أننا لكي نحصل على أي لمحة عن وعي الطفل الديناميكي علينا أن نفهم شيئًا عن وعي الأب.

نؤكد أن نموذج الحب بين الأب والطفل يلغي احتمالية نموذج الحب بين رجل –و– امرأة، أو بين صديق –و– صديق. نؤكد أن قطبية الأقطاب الأربعة الأولى لا تتواءم مع قطبية الأقطاب الأربعة الثانية. كلا، يوجد بين الحلقين الرئيسَين تضاد معين ومقاومة وربما كراهية. هكذا لا يوجد احتمال في سياق الحياة الطبيعي للخلط بين حب الأب وحب النضوج.

لكننا كائنات عقلية، وبمساعدة الأفكار التفجيرية والميكانيكية نستطيع أن نفسد النفس تمامًا. مع هذا، نفسدها فقط بالتدمير، ليس بالإيجاب أو البناء.

نعود إلى موضوعنا. حين يولد الطفل ويصل إلى البلوغ، في سياق التطور المألوف، تتورط روحُ الأم الديناميكية كلُّها: مع الأولاد أولًا، وبالإضافة إلى هذا تتورط ثانيًا على المستوى العلوي مع الزوج ومع الأصدقاء. هكذا حين يصل الطفل إلى المراهقة ينطلق حتمًا للبحث عن ارتباط.

لنتذكرْ وضع القضايا الحقيقي اليوم، حين تعكس الأقطاب بين الجنسين. المرأة الآن هي المسؤولة، مانحة القانون وحاملة الثقافة. إنها الدليل الواعي والموجِّه للرجل. تحمل روحها على كفها. جنسها

ليس إلا وظيفة أو آلة قوة. هكذا الأمر، الرجل خادم حقًّا، وينبوع العاطفة والحب إلخ.

بينما يستمر المزاح، هذا طيب تمامًا، لكن هذه العمليات المنحرفة تستنزفنا ويبلى المزاح. نترك الاستنزاف والإثارة. يبدو كل منهما بالنسبة للآخر وكأنه مفسدة للحياة. تتصور المرأة المتزوجة، بصورة حتمية تقريبًا، وهي تعبر الثلاثين، كرهًا أو ازدراء لزوجها أو شفقة تقترب من الازدراء تمامًا. خاصة إذا كان زوجًا طيبًا، متحضرًا تحضرًا حقيقيًّا. وبالنسبة له، مع أنه يشعر بالضيق في نفسه، إلا أنه يستاء فقط من حقيقة أنه ليس محبوبًا كما كان يتوقع.

تبدأ مباراة جديدة. تنظر المرأة، حتى أكثر النساء فضيلة، في كل اتجاه بحثًا عن تعاطف جديد. ستصادق رجلًا جديدًا إن لم يكن أكثر. لكنها عمومًا تكون قد حصلت على ما هو أكثر. حصلت على أطفالها.

إن العلاقة بين الأم والطفل عمليًّا ليست أمومة إطلاقًا. إنها شخصية -أي أنها حاسمة، ومدروسة، وناضجة الإثارة. إن الأم، في دورها الحديث كمثالية ومديرة للحياة، لا تستجيب إطلاقًا، لحظة واحدة، لطفلها استجابة تلقائية من المراكز الديناميكية العميقة. لا، إنها تعطيه ما ترى أنه جيد. تدفع اللبن في فمه حين ترن الساعة، تدفعه للنوم حين يبلع اللبن وتدفعه بصورة مثالية إلى الحمامات والتدليك، إلى النزهة والعمل، حتى ينمو الكائن الصغير كالفطر ليقف على قدميه. وتستمر في دفعها المثالي له في كل مراحل التربية المثالية، إنها تحبه كما يحب الكيميائي أنابيب الاختبار التي يحلل أملاحه

فيها. الطفل الصغير المسكين مثال أمه. من رأسها تملي عليه أيامه المنجزة بالعناية الإلهية، وتدفعه إلى الصبا بقوة إرادة حبها الموجهة والمدروسة عقليًّا. لا يعرف الشيطان الصغير المسكين إطلاقًا لحظة لم تطّوَقْهُ فيها إرادة الحب الجميلة الخيّرة المثالية، في نقاء بوتيشيلي، وإرادة قذرة من الأم في النهاية. أبدًا، أبدًا، لم يتجرع جرعة من لبن الحنان البشري: يتجرع دائمًا لبن الخير البشري المعقم. لا يوجد لبن الأم اليوم، إنه يحفظ في أثداء النمور وفي أثداء حيتان البحر. يشرب أطفالنا من الثدي مستخلص الحب المثالي.

أبدًا، لم يمر لحظة، للطفل المسكين، بخار الحب الدافئ العميق من أحشاء الأم إلى أحشائه. أبدًا، لم يتحول لحظة الغرور المبهم إلى راحة، أو انفصال الروح إلى استقلال عميق ثري. أبدًا لم يحدث هذا النسيان الثري المحبوب، كما تهرول القطة بعيدًا وتنسى صغارها تمامًا، تمامًا، تنساها بثراء، حتى تنجح الدائرة الديناميكية فجأة في عكس نفسها، وتتذكر وتثور في جنون وتصرخ من أجل صغارها.

لا يعرف أبدًا أطفالنا البائسون متعة دفء الأمومة وثراءه وألمه. لا تدعنا أبدًا أمهاتنا المدهشات لحظة واحدة خارج عقولهن. لا يدعننا نهرب لحظة من الخيرية المثالية. لا يدعن الطفل يأخذ نفسًا واحدًا حرًّا من سيطرة إرادة الحب النقية اللا أنانية، قداسة بويتشيلي، الإرادة المقيتة، إرادة الأم. الإرادة دائمًا، الإرادة، إرادة الحب، الإرادة المثالية، يوجهها العقل المثالي. إنها الصخرة دائمًا، عقرب تغذية الأمومة. دائمًا تميت مادونا الواعيةُ ذاتيًّا وعيًا شيطانيًّا، تميت أمعاءنا الحية

وتسلط علينا حبها حتى الموت.

قدمنا فكرة تحلّ محل الدافع والتقليد كليهما. ليست لدينا جرثومة الكلية. نعيش بإرادة حب شيطانية. واحسرتاه، تم استبعاد النموذج التلقائي الرئيس. لا يوجد تدفق ودّي رئيس من التعاطف الحيوي، لا يوجد ابتهاج الغرور الثري بالعزلة والاستقلال. لا يوجد تبجيل لتقاليد الأبوة الرئيسة. لا، يوجد بديل لكل شيء –بديل للحياة– بالضبط كما أن لدينا بديلًا للزبد، وبديلًا للّحم، وبديلًا للسكر، وبديلًا للجلد، وبديلًا للحرير، لدينا بديل للحياة. لدينا الخيرية القذرة، والإرادة الطيبة الحمقاء، والمحبة النتنة، والمثاليات السامة.

ندفع الطفل الحديث المسكين ببشاعة في الحياة بمجهود الإرادة، ندفعه للرجولة بكل أداة يمكن استخدامها، خاصة إرادة الأمومة، إنها محزنة حقًّا بدرجة لا يمكن توقعها. الشيء الوحيد الذي يمنعنا من هز أيدينا هو تذكر أن ذلك الشيطان الصغير سيكبر ويلد شياطينه الصغيرة الأخرى الشبيهة، ويخترع مزيدًا من الطائرات والمستشفيات ومبيدات الجراثيم وبدائل الطعام والغازات السامة. إنها بالتأكيد طريق أكيد للخروج من الدائرة الرديئة.

بالطبع، لا طريق إلى خارج الدائرة الرديئة إلا بكسر الدائرة. وحيث أن علاقة الأم والطفل أردأ الدوائر، ماذا نفعل؟ فقط، ننتظر نتيجة التنافس المفترض للغاز السام.

آه، أيتها البشرية المثالية، أي شيء مقيت وحقير أنتِ! كيف تستحقين غازاتك السامة! كيف تستحقين الهلاك في عفونتك!

لا أهمية لتأمل تطور الطفل الحديث، الذي يولد من إرادة حب شخص يعي عقليًّا، يولد ليكون وحدة أخرى لإرادة حب تعي ذاتيًّا تلد بمثالية قذرة كينونة صغيرة بإرادة شخصية خاصة بها، ذات نزوع خيّر، بالطبع إنه الوعي الساروفي للشيطان، كطفل بوتيشيلي القذر.

بمجرد أن نضع في الاعتبار هذه العملية الحديثة، عملية الحياة وإرادة الحب، نستطيع أن نلقي بالقلم جانبًا، ونبصق ونشجع مخترعي الغاز السام ثلاثًا. ألا يوجد أمريكي يفترض أنه اخترع عبير جنة يلائمه، يسقط فشارة في هامستيد، وواحدة في بريكستون، وواحدة في إيست هام، وواحدة في اسلنجتون، وتكون لندن بومباي في خمس دقائق! أم أن الأمريكي كان يتفاخر فقط؟ مع ذلك، من اختبر هذا؟ مع هذا، نقرؤه في الجريدة. تكون لندن بومباي في خمس دقائق. لننتظر الآلهة في سذاجة.

* * *

ابتهال النصيحة

أعتقد أن من الأفضل أن أقلب صفحة جديدة، وأبدأ فصلًا جديدًا. كان هدف الفصل الأخير إيجاد طريق خارج الدائرة الرديئة. انتهى بالغاز السام.

نعم، عزيزي القارئ، إنه ما كان. لكنك لم تنصت إليَّ من أجل كل ذلك.

إننا في مأزق يثير الغثيان. إننا في دائرة رديئة. نقوم بدراسة الغازات السامة بعناية. فقدنا سرَّ النار اليونانية من زمن بعيد، حين كفّ العالم عن إثارة الدهشة والمثالية. إنه الآن مدهش ومثالي مرة أخرى، أكثر إدهاشًا ومثالية بكثير. لذا نتوقع أن نفعل شيئًا نادرًا في طريق الغاز السام. لندن تكون بومباي في خمس دقائق! كيف نهزم فيزوف!- إنه عنوان كتاب جديد لمؤلفين أمريكان.

يمكن أن نفعل شيئًا واحدًا فقط. إنه أصعب من الغاز السام. إنه التخلي عن الحب. إنه التخلي عن النزوع الخير والإرادة الطيبة. إنه التوقف التام. نتخلى تمامًا. أوه، أيها الآباء، ترون أن أطفالكم يتناولون

غذاءهم وينظفون ملاءاتهم، ولا يحبونها. لا يحبونها مثقال ذرة، ولا يدعون شخصًا آخر يحبها. أعطوهم غذاءهم ودعوهم وحدهم. أحببتموهم حتى الهلاك. الآن دعوهم وحدهم ليجدوا طريقهم خارج الدائرة.

أيتها الزوجات، لا تحببن أزواجكن أكثر: حتى لو صرخوا طلبًا للحب، الأطفال الكبار! غنِّي: «لدي كمية كافية من المرقة القديمة». وتخلين عن حبهم أو اهتممن بهم بصورة ضئيلة. حتى لا تكرهنهم أو تبغضنهم. لا تأخذن أي حمام معهم إطلاقًا. فقط اسلقن البيض واملأن قباء الملح وكنّ لطافًا تمامًا، ولتكن روحكن وحيدة وهادئة. كوني وحيدة وهادئة، حافظي على كل آداب البشر، واهجري بذاءة الرغبات والنزوع الخيّر والورع. إنها تفاحات الغاز السام القذرة من شجرة سدوم، شجرة إرادة الحب.

يا زوجات، لا تحببن أزواجكن أو أطفالكن أو أي شخص. اجلسن في هدوء وانشدن السكون! وأنت تهزين المنفضة من نافذة حجرة الرسم، قولي لنفسك: «في عذوبة العزلة». وحين يدخل زوجك ويقول إنه خائف ومصاب ببرد وسيصاب بالتهاب رئوي شديد، قولي في هدوء «بالتأكيد لا». وإذا أراد أمونياتيد كينين، فأعطيه إذا لم يستطع أن يتناوله بنفسه. وإذا وقع طفلك على السلم ونزف فمه، مرِّضيه وأريحيه، وقولي لنفسك حتى وأنت ترتعشين من الصدمة: «وحيدًا، وحيدًا، كن وحيدًا يا روحي». وإذا حطمت الخادمة ثلاثة مصابيح كهربائية في ثلاث دقائق، قولي لها: «إنك متهورة ومهملة!»، وقولي

لنفسك: «روحي لا تستمعي إليها. لا تنزعجي لتحطم المصباح».

يا أزواج لا تحبوا زوجاتكم بعد الآن. إذا غازلن رجالًا أصغر منكم أو أكبر، فلا تعكروا صفو دمكم. انصرف إذا استطعت أن تنصرف وإذا كان ضروريًّا أن تبقى وترها، فقل لها: «الينورا، أفضل إلى حدٍّ ما ألا تغازلي أحدًا في وجودي». وبعد ذلك، حين تحمرّ سيول النقمة وتهدأ، لا تفعل أكثر. وحين تنهمر دموعها، قل في نفسك بهدوء: «روحي خاصة بي»؛ وانصرف، كن وحيدًا قدر المستطاع. وحين تستعيد نفسها وتقول عليها أن تحب أو تموت، قلْ: «إنه مع هذا ليس حبي». لا تستجب لكل تهديداتها، دموعها وتوسلاتها وخزيها: تملقها وسحرها، وقل لنفسك: «هل سيطوقني هذا العرض لإرادة الحب؟ هل سأذبل بهذا البرق الزائف؟»، ومع أنك تكون مروَّعًا في كل ليفة وتشعر بالمرض وتقيء مرضًا من المشهد، إلا أن عليك أن تحتوي نفسك وتقول: «روحي خاصة بي. لن تنتهك». وتعلم، تعلم، تعلم، إنه الدرس الوحيد الجدير بالتعليم في النهاية. تعلم أن تمشي في عذوبة روحك. وسواء بكتْ زوجك وهي تخلع عقد الكهرمان في الليل، أو جلس جيرانك في القطار في أعماق سترتك، أو قام رئيسك في المكتب بملاحظات متكبرة، أو كان مرؤوسك رافعًا للكلفة ووقحًا، أو قرأت في الصحيفة أن لويد جورج يرتكب خطيئة أخرى، أو أن الألمان يقومون بمؤامرة أخرى، قل لنفسك: «روحي خاصة بي، روحي مع نفسي، أبعد من التورط». وانتظر بهدوء مع روحك حتى تقابل رجلًا آخر يصنع الفرصة ويحتفظ بها. ستعرفه بالنظر في وجهه:

نظرة نصف خطرة، نظرة قابيل، ونصف نظرة للجمال المحتشد. ومن ستشكل معه نواة مجتمع جديد -أووري! مرة أخرى! مرة أخرى.

لكن إذا لم تلتق أبدًا بمثل هذا الرجل: وإذا كانت زوجك تعذبك كل يوم بإرادة حبها: وحتى إذا كانت تدفع نفسها للهزال مثل كاثرين لنتون في [مرتفعات ويذرنج]، بسبب إرادة الحب العنيدة والمحدد (إنها شيء يختلف تمامًا عن الحب): وإذا رأيت العالم يخترع الغاز السام ويسقط في القبر المسمم: لا تستسلم أبدًا، وكن وحيدًا، وحيدًا تمامًا مع روحك في هدوئها وعذوبتها. لا تغضب. لا تحزن أبدًا. لماذا يجب أن تحزن؟ ليس شأنك.

وإذا كانت زوجك تحقق لنفسها عذوبة روحها، بأدب ورقة، دع النموذج الجديد يؤكد نفسه، نموذج العلاقة بينكما، مع بعض الفردوس التلقائي، واهضم في النهاية تفاحة المعرفة. لكنني أسأل، أي آلام في البطن تحدث أثناء ذلك؟ إن هضم التفاحة أصعب من هضم خرطوشة المدفع الرصاص.

* * *

كوزمولوجيا

حسنًا، عزيزي القارئ، كان الفصل ١٢ قصيرًا، آمل أن تكون وجدته عذبًا.

لكن تذكر، إنه كتاب عن وعي الطفل، وليس كراسة في الخلاص، ليس خطئي إذا انسقتُ إلى النصيحة في لحظات.

حسنًا، بعد ذلك، ماذا عنه؟ الآن تبدو حقيقة واحدة واضحة تمامًا، على كل مستوى، بالنسبة لي. علينا أن نتوقف. علينا ألا نطوق خواصرنا بجنون جديد وحناجرنا بغناء المجد الجديد. ولا بأي جزء منه. عزيزي القارئ، قبل أن تضطر لوضع الملح على ذيل دين جديد أو قائد جديد من الرجال، اجلس بهدوء وادفع نفسك للانسجام. قل لنفسك: «تعالي الآن، هل هذا كله عنه؟»، وسوف تعرف عزيزي القارئ أنك مرتبك تمامًا من الداخل. ومن ثم قل لنفسك: «لماذا أنا مرتبك بهذه الصورة؟»، ولن ترى في النهاية سببًا لهذا الارتباك: إلا أنه أمر مثير إلى حدٍّ ما حين لا ترتبك

تمامًا بشأن أي شيء. ويبقى، عزيزي القارئ، بمجرد أن تتأمل الأمر في هدوء، أن من الألطف إلى حدٍّ ما ألا تكون مرتبكًا. من الألطف إلى حد بعيد ألا تشعر بأحشاء المرء العميقة تعصف مثل خليج بسكاي. من الأفضل إلى حد بعيد أن تنهض وتقول لدموع المرء المضطرب الروح: سلام، كن هادئًا! وسوف يهدؤون... ربما.

ثم يعرف المرء أن كل عواصف القلق والجنون البرية تكسر البيض فقط بدرجة كبيرة. ليس لنا أن نعيش حياة أي شخص آخر، أو نموت موت أي شخص آخر، لنا ما يخصنا. ليس لنا أن نصون روح أي شخص آخر، أن نصحح وضع أي شخص آخر؛ أو نضعه أيضًا في الخطأ، الوضع المنتشر أكثر اليوم. لكن كن هادئًا وتجاهل الجنون الضئيل الزائف، جنون العالم المضطرب. لنتحول الآن بعيدًا، كل إلى هدوء روحه ووحدتها. ولنبق هناك في هدوء مع الروح المقدسة، روح الحقيقة، حقيقة كل رجل.

إنه الطريق خارج الدائرة الرديئة. ألا نلف حول الطرف كأرنب في حلقة يحاول كسرها. لننسحبْ إلى المركز الحقيقي، لنمتلئْ هناك بثبات غريب جديد، ونستقطب بثراء عميق مع مركز المراكز. إننا بلهاء جدًّا، نحاول اختراع أدوات وآلات للطيران بعيدًا عن سطح الأرض. بدل أن نعرف أن إشباعنا العميق لا يكمن في الهروب، لكنه يكمن في دخول الدائرة الصحيحة للمغناطيسية الأرضية. لا يكمن في الفرار. ما الطيب في أن يحاول المرء الفرار مما يخصه؟ ما الطيب في شجرة ترغب في أن تطير في السماء كطائر، بينما ينغرس الطائر في الأرض

كشجرة مؤكدة؟ كلا، الطائر أعلى ورقة في الشجرة فقط، يرفرف في الهواء المرتفع، ويتصل بالشجرة كأي ورقة أخرى. لا تبطل نظرية النسبية لمستر آينشتين قانون نيوتن عن الجاذبية الأرضية أو القصور الذاتي. إنها فقط تقول: «احذروا! إن قانون القصور الذاتي ليس فرضية مثالية بسيطة تودّ افتراضها. إنها معقدة جدًّا. ليست الجاذبية الأرضية قوة واحدة أولية غير مألوفة. إنها غريبة، لا نهائية التعقيد، تجمع بارع للقوى». بالإضافة إلى ذلك، قد تهتزُّ مهما تكن كثرتها، يسقط الحجر إلى الأرض إذا أسقطته.

علينا أن نحب، بألفة، وأن نبتهج ونقول تحررنا نظرية النسبية الجديدة من إلزام المركزية القديم. لا تفعل هذا. فقط جعلت المركزية القديمة أكثر غرابة وبراعة وتعقيدًا وحيوية. تسلبنا فقط بساطة المثالية القديمة اللطيفة. ما كان بساطة مثالية ومنطقية صار شوكة سمكة تلتصق بحلوقنا.

من النادر أن يكون العالم في بوتقة العقل. تستطيع صهره إلى مدن تحبها، وتغمغم بكل الرطانة والتعويذة، *aldeboronti fosco fornio* للعلم، إن حيل القرد العقلية يمكن أن تعلمك، لن تفسح مجالًا لأي شيء في النهاية غير صيغة ووضع. الذرة؟ لماذا، حين تكتشف الذرة ستنفجر تحت أنفك. حين تكتشف الأثير سيتبخر. حين تحصل على الأساس الحقيقي لأي شيء، سيتحلل إلى ألف مكوِّن غير ثابت. وكلما زادت المشاكل التي تحلها كلما انطلقت بأصابعها في أنفها لتجعلك شخصًا أحمقَ.

ثمة مفتاح واحد فقط للعالم. أن تكمن الروح الشخصية في الكينونة الشخصية. أن يكون العالم الخارجي بشموسه وأقماره وذراته مسألة ثانوية. إنها نتاج لموت الأحياء. ثمة استقطاب رئيس في الحياة نفسها. الحياة نفسها ثنائية. ثنائية الحياة والموت. ليس الموت مجرد ظل أو سرٍّ. إنه واقع الحياة السلبي. ما ندعوه المادة والقوة. وأشياء أخرى.

إن الحياة شخصية، كانت شخصية دائمًا وستبقى شخصية دائمًا. في البداية، تتكون الحياة من أشخاص أحياء، وكانت تتكون منهم دائمًا. لم يوجد أبدًا أي عالم أو كون ولم يكن الأحياء، الأحياء المندمجون، حقيقته الأولى. لا أقول إن الأشخاص كانوا مثلي ومثلك بالضبط. لم يختلفوا أبدًا اختلافًا كبيرًا.

لذا فهو زمن المثالي والعالم –إنهما واحد ومتماثلان في الواقع– عليهما أن يوقفا رطانة القردة حول الذرة وأصل الحياة ومفتاح العالم الآلي. لا يوجد شيء من هذا القبيل. وبالمثل قد أقول: «ثم أخذوا العربة وشحموها كلها. ثم رشوها بالنبيذ الأبيض، وأداروا العجلة اليمنى خمسمائة دورة في الدقيقة، والعجلة اليسرى في الاتجاه العكسي سبعمائة وسبعًا وسبعين دورة في الدقيقة. وتم توجيه المشعل المحرق إلى المحور. انظرْ، إن موطئ القدم في العربة ينتفخ، وبينما تصدر العربة صوتًا وتدور، ولد الحصان فجأة ولهج لاهثًا بين عرائش العربة»، كل النظريات العلمية عن العالم ليست أفضل من هذه الحكاية: حبلت العربة وولدت الحصان.

لا أصدق خُمْس ما يمكن أن يحدثني به العلم عن الشمس. لا أصدق لحظة أن القمر عالم ميت انفصل عن كرتنا الأرضية. لا أصدق أن النجوم تسقط طائرة من الشمس كقطرات الماء حين تعصر منديلك المبتل. صدقت هذا عشرين عامًا لأنه بدا معقولًا إلى حد بعيد بصورة مثالية. الآن لا أقبل إطلاقًا أي معقولية مثالية. أنظرُ إلى القمر والنجوم، وأنا أعرف أنني لا أصدق أي شيء مما قيل لي عنها. إلا أنني أحب أسماءها، الثور، ذات الكرسي *Cassiopeia*، إلخ.

حاولتُ، بل وأرغمتُ نفسي على تصديق مفتاح العالم الخارجي. وفي هذه العملية بلعتُ كمية كبيرة من الرطانة، حتى أنني أفضل سماع الطبيب الساحر الزنجي عن سماع العلم. لا شيء في العالم حقيقي إلا الاكتشافات الأمبريقية التي تستخدم في تطبيقات حقيقية. أعرف أن الشمس حامية. ولن أقول أن الشمس كرة من الغاز المشتعل تدور بسرعة وتئز. لا، أشكرك.

أخيرًا، بالنسبة لي أعرف أن الحياة، والحياة فقط، هي مفتاح العالم. وأعرف أن الشخص الحي هو مفتاح الحياة. كان الأمر هكذا دائمًا، وسيبقى هكذا دائمًا.

حين يموت الشخص الحي ترسخ مملكة الموت. ونحصل على مادة وعناصر وذرات وقوى وشمس وقمر وأرض ونجوم، إلخ. باختصار نحصل على العالم الخارجي، الكون. ليس الكون سوى تجمع الأجسام الميتة والطاقات الميتة لأشخاص رحلوا. تتحلل الأجسام الميتة، كما نعرف، إلى تراب وهواء وماء وحرارة وطاقة

مشعة وكهرباء حرة وحقائق علمية أخرى يستحيل حصرها. وبالمثل تتحلل الأرواح الميتة -أو بصورة أخرى لا تتحلل. لكنها إذا تحللت فإنها لا تتحول إلى أي عناصر مادية أو طاقة فيزيقية. تتحلل إلى حقيقة نفسية، وإرادة كامنة. تدخل مرة أخرى النفس الحية لأشخاص أحياء. تشارك الروحُ الحيةُ الأرواح الميتةَ، كما يشارك الثديُ الهواءَ الخارجيَّ، ويشارك الدمُ الشمسَ. لا تحلل الروح، الشخصية، نفسها أبدًا إلى مكوِّنات فيزيقية بالموت. تبقى دائمًا الروح الميتة روحًا، وتحتفظ دائمًا بخاصتها الشخصية. لا تختفي، تدخل مرة أخرى روح الحي، روح شخص أو أشخاص أحياء. وتواصل دورها في الحياة كشاهد موت وعامل حياة، إلا أنها لا يكون لها وجود مستقل، إنها تندمج في روح الشخص الحي. وفي الواقع، قد تعمل الروح الميتة بصورة منفصلة في شخص حي في بعض الحالات الاستثنائية.

كيف يحدث كل هذا؟ ما قوانين العلاقة بين الحياة والموت، الحي والميت؟ لا أعرف. لكنني أعرف أن هذه العلاقة موجودة، موجودة في حالة كالتي وصفتُها، وأدرك تمامًا أننا بمجرد أن نوجِّه انتباهنا الحي إلى هذا الطريق بدل أن نوجِّهه إلى إبسوردية الذرة يكون عالم المعرفة الحي أمامنا. عالم الحياة والموت، علينا أن نعيش وأن نموت، لا نعرف شيئًا. ونحن نضع عالم القوة والمادة في الاعتبار نكدس النظريات ونقوم بالاكتشافات الصاعقة المشؤومة للآلات والغاز السام، من دونها كلِّها نكون أفضل.

إنها الحياة علينا أن نعيشها من دون الآليات والمثاليات. لا تعني

الحياة سوى الروح الحية التلقائية، إنها المفتاح، والمفتاح الوحيد. الباقي كله مشتق منها.

كيف نستنبط أن الروح الشخصية في الحي تتأرجح حول الشمس الحقيقية في مركزيتها؟ لا أعرف لكنها تتأرجح. إنه الاستقطاب الديناميكي الخاص للروح الحية في كل عشبة أو بقة أو بهيمة، تستقطب كل واحدة بصورة شخصية منفصلة مع قطب الشمس الرئيس المقابل، الذي يحفظ الشمس حية. لذا أعتبر الشمس المركز السمبتاوي الرئيس لعالمنا غير الحي. أعتبر الشمس تتنفس في تدفق كل ما يبهت ويموت، تطير في الفضاء ذبذبات لا تحصى، إنها أساس المادة كلها، تطير، تلفظ من المائت والميت، من كل ما تمرُّ به، حتى من الحي، تمر هذه الذبذبات، هذه العناصر، في الفضاء وتلفظ للخلف مرة أخرى، الشمس ذاتها لا مرئية كالروح. الشمس ذاتها روح العالم غير الحي، إنها المفتاح الكلي للموت الحقيقي، إذا جاز التعبير. إنها القطب الرئيس النشط، قطب نشاط الموت السمبتاوي، تطير إلى الشمس الذبذبات أو الجزئيات في نموذج التعاطف الرئيس، نموذج الموت، ويتم تجديدها في الشمس، وتتحول مرة أخرى إلى منحة عظيمة، وتعود مرة أخرى من مركز الموت السمبتاوي باتّجاه الحياة، باتجّاه الحي. لكن، في الواقع، ليس الميت هو ما يدعم الشمس. إنها العلاقة الديناميكية بين الضفيرة الشمسية في الإنسان ومركز الشمس، إنها دائرة كاملة. تتكون الشمس ماديًّا من تدفق الميت. لكن سرعة الشمس تستقطب مع الحي، تستقطب سرعة الشمس في العلاقة

الديناميكية مع سرعة الحياة في كل الأشياء الحية، أي مع الضفيرة الشمسية في الإنسان. ثمة اتصال ديناميكي مباشر بين الضفيرة الشمسية والشمس.

بالمثل، كما أن الشمس القطبُ الناريُّ المنشط للعالم غير الحي، فإن القمر القطب الآخر، قطب بارد ورائع ومنشط، يناظر القطب الإرادي إلى حدٍّ ما. نعيش دائرة الشمس والقمر، الدائرة المستقطبة. يتم استقطاب القمر مع العقدة القطنية في الرجل أساسًا: يتم استقطاب الشمس والقمر ديناميكيًّا مع نسيجنا الحقيقي، إنهما يؤثران طوال الوقت على هذا النسيج.

إن القمر. كما كان، قطب إرادتنا الأرضية الخاصة، في العالم، ما الذي يحفظ الأرض وهي تدور في الفضاء؟ أولًا، الانجذاب الديناميكي الرئيس للشمس، وتوكيد الاستقلال والتفرد المتوازن الذي يستقطب في القمر. إن القمر مفتاح هوية أرضنا الفردية، في العالم الفسيح.

إن القمر مركز مغناطيسي هائل. خطأ أن نقول أنه عالم ثلجي ميت به فوهات براكين... إلخ. علي أن أقول إنه يتكون من عنصر هائل جدًّا، كالفسفور أو الراديوم، عنصر أو عناصر لها نشاط كيميائي وحركي قوي، نشاط مغناطيسي يؤثر فينا عبر الفضاء.

ليست الشمس ما نرى في السماء. نرى اندفاع الذبذبات إلى مكان بعيد واندفاعها منه، ذبذبات يزفرها الموت من جسم الحياة. وتعود مرة أخرى إلى جسم الحياة. حتى أن روحًا ميتة قد تقوم برحلتها إلى

الشمس وبالعكس، قبل أن نستقبلها مرة أخرى في ثدينا. بالضبط كما يطير النفس الذي نزفره إلى الشمس وبالعكس، قبل أن نستنشقه مرة أخرى. وكما يرتفع الماء المتبخر إلى الشمس ويعود إلى هنا. ما نراه هو الاندفاع الذهبي الرئيس إلى هناك، من زفير الموت باتجاه الشمس كغيمة من النحل تطير إلى سرب لملكة لا مرئية، تدور حولها وتتفرق مرة أخرى. هذا ما نراه من الشمس. إنها مركز غير مرئي للأبد.

وكذلك الأمر بالنسبة للقمر. يعطينا القمر ظهره للأبد. لا يعطينا وجهه كما نود أن نعتقد. القمر أيضًا يجذب الماء كما تفعل الشمس. لا يجذبه بالتبخر. يجذبه بالقوة المغناطيسية التي ندعوها الجاذبية. ليست الجاذبية بالضبط كتفاحة نيوتن البسيطة كما تعودنا أن نراها، ربما نكون أبعد عن فهم المد والجزر في المحيط مما كنا قبل أن تسقط الفاكهة من الشجرة على رأس السير إسحق. بالتأكيد لا تسقط الأشياء الصغيرة ببساطة تجاه جاذبية الأشياء الكبيرة. في جذب القمر قوة خاصة تمامًا، قوة متميزة تؤثر على المواد التي يلدها الماء والفسفور والملح والكلس. تختلف الطاقة الديناميكية للماء المالح تمامًا عن طاقة الماء العذب. وهذه الطاقة الديناميكية يطلقها البحر وتربطه بالقمر. إن القمر تخثر غريب لمواد كالملح والفسفور والصودا. إنه بالتأكيد ليس عالمًا ثلجيًّا باردًا كعالمنا البارد الميت. هراء. إنه كرة من مادة ديناميكية كالراديوم أو الفسفور تخثرت على قطب طاقة حيوي، قطب محدد، قطب الطاقة التي تستقطب مباشرة مع أرضنا، في تضاد مع الشمس.

يولد القمر من موت الأشخاص، تتبخر كل الأشياء في وحدتها واتحادها في توحد عالمي نقي وتطير كالنَفَس الزائف إلى الشمس. حتى الصخور المنهارة تزفر نفسها في هذا الموت الصخري، إلى شمس السماء في النهار.

وفي الوقت نفسه، تزفر إلى القمر في الليل. إذا فكرنا في الجسم المعترض، ما سندعوه، بتفسير أبعد من المتوقع، الشخص، فإن الضوء والظلمة كليهما سؤال اليوم الثالث. كما نعرف جميعًا، لا ضوء ولا ظلمة بعيدًا عن وجود جزئيات المادة الشخصية. لا نعرف ما إذا كان العالم من دون مادة تمامًا مضيئًا أم مظلمًا. حتى الفضاء النقي بين الشمس والقمر، الفضاء الأزرق، لا نعرف ما إذا كان في ذاته مضيئًا أم مظلمًا. يمكن القول إنه مضيء، يمكن القول إنه مظلم. لكن الضوء والظلمة أسماء نستخدمها فقط، الشخص الثالث، الوسيط، الحقيقي.

إذا فكرنا في الأمر، فإن الضوء والظلمة يعنيان فقط ما إن كنا نعطي وجهنا أم ظهرنا للشمس. إذا كان وجهنا للشمس فإننا نرسخ دائرة التعاطف الكوني أو العالمي أو المادي أو اللانهائي، هذه الصفات الأربع، الكوني والعالمي والمادي واللانهائي، قابلة للتبادل غالبًا وتُستخدم، كما نرى، بمعنى واقع الوجود غير الشخصي الذي ندعوه واقع الموت الحقيقي. إنه العالم الناتج عن موت الأشخاص. إلى هذا العالم وحده تنتمي خاصة اللا نهائي: إلى عالم الموت. ليس للأشخاص الأحياء، خاصة اللا نهائي التي تحفظها العلاقة مع مادة

الموت الكلية ومع وجود –الموت، مع الكون كله.

إن الضوء والظلمة، الأعجوبتين العظيمتين، نسبيان بالنسبة لنا. إنهما قطبا الطاقة الكونية والوجود المادي المبهمان. إنهما قطبا التعاطف الكوني المبهمان، قطب ندعوه الشمس، وقطب أبيض ندعوه القمر، قطب الإرادة الكونية. تنتمي للشمس القوى الرئيسة للحرارة والطاقة المشعّة، وينتمي للقمر القوى الرئيسة للمغناطيسية والكهربية وطاقة الراديوم، إلخ. ليست الشمس جسمًا ماديًّا بأي معنى. إنها قطب قوي لامرئي، قطب للطاقة الكونية، وما نراه جزيئات التحلل الأرضي تطير إلى هناك وتعود، كما تطير حبيبات دقيقة من الحديد إلى مغناطيس قوي، أو كما ينحرف تيار الهواء في غرفة باتجاه النار، ينجذب بنجاح مؤكد، كما تنجذب الفراشة إلى الشمعة. تنجذب الفراشة إلى الشمعة كما ينجذب تيار الهواء إلى النار، في سحر مطلق لاستقطاب النار المادي. ومرة أخرى يهرب الماء الدافئ وخلافه من النار. وكذا من الشمس.

نقول إن النار احتراق. من العجيب أن يتقدم العلم كالعرافة والخيمياء بوسائل غير مفهومة، وسائل من دون حاسة أرضية. أتوسل، ما الاحتراق؟ تستطيع أن تحاول وأن تجيب إجابة علمية حتى يسوّد وجهك. كل ما تستطيع قوله أنه ما يحدث حين ترتفع حرارة المادة إلى درجة معينة– وهكذا وهكذا. ويمكن أن تقول أيضًا إنها كلمة تحدث حين أفتح فمي وأرهق حنجرتي وأقوم بحيل مختلفة مع عضلات الحلق. كلها تفسيرات تافهة جدًّا. تصف الجهاز، وتعتقد أنها تصف الحدث.

قد يصاب الاحتراق النار، لكن النار لا تصاحب الاحتراق بالضرورة. كل أ هو ب وليس كل ب هو أ. لذا فإن النار مهما تهتز لا تماثل الاحتراق. النار، النار. ألح على الكلمة المطلقة. ربما تقول إن النار مجموع ظواهر مختلفة. أقول ليست. وبالمثل، ربما تخبرني أن الذبابة مجموع الأجنحة والأرجل الست والعينين البارزتين. للذبابة أجنحة وأرجل، وليست الأرجل والأجنحة هي التي تعتقل الذبابة بينها. الذبابة ذبابة، ويبقى مجموع الأعضاء ذبابة.

وهكذا بالنسبة للنار. النار وحدة مطلقة في ذاتها. إنها مصدر قطبي ديناميكي. رسّخ استقطابًا محددًا بين مصدر القمر ومصدر الشمس، بين الإيجابي والسلبي، أو السمبتاوي والإرادة الديناميكية في أي جزء من مادة، تنتجْ النار، تنتجْ ظاهرة الشمس. إنه توهج مفاجئ إلى نموذج واحد، نموذج الشمس، النموذج السمبتاوي المادي. وفي المقابل، رسّخْ استقطابًا مضادًا بين مصدر الشمس ومصدر الماء، يحدثْ تحلل إلى ماء أو باتجاه الذوبان المائي.

ثمة مصدران ديناميكيان مطلقان في عالمنا، مصدر الشمس ومصدر القمر. إنهما مصدران نعرفهما بالاتصال المباشر كالنار والماء. ليست الشمس نارًا. لكن مصدر النار هو مصدر الشمس. أي أن النار نزوع مفاجئ تجاه الشمس، نزوع لمادة تستقطبها الشمس فجأة. إن النار توكيد شمسي مفاجئ، إنها تحرر باتجاه قطب واحد فقط. إنها الإلهام المفاجئ لقطبية كونية واحدة. هوية واحدة.

لكن ثمة قطب آخر. يوجد القمر. ويوجد الماء، مصدر آخر

مطلق ومرئي. القمر ليس الماء. إنه روح الماء، مفتاح الماء اللامرئي.

هكذا نبدأ رؤية عالمنا المرئي قطبية مبهمة مزدوجة بين الشمس والقمر. إنهما قطبان مبهمان في الفضاء لامرئيين في نفسيهما، لكنهما مرئيان بالدائرة التي تسبح بينهما، تدور حولهما، دائرة العالم، رسخت في القطبين الكونيين، قطبي الشمس والقمر. إنه اللانهائي، اللانهائي الموجب للقطب الموجب، قطب الشمس، واللا نهائي السلبي للقطب السلبي، قطب القمر. وبين اللانهايتين يكون الوجود كله.

انتظر. الوجود، حقًّا، موضوع ينتشر بين اللا نهايتين. لكنه يحتاج إلى وجود ثالث. يتعانق مصدر الشمس ومصدر القمر عبر الدهور، لكنهما لا يستطيعان بنفسيهما أن ينشرا جزيئًا واحدًا من المادة. يحتاج البرد حُبَيْبَة من التراب لقلبه. هذا ما يفعله العالم. يقع الثالث في الوسط بين اللانهايتين، إنه أكثر من اللانهائي. إنه حياة الروح المقدسة، الحياة الفردية.

من اليسير تمامًا أن نتخيل الحياة تنتشر بين لانهايتي الكون. لكن لحظة واحدة من التوقف والسكون، لحظة من حشد الروح في المعرفة تمامًا، تخبرنا أنه زيف. كانت روح الشخص الحي تموت وتندفع في فضاء جناحي اللانهائي، قطبي الشمس والقمر. إن الشمس والقمر نتيجة الموت السرمدية، نتيجة موت الأشخاص. تولد المادة، المادة كلها، من الحياة. وما نعرفه كمادة غير فعالة تكون مجرد نتيجة لموت الأشخاص، إنها الأجسام الميتة للأشخاص تحللت وتمت تنقيتها مرة أخرى بين المطرقة والسندان، إلى نار ورمل الشمس والقمر. حين بدأ الزمان ومات أول شخص، اندفع قطبا الشمس والقمر في الفضاء، وبين

الاثنين، في اختلاط ومعركة غريبة، مُزق الجسم الميت وأُذيب ونُقّيَ ودُحرج تحت أقدام الحي. هكذا تشكل العالم، تحت أقدام الحي دائمًا.

هكذا نمتلك مفتاح الجاذبية الأرضية. إننا، الجنس البشري، جميعًا أسرة واحدة، يحترق في أجسامنا الشخصية الجوهر الإيجابي للأشياء كلها. لكن تحت أقدامنا، في أرضنا، يوجد المركز القوي لموتنا البشري، الشخصي، قبرنا. للأرض مركز واحد، نستقطب جميعًا معه. تتوازن دائرة الحياة بالروح الحية داخلنا كمركز موجب، بمركز الأرض المعتم، مركز الثبات والموت الأبدي الحقيقي، مركزنا السلبي، أسفل تمامًا، إنها دائرة وجودنا الشخصي المباشر. نقف على قبرنا، مع نار موتنا، الشمس، عن يميننا، ورطوبة موتنا، القمر، عن يسارنا.

إن مركز الأرض ليس مصادفة. إنه القطب الشخصي الرئيس للذين يموتون منا. إنه مركز أول جسم ميت. أُلقيت خلية جرثومة الموت الأولى، خلية الجرثومة على نوى الشمس والقمر الرئيسة. نستقطب كبشر إلى هذا المركز الأرضي بشكل أبدي، كالأشجار نسقط حتمًا إلى الأرض، ويغوص مفتاحنا إلى مركز الأرض، مفتاح موتنا، أهميتنا، وتطردنا الأرض كالأجنحة إلى الشمس والقمر: أو كجرثومة موت تنقسم إلى نواتين. كهذا يندفع من الأرض إشعاعنا إلى الشمس، ونار مستنقعنا إلى القمر، يندفع حين نموت.

نسقط إلى الأرض. ولم تكن يقظتنا من الأرض. بُعثنا من جوهر لا أرضي، من الحياة التي لا تشحب. تولد الأرض والشمس والقمر

من موتنا فقط. لكن اتصالها الديناميكي المستقطب مع الأحياء حفظها جميعًا في أماكنها ويجعلها تستمر في نشاطاتها. يستقر العالم غير الحي بصورة مطلقة على دائرة حياة الكائنات الحية، يُبنى على القوس الممتد بين ثنائية الوجود الحي.

❊ ❊ ❊

النوم والأحلام

يأخذنا هذا الفصل بعيدًا إلى حد ما، بالنسبة لكتاب -كلا، كتيب- عن وعي الطفل، لكنه لا يستطيع أن يبعدنا، إنه وعي الطفل، وعلينا أن ندحرج صخرة الكون العلمي بعيدًا عن مدخل قبر ذلك الوعي السجين.

أيها القارئ العزيز، لنرَ الآن أين نحن، قبل أي شيء، نكون أنفسَنا -إنها لازمة كل أغانينا، نكون أنفسنا، إننا أشخاص أحياء. إننا كأشخاص أحياء مفتاح كوننا الوحيد النقي. كان الأشخاص الأحياء مفتاح هذا الكون دائمًا منذ بدأ الزمان وسوف يبقون المفتاح دائمًا، طالما استمر الزمان.

أعرف لا توجد لعبة نارية تشبه نشوء الحياة المفاجئ من حدوث انفجار للقوة والمادة في مكان ما، في وقت ما، وبشكل ما، لكن ذلك الانفجار لم يحدث أبدًا أيها القارئ العزيز. كان الحذاء في القدم الأخرى. آمل لو أستطيع مزج قليل من المجازات الإضافية، كالانفجارات، والأقدام والأحذية، فقط لأزعجك.

أيها القارئ العزيز، لم تنشأ الحياة أبدًا، ولم تتطور من القوة والمادة، لا يوجد نشوء بأي حال. يوجد تطور فقط. كان الإنسان إنسانًا في أول بقعة بلازما حقيقية كانت أصله الشخصي، وما زالت أصله الشخصي. لا أعرف عن الأصل أكثر من هذا. أعرف فقط أنه لا يوجد سوى أصل واحد، إنه الروح الشخصية. صدر كل شيء عن الروح الشخصية، وهي نفسها من دون أصل، هكذا يكون الزمان موضوع خبرة حية ليس إلا، وتكون الأبدية مجرد حيلة عقلية. بالطبع، لكل بقعة حية، أميبا أو سمندل، روحها الشخصية.

عزيزي القارئ نجلس على كرتنا، نوضع هنا بشكل فردي. إن وجودنا الشخصي هو واقعنا الفردي. لكن الواقع الفردي لوجود الشخص يستقطب ديناميكيًّا وبصورة مباشرة مع مركز الأرض، مركز الحشد السلبي لكل الوجود الأرضي. باختصار، المركز الذي نندفع بعيدًا عنه في الحياة، وفي الموت نسقط باتجاهه؛ لأن وجودنا إيجابي فمن الضروري أن يكون لنا قطب سلبي نندفع بعيدًا عنه. حين يتحطم وجودنا الشخصي الإيجابي نسقط في الموت، يستسلم مركز جاذبيتنا الشخصية المدهشة لمركز جاذبية الأرض.

هكذا نتوازن، أشخاصًا وأفرادًا وأولاد الحياة وأحياء الحياة، ونستقطب مع ذلك طول الوقت إلى مركز حشد أرضنا الحقيقي، جوهر أرضنا، مفتاح المركز القوي.

ربما يوجد أشخاص آخرون، أحياء لهم عوالم أخرى تحت أقدامهم، يستقطبون إلى مركز كرتهم. لكن قداسة فرديتي الحقيقية

تمنعني من الكلام عنهم، على الأقل بالنسبة لي، في خاصة تنسب إليهم، تمنعني من تجاوز فرديتهم الخالصة، لا أفهمها.

مع ذلك، لو وُجد حقًّا أناس آخرون، وكان لهم عالم تحت أقدامهم، فإنني أعتقد أن من العدل أن نقول أن لنا جميعًا هوية لا نهائية في الشمس. هل تستطيع بذور الروح أن تمر من الشمس إلى العوالم المختلفة؟ هل توجد بذرة المريخ في أوردتي؟ هل علم التنجيم بلا معنى على الإطلاق؟

لكن إذا كانت الشمس مركز توحدنا اللانهائي في الموت مع كل أرواح الكون بعد الموت: نتقابل في محطة السفر الرئيسة، في الشمس، ونمتزج ونبدِّل القطارات إلى النجوم: هل من الضروري افتراض أن القمر أيضًا مكان لالتقاء الأرواح الميتة؟ القمر، بالتأكيد، مكان التقاء الأرواح الباردة والميتة والغاضبة. أرواح من كرتنا الأرضية فقط.

القمر مركز فرديتنا الدنيوية في الكون. إنه إعلان عن وجودنا المتميز. ينقذنا تراجع القمر الأبيض القوي، لولاه لتهادت الأرض تجاه الشمس. يحفظ لنا القمر فرديتنا الكونية، كشخص العالم في الفضاء. إنه مركز رهيب للانكماش والانسحاب الاحتكاكي إلى التميز. إنه يقف بعناد وظهره لنا، يرفض الالتقاء والامتزاج. إنه يحترق ويشحب بالاحتكاك القوي للانسحاب إلى الانفصال، إنها النار البيضاء المغرورة الباردة، في عزلة خبيثة تقريبًا، وصراع للانفصال الاحتكاكي الرهيب، ناره البيضاء نار احتكاكية لآخر مادة مائية قوية وغريبة تشق طريقها خارج اتحاد قذائف الشمس وتنتج عن الاحتراق.

تطير مياه عالمنا الأساسية إلى قطبية القمر الخالصة. أي مياه أساسية في مفتاح القمر مجرد طاقة قوية لا مرئية، إنها قطبية القمر.

يوجد في حياة العالم ثلاث طاقات رئيسة فقط، إنها دائمًا طاقة الشخص التي تؤرجح كل القوى الفيزيقية والطاقة الحيوية، ثم الطاقتان الديناميتان الرئيستان الشمس والقمر. تنتمي إلى دينامية الشمس الحرارة والقوى الممتدة... إلخ، تنتمي إلى دينامية القمر القوى المائية الأساسية: ليست الجاذبية فقط، لكن الكهربية والمغناطيسية وطاقة الراديوم، إلخ.

القمر قطب نشاطاتنا الليلية، والشمس قطب نشاطاتنا النهارية. تذكر أن الشمس والقمر ليسا إلا تنازلات ذاتية ألقتها الحياة الشخصية إلى اليمين وإلى اليسار. حين تموت الحياة الشخصية، تندفع على اليد اليمنى إلى الشمس، وعلى اليد اليسرى إلى القمر، في قطبية مزدوجة، وتغوص إلى الأرض. حين يموت إنسان، تنقسم روحه في الموت؛ كما انبثقت الحياة في الجرثومة الأولى من اتحاد جرثومتين. تنقسم إلى جرثومتين مبهمتين تندفعان متباعدتين: جرثومة الشمس وجرثومة القمر. ثم يغوص الجسم المادي إلى الأرض. ويكون العالم الكوني كما نعرفه.

ما العلاقة الدقيقة بيننا وبين مملكة الموت التالية التي لن نعرفها أبدًا، ومع ذلك تنشط هذه العلاقة في كل لحظة من حيواتنا. ثمة قطبية خالصة بين الحياة والموت، بين الحي والميت، بين كل شخص حي والكون الخارجي. تمر بين كل شخص حي ومركز الأرض

دائرة مغناطيسية لا تتوقف أبدًا. حين نستيقظ تقع تمامًا تحت تحكم الوعي الكلي وسحره. تحت الوعي الشخصي، الروح أو الذات. مع ذلك، حين ننام يعلق هذا الوعي الشخصي بعض الوقت ونرقد تمامًا في دائرة مغناطيسية الأرض، أو الجاذبية الأرضية، أو كلتيهما: دائرة مركزية الأرض. إنها الدائرة التي تنشط في نسيجنا وتنزع أو ترتب جسم ماضينا الميت. كلما رقدنا للنوم دخلنا جسمُ الموت، جسم ينتمي لليوم الذي انقضى. بينما ننام، ينزع جسم الموت أو يوضع في خطٍّ بواسطة نشاطات دائرة الأرض، دائرة الموت الرئيسة النشطة.

يندفع التيار في طريقه خلالنا ونحن نيام، بينما تكنس شوارع المدينة وتتوهج في الليل. يندفع في أعصابنا ودمنا، ويزيح رماد يوم وعينا المنقضي باتجاه شكل أو آخر من الإجهاد. إن تيار الأرض المندفع بنشاط خلالنا هو في الواقع نتاج لفعالية الموت في خدمة الحياة. يجب ألا نعرف شيئًا عنه. ينبه في اندفاعه ذبذبات في مركز الوعي الأولى التي تبرق تخيلات في العقل. في النوم العميق، عادة، تمر هذه التخيلات من دون تسجيل؛ لكن ونحن نقترب من بزوغ الفجر والاستيقاظ، نبدأ الاحتفاظ ببعض الانطباع، نسجل بعض تخيلات الحلم. أيضًا تكون هذه التخيلات، عادة، التي تدفع في العقل أثناء النوم، غير مترابطة وبلا معنى كقطع الورق التي يزيحها كنّاسو الشوارع من طرق المدينة في الليل ويضعونها في صندوق. لا يجب أن نفكر في أن نأخذ كل هذه الأوراق ونضمها معًا ونجعلها كتابًا ضخمًا يتنبأ بالمستقبل ويحبل بالماضي. ليس علينا أن نفعل

هذا مع أن كل مزقة من ورقة مطبوعة كُنست من الطريق يجب أن تتصل بعض الاتصال بأحداث اليوم المنقضي. لكن أهميتها، أهمية الكلمات المطبوعة فوقها ضئيلة حتى أننا ننزلها إلى أعراف الصدفة والخلو من المعنى. لا يوجد ارتباط حيوي بين القطع العديدة الممزقة من الورقة –ارتباط الصدفة فقط. لكل قطعة من الورقة مرجعية لحدث حقيقي: تذكرة أتوبيس، ظرف، كراسة دعاية، شنطة فطائر، جريدة، إعلان. لكن اجمعْها كلها معًا، تذكرة أتوبيس، ظرفًا ممزقًا، كراسة دعاية، شنطة ورقية، قطعة من جريدة، وإعلانًا، اجمعها من دون تتابع شخصي. إنها تنتمي للترتيبات الآلية أكثر من أن تكون نتيجة حيوية لوجودنا. ينطبق الكلام نفسه على معظم الأحلام. إنها بقايا مختلفة الخواص وأطراف تخيلات كنستْ معًا بالصدفة بمكنسة تيار الليل، ونحن أعظم من أن نجعل لها أهمية حقيقية. نحن دائمًا أعظم من أن نهين كمال الروح الشخصية بالتذلل والانحناء أمام الصدفة الشعثاء والتزامن الميكانيكي الرديء والحدث الآلي. إن الأحداث المهمة هي تلك التي تشتق من الروح فقط أو تستخدم من أجلها في كمال تام، إن التملق أمام حقائق التغير، كما يفعل المغامرون وقراء الحظ والجبريون، انحراف تام لأولوية تكامل كبرياء الروح، إنه تنشئة أشباح وأصنام بلهاء.

معظم الأحلام غير مهمة تمامًا، وأي اهتمام بها علامة على طبيعة ضعيفة وتافهة. أحيانًا فقط تكون ذات شأن. يحدث هذا فقط حين يهددنا أي شيء من عالم الموت، من ثم يصبح الحلم حيويًّا جدًّا حتى

يوقظ الروح الحقيقية. حين يكون الحلم قويًّا جدًّا لدرجة إيقاظ الروح -يكون الاهتمام به ضروريًّا.

قد ترى أكثر الكوابيس رعبًا لأننا نأكل فطائر محلاة في العشاء. هنا مرة أخرى يهددنا توقف التيار الميكانيكي للنظام. يصبح هذا التوقف خطيرًا جدًّا ويؤثر على الأعضاء الرئيسة: القلب والرئتين، وتؤثر هذه الأعضاء على مراكز الوعي الأساسية.

نرى الآن أن هذا هو النقيض المباشر للوعي الحي، الحقيقي. تنظم المراكز الوجدانية الأساسية، في الوعي الحي، الأعضاء الرئيسة. ويحدث العكس حين يسيطر علينا النوم. حيث تعاق الآلية التلقائية للأعضاء الرئيسة وتوقظ في النهاية مراكز الوعي الفعالة بعنف. وتبرق الأخيرة تخيلات إلى المخ.

تكرر تخيلات الكابوس كثيرًا في صورة ميكانيكية صرفة: كالسقوط المروع لأسفل، أو السجن في السراديب. وهذه التخيلات نسخ فيزيقية صرفة. تخيل السقوط، الطيران، محاولة العدو دون قدرة على رفع القدمين، الاضطرار للزحف في ممرات صغيرة مروعة، إنها نسخ مباشرة من الظواهر الفيزيقية للدورة الدموية والهضم. إنها تخيل منسوخ عن القلب مباشرة، قلب أعاقته غازات سوء الهضم، يخرج عن دائرته الراسخة، دائرة قطبية الأرض، كأنه معلق في الفراغ أو غائص فيه: خطوة خطوة يسقط أسفل الدرج، ربما نتيجة لاختناق ضربات القلب. ويحدث نفس الشيء في عدم القدرة الشَّللية على رفع القدمين حين يريد المرء أن يجري في حلم، ينتج مباشرة عن إعاقة

القلب، الذي يختلّ توازنه بإعاقة مادية. يترنح القلب الآن يمينًا ويسارًا في الدائرة الخالصة لقطبية الأرض. أوقف هذا الترنح، ادفع القلب يسارًا بانتفاخ الغاز في المعدة، أو بضغط تام على الدم والأعصاب بأي إعاقة، وسوف تشعر بعدم القدرة على رفع القدمين فوق الأرض: تشعر باللهاث. أو ادفع القلب يمينًا، وسوف تشعر بالطيران أو السقوط. يبرق القلبُ محنته إلى العقل ويوقظنا. تتعامل الروح اليقظة فورًا مع الإعاقة التي تحدث كثيرًا جدًّا لدوائر الليل الميكانيكية. ينطبق الكلام نفسه على أحلام السجن، أو الزحف في ممرات ضيقة. إنها تحولات مباشرة لضغط الدم في الشرايين أو حجرات القلب المنقبضة.

يتم حث معظم الأحلام من الدم إلى الأعصاب ومراكز الأعصاب. ويمثل القلب محطة انتقال. للدم وحدته ووعيه الخاص. إن له وعيًا عميقًا وجوهريًّا بالعالم الميكانيكي أو المادي، وعينا المادي تقريبًا. وفي النوم يتحول هذا الوعي المادي إلى الأعصاب والمخّ. ينتج عن التحول في اليقظة شعور بالألم وانزعاج -كما يحدث حين نعاني من سوء الهضم، إنه انزعاج دم صرف. وفي النوم يحدث التحول خلال تخيلات الحلم، إنها ظواهر ميكانيكية كالأوهام.

قد تروِّعنا الكوابيس التي تتكون من تخيلات ميكانيكية خالصة وتصيبنا بصدمة عظيمة، لكن الصدمة لا تدخل أرواحنا. ندهش في الصباح حين نجد فزع الليل الرهيب يبدو الآن لا شيء تمامًا -تضاءل إلى لا شيء؛ لأن الإعاقة المادية الخالصة في التيار الفيزيقي كانت مؤقتة فقط، ولا تمثل في الواقع شيئًا بالنسبة للروح الحية المتكاملة.

إننا عرضة لهذه الحوادث -إذا أكلنا فطائر محلاة في العشاء. إنها النهاية.

لكن ثمة أحلام أخرى تتوانى وتلازم الروح. إنها أحلام روح حقيقية. تتألف الحياة، كما نعرف، من تفاعلات وعلاقات متبادلة في مراكز الوعي الأولى الرئيسة. قد أبدأ سلسلة ارتباط في مركز واحد يحث، حتمًا، نشاط المركز المناظر. قد أطور، في أيام مراهقتي، حبًّا عميقًا وعاطفيًّا لأمي. يبدأ، طوعًا أو كرهًا، كل نشاط الحب الراشد في المراكز السفلية. لكننا نعترف فقط بالحب الروحي العلوي ومن ثم يستقطب الحب في المراكز العلوية ديناميكيًّا. ومع هذا، سواء اعترفنا أم لا، بمجرد ترسيخ دائرة في المراكز العلوية أو الروحية يحدث نشاط مناظر في المراكز السفلية، المراكز العاطفية للحب الراشد.

مع هذا، ننكر في النهار نشاط المركز السفلي، يكبت. ثم يحرر احتكاك تيار الليل النشاط النفسي المكبوت بشكل مدوٍّ. ثم يشوش تخيلُ صور الأم في العاطفة أحلامًا تنتزع الروح.

يشير الفرويديون إلى هذا دليلًا على رغبة زنا المحارم المكبوتة. الفرويديون بسطاء جدًّا. من الخطأ دائمًا قبول معنى الحلم من قيمته الظاهرة. إن النوم وقت نستسلم فيه للعمليات الآلية للعالم غير الحي، لنذكر هذا. إن الأحلام آلية في جوهرها. للروح تخيلات ديناميكية قليلة جدًّا. في حالة الابن الذي يحلم بأمه، لدينا جنس يقظ، ولكنه يغوص مستقلًّا في النوم، ويحدث نوعًا من الإعاقة. لدينا تخيل الأم، إنه تخيل عاطفي ديناميكي. توجد آلية عمل الحلم، فورًا، إحساس

الجنس بتخيل أصلي عظيم، وينتج حلم زنا المحارم. لكن هل يبرهن هذا على رغبة زنا محارم مكبوتة؟ بالعكس.

الحقيقة أن كل رجل، حين يستيقظ، يشعر في أعماقه بضغينة لحلمه، ورغبة عظيمة للتحرر منه، التحرر من تخيل الأم الدائم في الحلم أو تخيل الأخت. إنه هذا التخيل غول، يلازم حلمه بنتائجه البغيضة. لكنه مع هذا لا يستطيع التحرر. قد يلازم الرجل طالما عاش، في حلمه عن العاطفة أو الصراع، تخيلُ الأم أو تخيل الأخت، حتى حين يعرف أن زوجه سبب الحلم المشوش. ومع أن الزوج هو موضوع الحلم الحقيقي، يتكرر الحلم مرة أخرى لسنوات وتستمر عملية الحلم في استبدال تخيل الأم. إنه يلازم الرجل ويروِّعه.

لماذا تعمل عملية الحلم بهذه الطريقة؟ لسببين، أولًا، بسبب الاستمرارية الآلية البسيطة. كان تخيل الأم أول تخيل عاطفي رئيس عليه أن يدخل النفس. تنتج عملية الحلم ميكانيكيًّا تخيّلها الكلي حين تستيقظ عاطفة التعاطف القوي مرة أخرى. يشير تخيل الأم فقط إلى المستوى العلوي. لكن عملية الحلم ذات منطق ميكانيكي؛ لأن الأم يشير إلى التوكيد الديناميكي الرئيس للمستوى العلوي، فإنه يشير بناء على هذا إلى التوكيد الديناميكي الرئيس للمستوى السفلي. إنه جزء من منطق المشاركة الآلية. إن الروح الحية ليست آلية، ولا ينطبق عليها المنطق الآلي.

وبالنسبة للسبب الثاني للتخيل. تصبح الأم موضوع التوكيد العاطفي الرئيس لابنها، تصبح الأم أيضًا موضوع الحدة والألم والتوقف

بالنسبة لابنها. إنها توقفه عن إيجاد إشباعه الحقيقي على المستوى الحسِّيِّ. إنها الآن، دائمًا تقريبًا، موضوع التوقف الذي يؤثر، كما أثر، على النفس. من النادر جدًّا أن يكون للرجل تخيل شخص يتصل به بفعالية وحيوية. له فقط تخيلات حلم لأشخاص يعارضون، بطريقة ما، تيار حياته وحرية روحه، وهكذا تؤثر على بلازماه كموضوعات للمقاومة. بمجرد أن يمسك رجل على المستوى العلوي بأم أو أخت، يستمر تخيل الحلم للأم أو الأخت حتى يكسر في النهاية التعاطف الديناميكي بين نفسه وبين أمه. وينطبق تخيل الحلم من المستوى العلوي آليًّا على تشوش المستوى السفلي.

لأن عملية الحلم –وهذا هام جدًّا– تعشق آليتها. إنها تدفع كل شيء إلى نتيجة المنطق الآلي في النفس. لكن النفس الحية اليقظة مرنة جدًّا وحساسة. ينتابها الفزع من الآلية. وبينما تعيش الروح في الواقع، فإن رعبها الأعمق رعب من الآلية. لأن الآلية في الحياة إدراك مسبق لعملية الموت.

للروح الحية خوفها الرئيس. تخاف الروح الحية نتيجة المنطق الآلي لزنا المحارم. حيث تؤدي عملية النوم بصورة ثابتة إلى هذه النتيجة. تمارس علينا عملية الحلم، بوحشية، انتصار الآلية. وتكاد نتيجة الحلم تكون بشكل ثابت عكس رغبة الروح بالضبط، في أي حلم قلق. فهم كشّاف الأحلام الشعبي هذا، وأكد أن الأحلام يجب أن تقرأ في اتجاه عكسي. حلم العرس، يعني جنازة. تمنَّ رؤية صديقك بخير واخشَ موته، وستحلم بجنازته، لكل رغبة رعب مناظر من عدم

إشباعها. يشكل الخوف نقطة توقف في النفس، ومن ثم يشكل تخيلًا. هكذا ينتج الحلم آليًّا تخيل الخوف وكأنه تخيل رغبة. إذا تمنيت سرًّا موت عدوك، وخشيت من ازدهاره، سيمثله لك الحلم في عرسه.

بالطبع، قاعدة القلب بسيطة جدًّا، ولا يمكن أن تكون صحيحة في كل الحالات. مع هذا فهي واحدة من أكثر القواعد العامة شيوعًا بالنسبة للأحلام، وتنطبق غالبًا على أحلام الرغبة والخوف في الطبيعة النفسية.

وهكذا، لا يجب أن يبرهن حلم زنا المحارم على رغبة زنا المحارم في الروح الحية. إنه يبرهن على العكس إلى حدٍّ ما، على خوف الحي من النتيجة الآلية: بالضبط، على رعب الروح من الآلية. وقد يصح هذا كالفتوى، وأعتقد أنه يفسر قدرًا كبيرًا من حيلة الحلم. ما تحبه العملية الآلية تكرهه الروح التلقائية. تخشى الروح الحيةُ اليقظة الآلية كما تخشى الموت: الموت آلي.

يبدو لي أن هذين هما أول وأهم مصدرين للحلم: مصدر الآلية، ومصدر القلب. لن يحلَّا لنا كل شيء، لكنهما يساعدان في التعامل الرئيس. يجب أن نكون حذرين جدًّا من الاستسلام للأحلام. إنها في الواقع خطيئة ضد أنفسنا حين نعهِّر الروح التلقائية الحية باستبداد الأحلام أو الصدفة أو الحظ أو النصيب، أو أي من عمليات المجال الآلي.

نهتم بعد ذلك بأحلام ديناميكية أخرى. أولًا، تخيل الحلم عمومًا. إن أي تخيل حلم ذي معنى، عادة، تخيل أو رمز لتوقف أو

قمع في النفس التلقائية الحية. ثمة مصدر آخر. وإذا كان التخيل رمزًا، فإن الطريق الوحيد الآمن لتفسير الرمز هو الانطلاق من طبيعة العاطفة المرتبطة بالرمز.

مثلًا، رجل ينتابه حلم خوف عاطفي دائم عن الخيول. فجأة يجد نفسه بين خيول ضخمة الأجسام، وقد تجمح فجأة. تندفع أجسامها الضخمة حوله بجنون، تشب فوقه، تهدده بالتدمير. قد تسحقه بأقدامها في أي لحظة.

الآن، قد يخبرنا محلل نفسي بطريقة ارتجالية أنه حلم عن عقدة الأب. يبدو أن علينا أن نضع بعض الرموز في قائمة العقد. لكن هذا كله اعتباطي جدًّا.

باختبار المرجع العاطفي نجد أن الشعور حسي، ثمة انطباع رئيس عن القوة، الأجسام الفيزيقية الجميلة للخيول، الاقتراب، الأفخاذ المدورة، الدوس. هل عاطفة الحصان الديناميكية انفعال خطر؟ إنها تفاعل حسي رئيس في العقدة العجزية، تفاعل إرادة سائدة، حسية، قوية. يشب الحصان ويرفس ويصهل بجنون بواسطة العقدة العجزية القوية الحادة. لكن نشاط العقدة العجزية الحاد نشاط ذكورة: تكون العقدة العجزية في قمة حدتها في الذكر. هكذا يشير حلم الحصان إلى توقف في النشاط الحسي الأعمق في الذكر. يمثل الحصان موضوعًا للرعب وهذا ما يعنيه بالنسبة لروح الحلم الآلية في الرجل، الروح التي تعشق الآلية، ويمثل نشاط الذكورة الحسي الرئيس التهديد الأعظم. تحب الروح الآلية الزائفة التي كبح جوهرها الحسي، تحب أن تحتفظ به مكبوحًا. وحيث

إن الرغبة العظمى للروح التلقائية الحية هي جوهر الذكورة الحسي، ممثلًا في التهديد، فهل تنجز حقيقة في الحياة. تحنُّ الذات التلقائية سرًّا للتحرر وإشباع الجوهر الحسي الأعمق والأقوى. قد يوجد عنصر من عقدة الأب. قد يشير الحصان أيضًا للوجود الحسي القوي في الأب. قد يعني الحلم عشق الحالم للذكر الحسي الذي هو أبوه. لكن ليس للحلم علاقة بزنا المحارم. العشق قد يكون مجرد عشق.

إن حلم الثور عكس حلم الحصان بشكل غريب. تكمن مراكز القوة في الثور في الثدي والكتفين. قرنا الرأس رمزان للقوة الهائلة في الذات العليا. إن خوف المرأة من الثور هلع عظيم يصيب المراكز الديناميكية العليا في الإنسان. يمثل قرنا الثور قوة المراكز العليا الهائلة، بدل أن يكونا قضيبين. تُفتن المرأة –معظم ديناميتها الإيجابية في الثدي والكتفين– بالثور. يعود خوفها في الحلم من الثور وقرنيه اللذين قد يصطدمان بها إلى أهمية الرغبة في الاتصال ليس بواسطة المراكز السفلى، الذات الحسية، لكن بواسطة المراكز الفيزيقية الحادة في الجسم العلوي: يستقطب القضيب بواسطة المراكز العليا، ويوجه إلى مركز الثدي الرئيس في المرأة. إن رعبها المستيقظ هو هلع مركز الثدي والكتف الرئيس، إنه الغيظ والقوة العلويان في الإنسان، قد يخترقان ذاتها السفلي التي لا حماية لها. إن الهلع والرغبة قريبان– وينسجمان مع الإعجاب بأعضاء الثور الجنسية النحيلة المجردة.

قد تحدث مخاوف الأحلام الأخرى، أو انطباعات الحلم القوية، من دون تخيل تقريبًا. قد تكون هلعًا هائلًا من شكل هندسي خالص،

مثلًا –من شكل هندسي تجريدي أو مثال من الرياضيات التجريدية. وقد تكون من دون تخيل، لكن مجرد إحساس بالشم، أو اللون أو الصوت.

إنها مخاوف أحلام الروح التي تتخلى عن تكامل النموذج الميكانيكي الخالص في الإنسان. إذا تأملنا أنفسنا بما يكفي، نرى أن المراكز التلقائية تعمل في النهاية فقط، أو فقط تقريبًا، في النموذج الميكانيكي. ليست لها علاقة ديناميكية مع وجود آخر. ولا يمكن أن يكون لها. تُقمع كل قوتها على القيام بعلاقة ديناميكية. تعمل الآن بالرجوع تمامًا إلى العالم الميكانيكي، عالم القوة والمادة، الإحساس والقانون. يحدث هذا في الإحساس بنشاط الحلم أو تجريده. يوجد القانون أو الحساب المجرد كتخيل مسيطر أو مانع. قد يوجد في الحلم إحساس بالإعجاب أو البهجة. الخوف هو الإحساس الذي يوقظنا، لأن الروح تخشى قبل كل شيء سقوطها من التكامل الشخصي إلى نشاط العالم الخارجي الميكانيكي، عالم الموت الآلي.

إنه الخطر الذي يهددنا اليوم. نميل بمثاليتنا المدروسة أو الهدف المادي المدروس لتحطيم الروح، تحطيم طبيعتها التلقائية الأولى، وجودها المتكامل، ونستبدل بها الطبيعة الثانية، طبيعة العالم الميكانيكي الآلية. لهذا نسهر حتى وقت متأخر من الليل، نستيقظ متأخرين في الصباح.

سيئ دائمًا أن نسهر إلى وقت متأخر من الليل. لنكن مثاليين بقدر ما نستطيع، لكن النموذج الطبيعي فينا يتغير حين تغرب الشمس. يغير

العقل نشاطه. يسقط العقل في الطور الثاني من نشاطه حين تصبح الروح سلبية بالتدريج، وقبل أن تتخلى عن سيطرتها. يجمع نتائج اليوم المنقضي في الوعي، يستسلم لشَهْد التفكير الهادئ، أو الشهد المر الحلو للزهو المجتمع. إنه وعي ما مضى. المساء وقت مناسب لقراءة التاريخ والأعمال التراجيدية والرومانسية -تنطق بما مضى، بما انقضى، بما انتهى، ونستنتج: نستنتج إما بعذوبة أو بمرارة. المساء وقت لهذا.

لكن المساء أيضًا وقت العربدة والشرب والعاطفة. يدخل الكحول إلى الدم ويعمل كأشعة الشمس. يشتعل حياة، ويتحرر إلى طاقة ووعي. لكن بعملية احتراق. إنها حياة اليوم الذي لم نعشْه، وبواسطة الشمس الناتجة عن الكحول نستطيع الآن أن نتوهج إلى إحساس ووعي وعاطفة تبقى حية خلالها. إنه تحرر من قوانين المثالية وإعفاء من قيد الضبط والخوف. إنه دم يندفع إلى وعي. لكن قد يتجه سياق الوعي المحرر في أي اتجاه: عمل عقلي أكثر حدة، توهج أعظم للعاطفة الروحية، أو حسية أعمق. لم يعد الاتجاه الأخير مألوفًا في هذه الأيام.

إن وعي العقل النشط في المساء شكل من استعادة الأحداث الماضية، أو بصورة أخرى شكل من التعجب المندفع يوجهه الدم بلا توازن، ولأن الوعي الفيزيقي النشط في الليل وعي دم، فهو أكثر أشكال الوعي جوهرية. قد تكون الرؤية أعلى أشكال وعينا العلوي الديناميكي. لكن وعينا السفلي الأعمق وعي دم.

حين يستيقظ الدم في حدته الليلية يسيطر على مراكز الوعي

السفلية الديناميكية، ويشتعل أولًا بصورة طبيعية أسفل المراكز الديناميكية. يحول صوته وناره إلى الضفيرة الخثلية التي تحكم تدفق البول بداخلنا بمساعدة العقدة العجزية، وتعبر أيضًا عن تمايل الدم في شهوة الجنس. الجنس أعمق أشكال وعينا. ليس مثاليًّا تمامًا، ليس عقليًّا. إنه وعي دم خالص. إنه وعي الدم الأساسي، أقرب ما فينا إلى الوعي المادي الخالص. إنه وعي الليل، حين تكون الروح نائمة تقريبًا.

إن وعي الدم أول معرفة الروح الحية، وآخرها: الأعماق. تعمل الروح جزئيًّا فقط، تتكلم بنصف صوتها الأجشّ الأول. لا يستطيع وعي الدم أن يعمل بنقاء حتى تؤجل الروح درجات الوعي العلوي المختلفة وأشكاله. حين تسقط الذات للخلف في هدوء. تسحب نفسها من المخ ومن مراكز الأعصاب الرئيسة إلى الدم حيث تنام في النهاية. لكنها تطلق صيحتها الرئيسة وهي تنسحب وتغلف نفسها بحيوية في الدم، في ساعة الظلمة والقوة. حتى الدم يكون وحيدًا وجزئيًّا ويحتاج إلى رد. ينقسم الدم، كمياه البحر الأحمر، في قطبية مزدوجة بين الجنسين، حين يحل الليل ويغوص الوعي إلى الأعمق، نسمع الدم فجأة يصيح بصوت أجشّ. تستيقظ فجأة مراكز الوعي الجنسي العميقة وتمارس نشاطها التلقائي. توجد فجأة دائرة عميقة راسخة بيني وبين المرأة. يرتفع فجأة بحر دمي ويندفع إلى بحر دمها. توجد لحظة أزمة اتصال احتكاكي خالص من الدم. ثم ينحسر الدم في أعماقي للخلف في طرقه، يتحوّل الدم ويتبدل. إنه أساس تجددي العميق، تجدد دمي العميق.

لا علاقة له بالوجوه الجميلة أو الجلد الأبيض أو الأثداء الوردية أو بقية زخارف الحب الجنسي. تنتمي هذه الزخارف للنهار. ليس للعينين أو اليدين أو الفم أي علاقة بالتصادم النهائي الهائل والمبهم في الدم في أزمة الجنس حين يمر بريق غريب من التحول الكهربائي في دم الرجل ودم المرأة، يسقطان متباعدين، ويناميان في تحولهما.

لكن حتى في أعمق حركات الروح وأكثرها جوهرية تبقى شخصية، تبقى متكاملة وشخصية حتى في أكثر وعيها مادية. تستطيع أن تعتقد أن تيار الدم الرئيس في الجنس البشري كان واحدًا ومتجانسًا. إنه في الواقع أقرب لأن يكون واحدًا، أقرب إلى التجانس، أكثر من أي شيء آخر بداخلنا. إن تيار الدم في الجنس البشري متجانس تقريبًا.

لكنه ليس متجانسًا. إنه، أولًا، مزدوج في قطبية ديناميكية مبهمة وكاملة، القطبية الجنسية. لا فرار من حقيقة أنّ دم المرأة يستقطب ديناميكيًّا في تضاد أو اختلاف مع دم الرجل. إن أزمة اتصالهما في ارتباط الجنس لحظةُ رسوخ لدائرة براقة جديدة في البحر كله: تهتز المياه المبهمة، الحمراء المحرقة، مياه عالم الرذيلة، في إيقاع ديناميكي جديد في كل منا. وثانيًا، إن دم الشخص هو دمه. أي أنه شخصي. ومع هذا، لدينا، نحن الرجال، ارتباط جنسي ديناميكي محتمل مع كل امرأة تقريبًا، وبالإضافة إلى هذه الحقيقة الرئيسة البارزة للشخصية، حتى الدم يجعلنا نحتاج إلى شخصية مناظرة في المرأة التي علينا أن نعانقها. كلما كان الرجل أو المرأة أكثر تفردًا كان عدم الرضا من الارتباط غير الشخصي أكثر: من الاختلاط الجنسي. كلما كنا أكثر

تفردًا، كلما صرخ دمنا أكثر طلبًا لإجابته الخاصة، لامرأة متفردة، لدم مستقطب معنا.

وقعنا مرة أخرى في خطأ المثالية. اعتقادنا أن امرأة تفكر وتتحدث مثلنا ستكون إجابة الدم. ندفعها لتكون إجابة الدم. إلى كارثتنا. من المؤكد تقريبًا أن المرأة التي تفكر وتتحدث مثلنا لا يكون لها استقطاب دم ديناميكي معنا. يتمنى استقطاب الدم الديناميكي أن تكون مختلفة عني، لا تشبهني في نموذج تفكيرها. إن تعاطف الدم أعمق بكثير من نموذج التفكير الذي قد ينتج في تعبير لفظي مختلف تمامًا.

أخطأنا في تحويل الحياة من الداخل للخارج: في جرّ ذات النهار إلى الليل، ونشر ذات الليل في النهار. في النهار جعلنا الحب والجنس موضوع رؤية وسمع ومعالجة واعية. جعلنا الرجال والنساء يتعاملون معًا على أرضية هذا التشابه والمشترك السطحي -وعيهم العقلي والسمبتاوي العلوي. هكذا دفعنا الدم للخضوع. أي أننا ندفعه للتفسخ.

نضيء في الليل ضوءًا كثيرًا جدًّا، وفي النهار ننام كثيرًا. إن إيغالنا البعيد، كما نفعل، في الليل، بالوعي العقلي والبصري والمثالي عمل شيطاني بالنسبة لنا، إن الليل ساعة مناسبة ليشحب هذا الوعي العلوي، ساعة مناسبة ليعرف الدم فقط ويعمل. نحطم الدم الحقيقي في أجسادنا باستثارة تفاعل توكيد الدم الرئيس، تفاعل الجنس، من الوعي العلوي العقلي، الخارجي، ومن الدعارة العقلية للهدف الواعي. نمنعه من أن يكون له تمايله الديناميكي. نمنعه من الوصول

إلى أزمته وارتباطه الديناميكيين، ومن العثور على وجوده الأساسي. لا قضية في كيف ندير جنسنا، لا ننجز بالوعي العلوي أو الخارجي سوى زيف وإفقار حياة دمنا. لا اختيار لنا. إما أن ننسحب من التدخل بالضرورة، أو نتدهور ببطء.

وقعنا بالنوم نهارًا في خطأ مناظر. بمجرد شروق الشمس يتغير تركيبنا. بمجرد ارتفاع الشمس، لا يكون نومنا- بافتراض أن حياتنا طبيعية تمامًا- نومًا حقيقيًّا. حين تنمو الشمس، تستيقظ مراكز الوعي العلوي الديناميكي النشط. يغير الدم ذبذباته، وحتى تركيبه الكيميائي. من الأفضل تمامًا أن نستيقظ. نحطم أنفسنا تحطيمًا هائلًا بالنوم ساعات طويلة في النهار. إن النوم لنصف ساعة بعد وجبة منتصف النهار إعادة تعديل. لكن النوم لساعات طويلة في الصباح مجرد تدمير. نخضع الآن مراكز وعينا العلوي النشطة لسيطرة تدفق الدم الآلي. نكبل أنفسنا بالنوم صباحًا، نحول قوة الدم الصباحية إلى أحلام زائفة وقوة إحباط متزايدة وبشكل طبيعي في خط الإحباط نفسه من سيئ إلى أسوأ.

نتيجة لقيدنا، تتحطم مراكز الأعصاب النشطة نصف تحطم قبل أن نستيقظ. لن نعي أبدًا في النهار بصورة جديدة لأننا عرضنا مراكز وعينا النهاري القوية للدوس والفقد في أحلام وإحباط بالتدفق الثقيل لآلية الدم في النوم الصباحي. ثم نستيقظ ونحن نشعر برتابة الحياة وآليتها. لا تتجدد الحيوية بصورة جيدة ومبهجة. نشعر بالتعب ونبدأ به. هكذا نمدُّ وعينا النهاري بالليل، حين نفعل نستيقظ في النهاية،

ونخبر أنفسنا أن من الضروري أن ننام. ننام في الصباح ووقت النهار. من الأفضل أن تنام ست ساعات فقط عن أن تطيل النوم وتطيله حين تشرق الشمس. يجب دفع كل رجل وامرأة من السرير بعد شروق الشمس فورًا: خاصة العصبيين. يجب دفعه إلى النشاط الجسدي. على الغالبية العظمى من الناس أن يعملوا بصلابة بعد بزوغ الشمس مباشرة. إذا لم يعملوا، فسوف يمرضون فورًا بشكل عصبي.

❊ ❊ ❊

الذات السفلى

إن القمر كوكب ليالينا، كما أن الشمس كوكب نهاراتنا. وهذا ليس مجرد صدفة أو حتى تقسيمًا ميكانيكيًّا. إن تأثير القمر على الروابط وعلينا ليس ظاهرة من ظواهر الصدفة. إنه نتيجة خلق العالم بالحياة ذاتها. ألقت الحياةُ ذاتها بالقمر بعيدًا على إحدى اليدين، وبالشمس على اليد الأخرى. وتحفظ الحياةُ ذاتها العلاقة الديناميكية الحيوية ثابتة بين القمر والأشخاص الأحياء على الكرة الأرضية ويعتمد القمر على حياة الأشخاص في استمرار وجوده، كما يعتمد كل شخص بمفرده على القمر.

وبالمثل مع الشمس. تجلس الشمس بقطبيتها الكاملة في دائرة الحياة الراسخة بينها وبين الأشخاص الأحياء كلهم. حطّمْ هذه الدائرة تتحطمْ الشمس، من دون بشر وبهائم وفراشات وأشجار وضفادع تلقى الشمس في البالوعات كمصباح مستهلك. يغذي انبعاث الحياة من الأشخاص احتراقها ويرسخ قلب الشمس في التوازن القوي.

وبالمثل مع القمر. إنه يعيش بنا أساسًا. ونعيش به. إن كل شيء موضوع نسبي. ليست القوة فقط نسبية بالنسبة للقوة أو القوى الأخرى، لكن كل وجود نسبي بالنسبة للوجود الآخر. لا تعتمد حياة الإنسان على الإنسان والبهيمة والعشب فقط، لكن على الشمس والقمر والنجوم. وبتعبير آخر، يعتمد وجود القمر تمامًا على حياة العشب والبهيمة والإنسان، يعتمد وجود القمر على حياة الأشخاص، فقط هي الأصل. ومن دون حياة الأشخاص يسقط القمر إربًا. القمر خاصة لأنه مُسْتَقْطَب ديناميكيًّا إلى أرضنا. لا نعرف ما يتنفس بعيدًا عن الحياة بين النجوم والشمس. لكن حياتنا وحدها تدعم القمر، بالضبط لأن القمر قطب شخصيتنا الأرضية الفردية.

لذا علينا أن نعرف أن بين القمر وكل وجود شخصي تدفقًا ديناميكيًّا حيويًّا. تعتمد حياة الأشخاص على القمر مباشرة، بالضبط كما يعتمد القمر على حياة الأشخاص مباشرة.

لكن في أي صورة تعتمد حياة الأشخاص على القمر مباشرة.

القمر أبو الظلام. مفتاح الظلام النشط. ولنا تحت الخصر وجود في الظلام. نحن بلا بصر تحت الخصر. حين تستقطب حياتنا إلى أعلى في النهار، تجاه عيون الشمس المفتوحة واليقظة والعقل الذي يرى بالبصر، وتعمل مراكز الجسم السفلى الديناميكية القوية في خنوع، في قطبيتها السالبة. ونتدفق إلى أعلى، ننطلق بحثًا عن العالم، في رؤية وكلام وتفكير –ننطلق لنرى الأشياء كلها، نسمع الأشياء كلها، نعرف الأشياء كلها بالاطلاع والمعرفة. إننا أحد فيضانات التدفق الديناميكي، نستقطب إلى

أعلى بطولنا، وتبحث روحنا واسعة العين لتأتي بالعالم كله إلى مجال شخصيتنا الواعية، وتتلهف دائمًا لصناعة عوالم جديدة خارج هذا العالم القديم، حتى تبرعم أطراف خضراء جديدة على شجرة الحياة. بالضبط كما تموت شجرة إذا لم تبرعم أطراف خضراء جديدة على كل عالم جسمها القديم المتسع، وهكذا قد يفنى العالم إذا لم يصدر دائمًا جديد عن الإنسان والبهيمة والعشب: تأخذ الضفدعة لونًا أكثر حيوية، وتبسط يديها بشكل أكثر تهذيبًا، وتطور ذكاء أكثر حيلة، تضيف الطيور نغمة جديدة في كلامها وغنائها، وانحرافًا حادًّا في طيرانها، وأناقة جديدة في أعشاشها، ويصنع الإنسان عوالم جديدة، حضارات جديدة. إذا لم يقع الكفاح لخلق جديد على مسؤولية الأشخاص الأحياء، يموت العالم تدريجيًّا، تدريجيًّا، ويسقط إربًا. كشجرة تكفُّ عن برعمة أطراف خضراء جديدة، وعن الامتداد للخارج بعض الشيء.

لكن كل طرف جديد ينمو من الطرف القديم الذي يسبقه ويبدو ميتًا. يجب أن تموت الأوراق القديمة، يجب أن تموت الأشكال القديمة. وإذا كان من الضروري أن يسقط الرجال في فترات معينة في الموت بالملايين، لماذا لا يكون من الضروري أن تسقط الأوراق كل خريف. الأوراق الميتة تراب جديد، والرجال الأموات. حتى أرواح الرجال الميتة.

وهكذا إذا كان على الموت أن يكون هدفًا لعدد كبير، فليكن، إذا كان من الضروري أن تصنع أمريكا هذا الغاز السام، دعْها. حين يكون الموت هدف أهدافنا سنخترع وسائل للموت، دع مهنيينا في النزوع الخير كما يشاءون.

لكن يبدو لي في هذا الوقت أن علينا أن نحمل أنفسنا بوعي ومسؤولية في فترة الشتاء، فترة الموت والعُرْي: أي على بعضنا، أو حتى على أمة. لأنه لا يوجد الآن كما كان في عصور الرومان أي ذخائر للحياة الهمجية الفعالة، القوطيون، الغاليون، الألمان، السلافيون، التتار، العالم ممتلئ بالبشر، والجميع ثابتون في حضاراتهم، ولدى الجميع كل رذائلنا وكل ميكانيزماتنا، وكل وسائلنا التدميرية. في هذا الوقت لا تستطيع الحضارة الرائدة أن تنقرض كما ماتت حضارة الإغريق وروما وفارس. ربما تعاني انهيارًا عظيمًا. لكنها يجب أن تحمل في الانهيار كله المفتاح الحي للحضارة القادمة. لا يوجد تفكير طيب يمكن أن نتركه للصين أو اليابان أو الهند أو أفريقيا –أو أي من الحشود الكبيرة.

ونحن هنا، لا يبدو أننا نتوق لإنجاز عهد جديد. ماذا نلنا مما سينجز؟ إن الجنون الأخير هو النظرية النسبية لمستر آينشتين. يقبض كل إنسان بفضول على النار في كلمة النسبية. يجب أن يوجد شيء في مجرد الإيحاء الذي انتظرناه. لكن ماذا؟ بقدر ما أستطيع أن أرى، تعني النسبية للعقل الهاوي العام أنه لا توجد قوة واحدة مطلقة في العالم الفيزيقي يمكن أن تنسب إليها كل القوى الأخرى. لا يوجد مصدر مركزي واحد مطلق يحكم العالم. يمكن معرفة القوى الكونية الرئيسة أو المصادر الديناميكية فقط في علاقتها ببعضها، ويمكن أن توجد فقط في علاقتها ببعضها. لكن آينشتين يقول: إن هذه العلاقة بين القوى الميكانيكية ثابتة، ويمكن التعبير عنها في صيغة رياضية:

قد تستخدم هذه الصيغة الرياضية لمعادلة كل القوى الميكانيكية في العالم.

آمل أن يكون كل ما ليس علميًّا خطأ. هذا ما أفهمه من نظرية آينشتين. ما أشك فيه هو صيغة المعادلة. يبدو لي أيضًا أن سرعة الضوء في الفضاء هي الـ *deus ex machina* في فيزياء آينشتين. سيضع شخص ما في يوم ما الملح على ذيل الضوء وهو يسافر عبر الفضاء، وستسقط الصيغة النسبية بين فكي الكماشة. لكنني دخيل واثق، لذا سأمسك لساني.

كل ما أعرفه أن الناس وضعوا كلمة النسبية في رؤوسهم وأن الشعارات تشير دائمًا إلى فكرة كامنة أو مفهوم في العقل الشعبي. يعطل أحد اليهود آخر مسمار مركز في عالمنا الدوار بصورة مثالية. لقرون، يصنع الذكاء اليهودي ثقوبًا في نظامنا المثالي– العلمي والاجتماعي. إنه أمر طيب جدًّا بالنسبة لنا. يسعدنا الآن أن نقول أن مستر آينشتين اقتلع مسمار المحور الحقيقي. على الأقل هذا ما يفهمه العقل العامي. لا تدخل صيغة المعادلة في الحسبان. هكذا يستطيع العالم الآن، تبعًا للعقل الشعبي، أن يتمايل تقريبًا من دون أن يثبت إلى أسفل. إنها نتيجة فوضوية في الواقع. لكن العقل اليهودي يقودنا على نحو مغرٍ إلى نتائج فوضوية. نسعد بالانقياد بعيدًا عن الاستقرارات الآلية الزائفة، بأي شكل. بمجرد أن ننقاد انقيادًا صحيحًا إلى العدمية قد نجد طريقًا خلالها.

هكذا لم يُترك شيء مطلق في العالم، لا شيء. يقول لورد هالدن إن المعرفة الخالصة مطلقة، لا شك، بقدر ما تمضي. لكن المعرفة

الخالصة مجرد جزء ضئيل من العالم، ودائمًا نسبية بالنسبة للشيء المعروف وللعارف.

أشعر أنا نفسي بميل إلى النسبية. أعتقد أنه لا يوجد مصدر واحد مطلق في العالم. أعتقد أن كل شيء نسبي. لكنني أشعر أيضًا، بقوة أكبر، أن كلَّ كائن حي فرد مطلقٌ في ذاته، في كينونته. وأن كل الأشياء في العالم نسبية بالنسبة للكائن الحي الفرد. وأن الكائنات الحية الفردية كل منها نسبي بالنسبة للآخر.

ماذا عن الهدف؟ لا يوجد هدف نهائي. لكل خطوة هدف نسبي صغير. وبعد، ماذا عن الخطوة التالية؟

حسنًا. الهدف الأول والأهم أن يحقق كل كائن فرد اكتماله الشخصي والخاص من الوجود- لطيف جدًّا، جميل جدًّا- لكن كيف؟ حسنًا، في علاقة ديناميكية حية مع الكائنات الأخرى -لطيف جدًّا مرة أخرى، نعوت بسيطة وجميلة، لكن أي نوع من العلاقات الديناميكية الحية؟ -حسنًا- ليست علاقة العشق، أو الأخوة أو المساواة، إنها شيء واحد. يجب أن تكون العلاقة التالية علاقة رجال برجال في روح الحقيقة والمسؤولية التي لا يسبر غورها، علاقة خدمة وقيادة، طاعة وسلطة خالصة. على الرجال اختيار قادتهم، وطاعتهم حتى الموت. ويجب أن يوجد نظام أرستقراطية الذروة، تدرج المجتمع كالهرم إلى القائد الأسمى.

يصوّت كل منا في لحظة صواتًا كريهًا جدًّا. لكن نستطيع أن نجد نظامنا الجديد بالرغم من كل الدروس الحيوية التي تعلمناها في عهد

العشق والروح والديموقراطية.

أردنا أن نكون جميعًا من النوع نفسه. ولم نستطع النجاح. بالضبط لأننا لسنا من النوع نفسه. لسنا جميعًا من النوع نفسه. أردنا في البداية ألا نمتلك سوى ذوات نهارية لطيفة، لطيفة جدًّا وودية ومهذبة. لكنها لم تعمل. لأننا، سواء أردنا أم لا، أخذنا ذواتٍ لليل. وأكثر النساء روحانية تلد وتعمل دائمًا لإنجاز وظائفها الطبيعية بالضبط كأي شخص آخر. يجب أن نبقى دائمًا على الخط مع هذه الحقيقة.

حسنًا، بعد ذلك لنا ذوات ليلية. إن الذات الليلية الأساسُ الحقيقي للذات النهارية. إن وعي الدم وعاطفة الدم مصدرنا وأصلنا الحقيقيان. لا نستطيع أن نلازم المصدر. لكن علينا أن نبدأ من المصدر كلَّ يومٍ جديد على حدة. يجب أن نستيقظ يوميًّا من بحر الدم المظلم.

حين تذهب للنوم في الليل، عليك أن تقول: «هنا يموت الرجل الذي هو أنا وأعرف أنه ذاتي»، وحين تستيقظ في الصباح عليك أن تقول: «هنا تستيقظ كمية غير معلومة لكنها ذاتي».

ينادي الدم بصوت أجشّ: الذات التي تستيقظ عارية كل صباح من نوم العاطفة المبهم هي نواة المجتمع التالي. ويجب أن يكون استقطاب الدم العاطفي في الشخص تجاه الحياة وتجاه القائد استقطابًا ديناميكيًّا للحضارة التالية. إن حنين الروح العاطفي الحاد باتجاه روح الشخص الأقوى والأعظم، واعتقاد الدم العاطفي في إشباع هذا الحنين سيمنح الرجال الحافز التالي للحياة.

علينا أن نغوص في الظلام بوعي الدم الأساسي. وننهض منه مرة أخرى. لكن لا يوجد استيقاظ حتى يتم حمام الظلام والانطفاء.

علينا أن نفعل ما نفعله كوحدات اجتماعية، كرجال حضاريين، ككائنات فيزيقية. يوميًّا تشرق الشمس في السماء ويسقط الظلام، ويوميًّا حين يحدث هذا، تتحول رابطة الحياة فينا. ترتد وتتدفق إلى أسفل بدل التدفق إلى أعلى وإلى الخارج باتجاه الوعي والنشاط العقليين. ترتد إلى أسفل باتجاه عمليات الهضم، إلى أسفل أكثر، إلى الروابط الجنسية الرئيسة، أسفل إلى النوم.

تتقهقر الروح، للخلف من حياة اليوم الخارجية، للخلف إلى الأصول. وهكذا تقضي ساعتها في أولى المحطات الحسية الرئيسة، في الضفيرة الشمسية والعقدة القطنية. لكن الرابطة تنحسر إلى ظلام الجنس العاطفي الهائل، اللا إنساني تقريبًا، إلى حدّة الضفيرة الخثلية الغريبة التي تشبه القمر، وإلى الضفيرة العجزية، ثم إلى العميق، الأعمق، وتمر بآخر محطات النفس الرئيسة الأكثر غموضًا، إلى مركز الأرض. ثم ننام.

إن القمر محول الرابطة. القمر هو القطب الكوني العظيم الذي يدعونا للخلف، للخلف خارج ذات يومنا، للخلف في ظلام المستويات الحسية المضاءة بنور القمر، إلى النوم. يؤرجح القمر دمنا، ويؤرجحنا للخلف إلى انطفاء الدم. وبينما تتقهقر الروح إلى بحر ظلامها، يتمتع العقل، خطوة خطوة، بالوعي العقلي الذي ينتمي لهذا التقهقر للأعماق الحسية، ثم ينطفئ. ينام.

هكذا نتحلل إلى عناصرنا. نتلاشى للخلف، من دون الوعي العلوي والعقل والبصر والكلام، للخلف، أسفل إلى وعي الظلام المتأرجح، العميق والهائل، إلى الدم الحي. وفي آخر ساعة من الجنس لا أكون سوى موجة قوية من الدم المندفع، يبحث ويموج ويرتبط مع البحر الملائم في الشخص الآخر. حين يندفع في تلك الساعة بحر دم الشخص الذي هو أنا ويجد اتصاله الخاص مع بحر دم شخص آخر، المرأة في تلك الساعة، يدخل كل منا في كلية لانهائيتنا الأعمق، في امتلاء وجودنا العميق، في محيط توحدنا ووعينا.

يتم هذا تحت سحر القمر، وأفروديت التي ولدت من البحر، الأم والإلهات المتهورات. تحولتُ من ذاتي النهارية المشمسة إلى هذه الذات الأخرى المروعة، حيث لا تنقذني المعرفة، حيث يجب أن أطيع كما يطيع البحر روابطه. ومهما ذهبتُ، أعرف أنني ذاتيْ طول الوقت، في ذهابي.

إنها ازدواجية كينونة نهاري وليلي: ازدواجية مرة جدًّا بالنسبة لمراهق. لأن المراهق يفكر في ليله بخجل ورعب. يتمنى ألا تكون له ذات ليلية. لكنه مولوخ[1] *Moloch* ولا يستطيع الفرار منه.

تولد الشجرة من جذورها وأوراقها. وتولد من نهاراتنا ولياليا. من دون التكامل الليلي نكون أشجارًا بلا جذور.

يحدث التكامل الليلي تحت سحر القمر. حركة واحدة نقية من لقاء ووحدة. لكنها حتى بهذه الصورة دائرة وليست خطًّا مستقيمًا.

(١) مولوخ: إله كنعاني، وهو إله ذو نزعة شريرة، كان يتقدم له بالأطفال كقرابين. ويستخدم للدلالة على الأشخاص الذين يتطلبون تضحيات غالية. «المحرر».

حركة واحدة نقية من لقاء ووحدة، وحين ينطلق البريق يكون الاثنان واحدًا. إنها لحظة البريق الناتج عن اشتعال بحرين من الدم. إنها لحظة الولادة. لكن ولادة الطفل أقل من ولادة الرجل والمرأة. تولد المرأة من الرجل في تلك اللحظة، في ذاتها العظمى: ويولد الرجل من المرأة. إنه الشيء الرئيس. ولا يمكن أن يشبع ويكتمل في شخصين لا يستطيعان أن يأخذا النار للحياة الشخصية، تسقط وتكون بذرة الحياة الجديدة، تشبع في النهاية ما لم يستطع الأبوان إشباعه. هكذا تستمر للأبد.

من ثم يكون الجنس استقطابًا لدم الرجل الشخصي تجاه دم المرأة الشخصي، أيضًا، هو أكبر، لكنه هكذا في حقيقته الوظيفية الأولى، ويعني اتجاه الجنس توصيل أقطاب الجنس الديناميكية في الرجل والمرأة.

لنا في الجنس كينونة أساسية أكثر جوهرية، تتألق، من الضفيرة الخثلية والعقدة العجزية، القوى المبهمة في الرجال والنساء، تركض، من ضفيرة التعاطف القاتمة، الذبذبات السمبتاوية الحادة والقوية، مباشرة، إلى القطب المناظر، أو هكذا ينبغي أن تكون في الحب العاطفي الصادق. لا يوجد تدخل عقلي- لا يوجد حتى تدخل من المراكز العلوية. يفترض أن الحب أعمى، مع أن الحب الحديث يستخدم نظارات قوية.

لكن الحب في الحقيقة أعمى، من دون بصر أو شم أو سمع يتذبذب التيار المغناطيسي القوي من الضفيرة الخثلية في المرأة، يتذبذب في الهواء كرسالة لاسلكية قوية، ثمة استجابة فورية من العقدة العجزية لرجل ما، ثم يبهت البصر والوعي النهاري. يبدو في الحيوانات الدنيا

أن أي ذكر يستطيع استقبال ذبذبة أي أنثى. وإذا لزم، يستقبلها حتى عبر مسافة طويلة في الفضاء. لكن كلما كان التطور أعلى كانت الذبذبة أكثر فردية وتناغمًا، تستطيع كل محطة لاسلكية أن تستقبل فقط الرسائل التي في مفتاح ذبذباتها. وهكذا بالنسبة للجنس في أشخاص معينين. ترسل الأنثى من المركز الديناميكي القوي دعواتها المبهمة، ذبذبة الجنس القوية المبهمة. وتبعًا لطبيعتها، تستقبل استجاباتها من الذكور، يدخل الذكر مجال الأنثى المغناطيسي. يتذبذب في استجابته بصورة عاجزة. وترسخ فورًا دائرة ديناميكية، تكاد تكون قوية، يجب أن تبدو كما لو كانت قوية وتظل طول حياتها حرة وبرية ومستقلة. إن دائرة الجنس، طالما بقيت، تكون مطلقة السلطة، يوجد تدفق كهربي واحد يشمل ذكرًا وأنثى واحدة، أو ذكرًا واحدًا ومجموعة خاصة من الإناث مستقطبات جميعًا في مفتاح الذبذبة نفسه.

في البداية تكون دائرة مغناطيسية الجنس الحيوية هشة وواسعة، تقفل تدريجيًّا وتقوى، تنقبض وتنمو بحدة أكثر، حتى يتلامس الشخصان. وحتى بعد ذلك يختلف نبض وتدفق الجاذبية والارتداد. تُحْدِث كل لمسة، في حياة برية حرة، ارتدادًا قويًّا، وينتج عن كل ارتداد جاذبية سمبتاوية قوية وهكذا يستمر كفاح الرغبة الغريب، حتى يبلغ التكامل.

إنه توازٍ دقيق لما يحدث في ريح عاصفة، حين يحدث تعارض بين القوى الديناميكية للقمر والشمس. النتيجة ثلاثية: بريق كهربائي، ميلاد ماء نقي، ماء جديد.

إنه ما يحدث في علاقة الجنس. النتيجة ثلاثية. بريق الإحساس الخالص والكهربية الحقيقية. ثم ميلاد حالة جديدة للدم، حالة داخلية في كل رفيق. ثم التحرر.

لكن الرئيس، كما في الريح العاصفة، هو التجدد المطلق للوسط الهوائي في هذه الحالة، للدم. لا شك في أن الحالة الديناميكية الكهربية لكريات الدم الحمراء والبيضاء تختلف تمامًا بعد اتحاد الجنس، وأن التركيب الكيميائي لسوائل الدم يتغير تمامًا.

يكمن في هذا التجدد سحر الجنس العظيم، يبدو أن حياة الشخص تستمر على حالها من يوم لآخر. لكن في الحقيقة يحدث تراكم كهربي في الأعصاب والدم حتمًا، تراكم يرجع ويمكث بضغط لا يحتمل. تكمن معاني الارتياح والتجدد المحتملة في التبادل العاطفي فقط. يوجد ويجب أن يوجد تبادل عاطفي خالص من الذات العليا، كما يحدث حين يتحد الرجال في نشاط إبداعي عظيم أو ديني أو بنائي، أو حين يحارب كل منهم الآخر حتى الموت. يجب أن يكون الهدف الرئيس للنشاط الإبداعي أو البنائي. أو الانتصار البطولي في الحرب، هدفًا للذات النهارية. لكن الاحتمال الحقيقي لهذا الهدف ينشأ عن الدينامية الحيوية للدم الواعي. يعثر الدم في شخص على تجدده الرئيس في دائرة جنس تامة.

دائرة جنس تامة واتحاد جنسي ناجح. لا يمكن أن يوجد اتحاد جنسي ناجح من دون أن يشعل الأمل الأعظم لنشاط بنائي هادف روح الرجل طول الوقت: أو الأمل في نشاط عاطفي يسعى للتدمير:

ينتسب الاثنان دينيًّا، داخل الفرد، إلى الشيء نفسه. الجنس كغاية في ذاته كارثة: رذيلة. لكن الهدف المثالي الذي لا جذور له في بحر الجنس العاطفي العميق يمثل كارثة أعظم. والآن أمامنا شيئان فقط: الجنس كهدف قاتل، وهو التيمة الأساسية في التراجيديا الحديثة: أو هدف مثالي كطفيلي مميت. تؤدي عاطفة الجنس كهدف في ذاتها إلى تراجيديا. يجب أن يوجد دائمًا إيحاء بهدف عظيم. لكن الهدف المثالي الآلي ليس حتى تراجيديًّا، إنه إذلال وعقم بطيء.

إن الحل الرئيس هو حفظ الجنسين نقيين. لا نقصد بنقي براءة وتشابهًا مثاليين ومعقمين بين الولد والبنت. نقصد ذكورة نقية في الرجل، وأنوثة نقية في المرأة. نستقطب المرأة في الحقيقة إلى أسفل، تجاه مركز الأرض. تكمن إيجابيتها العميقة في التدفق إلى أسفل، فتنة القمر. ويستقطب الرجل إلى أعلى، تجاه الشمس ونشاط النهار. يختلف النساء والرجال ديناميكيًّا في كل شيء. إننا غرباء تمامًا حتى في العقل حيث يبدو أننا نلتقي. قد نتكلم، الرجال والنساء، اللغة اللفظية نفسها: ربما كما يتكلم الأتراك والألمان كلاهما اللاتينية. لكن مهما قال الرجل يختلف المعنى تمامًا ويتغير حين يمر بأذني المرأة. ويبقى الاختلاف نفسه مع عكس الاستقطاب الجنسي، التدفق بين الجنسين. إن التفاهم الظاهري المتبادل في علاقة بين رجل وامرأة وهم دائمًا، ويتحطم دائمًا في النهاية.

يمكن للمرأة أن تستقطب وعيها إلى أعلى. يمكن أن تحصل على يد أعلى حتى من تقبّل جنسها. يمكن أن تحول حتى انقباض

المضاجعة الكهربائي إلى وعيها العلوي: الحيلة التي تعلمتها من الحية والتفاحة بينهما. الحية، التي وعيها ديناميكي فقط، ومن دون مخ. حسدت الحية، التي من دون حياة عقلية، ولها فقط عقل ديناميكي حي وقوي، حسدت الجنس البشري على وعيه العقلي. وعرفت هذه الحية الحكيمة تمامًا، أن الطريق الوحيد ليدفع البشر أكثر من ثمن الوعي العقلي هو أن تحرف المرأة إلى العقلية: أن تحثها في تدفق الوعي العلوي.

إن القطبية الحقيقة لوعي المرأة إلى أسفل. وعيها في الخاصرتين والبطن. حتى حين انحرف، بقي في مكانه. التدفق الرئيس لوعي الأنثى إلى أسفل، أسفل إلى سيطرة الخاصرتين وحول دائرة القدمين. دع هذا الوضع ينحرف، واصنع تدفقًا زائفًا إلى أعلى، إلى الثدي والرأس، وسوف تحصل على جنس من نسوة «ذكيات»، رفيقات مرحات، مخلصات ماكرات، عاهرات ماهرات، مثاليات نبيلات، صديقات مخلصات، ربات بيوت ممتعات، عاملات فاعلات، مديرات متألقات، نسوة ماهرات كالرجال في كل أعمال الرجولة: وأفضل لأنهم يتهورن تمامًا بمجرد أن يولعن بأعمال الرجال. لكن بعد لحظة يذهب هذا كله فجأة. حين تحصل المرأة على مثاليات الرجل وأعماله وتنتقل إليها، حين تكون منافسة في عالم الرجولة –تكون نهايتها. لديها ما يكفي. لديها أكثر مما يكفي. تكره الذي عانقته. تنحرف بشكل مطلق، ونهايتها الوحيدة أن تكرس نفسها ومثالياتها للجنس. إنه دورها في اللحظة الحاضرة.

نخدش رأس الأفعى؛ رأسًا مسطحًا بلا مخّ. لكن ثأرها بخدش كعبنا طيب. تتدفق في الكعبين الدائرة القوية المتجهة إلى أسفل: يخدشان ويخدران بخدر عصابي رهيب. يعاق التدفق القوي المبهم الذي يستقطبنا إلى مركز الأرض، ويُحطَّم. نصبح كائنات واهية شبيهة بالفطر، من دون جذور أو قيد في الأرض كالفطريات. خدشت الحية كعبنا حتى عرجنا. الآلهة العرج. الآلهة المستعبدون، العرج الكادحون ينوحون من أجل المرأة. لا ترى الشمس والقمر في السماء ينهمكان في الصداقة. تعبر أشعتهما الهوة الهائلة بينهما.

هكذا بالنسبة للرجل والمرأة. يجب أن يقفا واضحين مرة أخرى. يجب أن يشقا طريقًا خارج وعي الذات: لا شيء آخر. أو يجب أن يقاوم كل منهما الآخر إلى حدٍّ ما خارج وعي الذات. يجب أن يوجد العداء الصريح الأكثر حدة بدل هذا التحريم الجذامي الذي نتعلم ممارسته في علاقاتنا الحميمة. إذا عبثت زوجك مع رجال آخرين، وكنت لا تحب هذا، فقل أمامهم جميعًا، أمام زوجك والرجل والجميع، قل إنك لا تسمح بهذا. إذا بدت لك في أي وقت زائفة، أخبرها بغضب وغيظ وأوقفها. لا تقلق بشأن المبرر. إذ كرهْتَ أي شيء تفعله، انقلب عليها في غضب. ضايقْها واجعل حياتها جحيمًا، طالما انتابك الغيظ الحار الحقيقي. لا تكرهها في صمت أو تمسك عنها في صمت. إنه حيلة رديئة جدًّا، وضيعة جدًّا وحقيرة. إذا شعْرتَ بغيظ محرق هاجمْها وصب عليها، ولا تندم أبدًا. قد يؤذيك أكثر مما يؤذيها. لكن لا تندم أبدًا على غضباتك الحارة الحقيقية، سواء كانت «مبررة» أو لا. إذا منحت المرأة قدر قشة جميلة من

الاهتمام، وجعلتك لا تستطيع أن تتحمل المزيد صب غضبك عليها، وإذا بكى قلبك دموعًا بعد ذلك، فقل لها أنك ممتن لأنها نالت غضبك هذه المرة، وأنك تتمنى لو أنها نالتْه بشكل أسوأ.

بالمثل، بالنسبة للزوجات مع أزواجهن. إذا أزعج زوج أعصاب امرأته، عليها أن تهاجمه بعنف. إذا اعتقدت أنه عذب جدًّا ومهذب جدًّا مع الآخرين، عليها أن تجعله يتحملها رغم أنفه. عليها أن تقوده إلى حياة كلب ولا تبلع أبدًا سوء طبعه.

مع الزوجة أو الزوج، لا يجب أن تبلغ سوء طبعك أبدًا، إن هذا يجعلك تخطى مع أعماقك. لتُطِرْ السنَّ والظفر دائمًا، ولا تندم أبدًا مهما يكن المظهر الذي تتخذه.

نمتلك رذيلة العشق، والهشاشة والعذوبة والتهذيب والحميمية والعطف المشوش وكل تلك الأشياء. نعتقد أن من اللطيف بصورة مرعبة جدًّا أن نكون في ذواتنا على هذه الصورة. لكن في زوجاتنا أو أزواجنا ما يزعج أعصابنا بصورة مروعة. ونعتقد أنه غير حسن، هكذا نبلع طحالنا.

ليس علينا أن نفعل هذا. حين قال المسيح «إذا أعثرتك عينك، اخلعها»، اقترب من المشكلة. لا تعثرنا العين في الحقيقة. نولع إلى حدٍّ ما بعيننا الحولاء. تعثر فقط الشخص الذي يعتني بها. وعليه أن يخلعها.

إن هذا طيب خاصة بالنسبة لرذيلة العشق والحميمية. لن تؤذينا أبدًا في أنفسنا، إلا أنها ستكون مريرة ووقحة بالنسبة لزوجتنا أو زوجنا

ويستريح وعي ذاتنا في الحقيقة على هذا العشق والحميمية والعطف والعذوبة المشوشة، على الرذيلة كلها. إذا سُحِقْنا من دونها، فإننا سنسحق من دون وعي ذاتنا.

وهكذا، أيها الرجال، اضربوا زوجاتكم وقودهن خارج وعي ذاتهن وتهذيبهن وطيبتهن الهشة، خارج الفكرة الحبيبة إلى ذواتهم. مزِّقْ تمامًا الاعتقاد الحبيب إلى ذواتهن، مزقه إلى أسمال، واجعلهن ينظرن بعيونهن نظرة مقدسة سخيفة. أيتها الزوجات، افعلن مع أزواجكن كما يفعلون معكن.

لكن أيها الرجال كافحوا من أجل حياتكم. حاربْ زوجك خارج انهماك وعي ذاتها مع ذاتها. هاجمها خارجه حتى تصعق. ردها إلى نموذجها الحقيقي. مزق الملابس اللطيفة التي ترتديها المرأة الحديثة، الكائن المدهش. ارغمها مرة أن تكون حواء العارية، واقذف التفاحة في الهواء.

اجعلْها تستسلم لذاتها الحقيقية اللاواعية، وتدوس تمامًا على الذات التي حصلت عليها في رأسها، ردها بقوة إلى لا وعيها الحقيقي.

ثم يبقى عليك أن تقوم بشيء أصعب. أوقفْها عن النظر إليك كـ «عشيق» لها. اشفها من هذا، إذا لم تكن شفتيها من قبل. ضع الخوف من الله في طريقها. اجعلها تعرف أنها ستعتقد فيك مرة أخرى، وفي الهدف العميق الذي تناضل من أجله. لكن قبل أن تستطيع أن تفعل هذا ستناضل من أجل هدف عميق. ليس من الطيب أن تزيف المرء. لن تستوعب امرأة، ليس حقيقيًّا. حتى حين تختار أن تُستوعب، بحثًا

عن الحسن، لن يسبب لك هذا أي خير.

لكن صارعْها. صارعْها في إلحاحها الجنسي، في اعتزازها السري أو في عجرفتها في الهدف الجنسي. صارعْها في اعتقادها الواثق بأنها «تعرف» وأنها «على صواب». خلِّصْها من هذا كله. اجعلها تستسلم مرة أخرى لقيادة الذكر: إذا كنت ستقود في أي مكان. إذا لم تكن ستقود فمن الأفضل أن تترك المرأة وحدها؛ لها هدف واحد يخصها، مهما يكن، إنه أفضل من تفاهتك وخوائك.

عليك بالشروع في تبنى حل جديد في روحك، والتخلص من الطريقة القديمة. عليك أن تعرف أنك رجل، ومعنى أنك رجل أنك تواصل وحيدًا، أمام المرأة، تخترق طريقًا في العالم القديم وتشق طريقًا جديدًا. عليك أن تشرع وحيدًا. عليك أن تكون في الطليعة. وإذا لم تعرف اتجاهك، انظر حولك بحثًا عن الرجل الذي سيحدده قلبك. اتبعه– لا تنظر أبدًا إلى الخلف. لأنه إذا كانت زوجة لوط تحولت إلى عمود من الملح وهي تنظر إلى الخلف، فإن هؤلاء الرجال التعساء ينظرون أبدًا إلى الخلف، إلى نسائهم لإرشادهم. إنهم أعمدة تعيسة من دموع نصف فاسدة.

عليك أن تكافح لتجهل امرأة تعتقد فيك كرجل حقيقي، رائد حقيقي. لا يكون الرجل رجلًا إلا إذا كان رائدًا لامرأته. عليك أن تكافح كفاحًا أكثر صلابة لتجعلها تسلم هدفها لهدفك؛ هدف ليلها لهدف نهارك. يؤرجحنا القمر، كوكب النساء، من ذاتنا النهارية إلى الخلف، يؤرجحنا من انسجامنا الاجتماعي الحقيقي إلى الخلف،

كرابطة تقهقر، في احتكاك النقد والانفصال والتدهور الاجتماعي. إنه نموذج المرأة الحتمي، لتكن كلماتها كما تشاء، إن هدفها هو الفردية الحسية العميقة، فردية السرية وقصور الليل العدائي ذي الأبواب الحذرة. عليك أن تكافح بصلابة شديدة لتجعل امرأة تسلم هدفها لهدفك، تجعلها بالطريقة التي تمضي أنت بها تعتقد بروحها أن هدفك أبعد من هدفها. لن تعتقد أبدًا حتى تملأ روحك بهدف عميق وثابت بصورة مطلقة، لن يفضي هذا إلى شيء. لا تهتم. لن تعتقد أبدًا في روحك، حتى تعزل وتمضي في الطليعة، إلى الظلام.

بالطبع ربما تعشقك فعلًا، وتعشقك لذاتك. لكن العشق سيكون عش العقرب إلا أن تلقي عليه ظلال خوف أو رهبة بسيطة من هدفك الإضافي، الاعتقاد الحي بمضيك أبعد منها، إلى المستقبل.

لكن ما إن تعتقد امرأة في رجلها، في رجلها كرائد، رائد يواصل في الطليعة أبعد منها، إلى الأمام في الظلام، رائد قد يفقد من أجلها للأبد في هذا الظلام؛ ما إن تعرف ألم وجمال هذا الاعتقاد حتى تعرف أن وحدة الانتظار والاتباع حتمية، يجب أن تكون هكذا؛ آه، كم يكون هذا مدهشًا! كم يكون مدهشًا أن يرجع إليها في المساء، وهي تجلس لتنتظر ونصفها في الخوف! كم هو طيب أن ترجع إليها في البيت! ثم كم هو طيب أن يحل المساء! كم تمضي المساءات بثراء! ثم، في النهاية، يكون كل الذي فقدته في النهار بين يديها مرة أخرى، كل الذي افتقدته، تندفع من أجلها مرة أخرى، ثراء ودهشة لم تتوقعهما أبدًا. إنها ساعتها، هدفها. هذا معنى أن تكون لك زوج.

آه، كم هو طيب أن تعود إلى زوجك في المساء حين تعتقد فيك وتخضع لهدفك الأبعد منها. ثم كم هو مدهش أن يحل هذا الليل! كم تحسّ بالثراء والتعب وكل عبء النهار في أوردتك، وأنت عائد إلى البيت! ثم تتحول كثيرًا إلى هدفك الآخر: إلى روعة الظلام بين يديها. وأنت تعرف أن الهدف هناك بالنسبة لك: كم يكون هذا الإحساس غنيًّا. وتشعر بعرفان لا يُسبر غوره للمرأة التي تعشقك وتعتقد في هدفك وترحب بك في إشباع عناقها المبهم الرائع. هذا معنى أن تكون لك زوج.

لكن لم تكن لرجل زوج إلا إذا خدم هدفًا عظيمًا مسيطرًا. وإلا تكون عشيقة، ربة بيت. لا أهمية إطلاقًا لزواجها منه، إلا إذا كان لنهاره هدف حي، بنائي أو تدميري، لكنه هدف بعيد عنها وعن كل ما تناضل لأجله؛ إلا إذا كان لنهاراته هذا الهدف، لن تكون زوجًا، ستكون ربة بيت فقط وسيكون عشيقها.

إذا لم يكن لنهارات الرجل هدف، يبقى للمرأة فقط هدف لياليها: هدف الجنس العظيم. إنه ليس هدفًا، لكنه دائمًا صراخ على شيء أبعد: من أجل الاستيقاظ والانطلاق بعيدًا، من أجل الرجل في الطليعة المختفية في طريق المستقبل، الرجل الذي يناضل من أجل هدفه، من أجل المستقبل. يحتاج هدف الجنس هذا الرحيل الإضافي، يحتاجه بصورة مطلقة. وإذا لم يكن سفرًا إضافيًّا، لن يكون طريق صدق عظيم في الطليعة، وإذا كان الجنس نقطة البداية والهدف أيضًا: من ثم يكون الجنس كحفرة بلا قاع، حفرة نهمة. يحتاج في النهاية إلى رحيل

الموت، البعيد الوحيد المتاح. مثل كارمن أو أنّا كارنينا. حين يكون الجنس البداية ونقطة العودة، يكون الموتُ المخرج الوحيد. إنه أملس كقناة الرمح في «كارمن» أو «أنّا كارنينا»، إنه التيمة في كل التراجيديا الحديثة تقريبًا. تيمتنا الوحيدة المبتذلة، المبتذلة. ابتهاجات العشق وآلامه، انفعال الموت النهائي. الموت هو النقي فقط، إنه نتيجة جميلة لعاطفة عظيمة. يجب أن يقول العشاق، العشاق المخلصون: «ليكن هذا».

يتم إغواء المرء دائمًا ليقول: «ليكن هذا». لكن لا، ليكن غير هذا. أقول هذا فقط، لتكن عاطفة عظيمة وبعدها الموت، أفضل من هدف زائف أو ملفق. قال تولستوي: «لا» للعاطفة وموت النتيجة. انسحب إلى المخرج الكئيب لنتيجة زائفة. كانت كتبه أفضل من حياته. إن هدف المرأة، الجنس والموت، أفضل من هدف الرجل الزائف.

أنّا كارنينا وفرونسكي أفضل ألف مرة من ناتاشا وَدُلْفين بيير حاول هذا الثنائي القذر قليلًا، حاولا بصعوبة شديدة أن يخدعا نفسيهما بأن دلفين بيير كان يحركه هدف عظيم. فرونسكي أفضل من تولستوي ذاته، في عقلي. مقولة فرونسكي النهائية أفضل «ما زلت طيبًا بعض الشيء كالجندي. كالرجل أنا خرابة»– أفضل من تولتسوي والتولستوية ومن بلوزة القروي القذرة التي ارتداها الرجل القديم.

العاطفة والموت أفضل من أي من هذه «المذاهب». لا مزيد من الهدف القديم يزخرف الخزامى. العاطفة والموت أفضل.

لكن يبقى- أننا قد نعيش، ربما لا؟

من أجل السماء أجب بـ«لا» مباشرة، إذا شعرت بشعورها. لا توجد مسايرة طيبة.

❊ ❊ ❊